الجمهوريـة الجـزائـريـة الديمقـراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمـي
جامعة وهــران -السانيا

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية



مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستيـر
في القرآن والدراسات الأدبية
بعنوان

خطاب النفس في القرآن الكريم
حقيقته-أساليبه-مقاصده

إشراف الدكتور :
سلطاني الجيلالي

من إعداد الطالبة :
موصدق خديجة

السنة الجامعية 2006-2007

قال الحسن البصري:

(مسكين ابن آدم ، محتوم الأجل،مكتوم الأمل ، مستور العلل، يتكلم بلحم، وينظر بشحم، ويسمع بعظم، أسير جوعه، صريع شبعه،تؤذيه البقة، وتنتنه العرقة،وتقتله الشرقة،لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا")

(من حاسب نفسه ربح....ومن غفل عنها خسر.....ومن نظر في العواقب نجا...ومن أطاع هواه ظل....ومن حلم غنم...ومن خاف سلم...ومن اعتبر أبصر...ومن أبصر فهم...ومن فهم علم.....ومن علم عمل.... فإذا زللت فارجع...وإذا ندمت فاقلع...وإذا جهلت فاسأل....وإذا غضبت فأمسك....واعلم أن أفضل الأعمال: ما أكرهت النفوس عليه)

(توجد الصحة حين توجد وحدة التنسيق في الجسم،و يوجد الجمال حين تجمع الوحدة بين الأجزاء، وتوجد الفضيلة في النفس حين يبلغ اتحاد أجزائها إلى الوحدة والتوافق، والنفس هي التي تصنع الجسم)

(كتاب الشفاء)

مقدمة :

الحمد لله الذي علم القلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والحمد لله الذي فتح لي أبواب رحمته، وأنار بصيرتي للتدبر والتبحر في حروف الكتاب الحكيم وكلماته، في آياته وسوره، والذي أنعم علي بكثير فضله ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل للعالمين بشيرا ونذيرا، وأنزل عليه الكتاب المبين حجة باقية شامخة إلى يوم الدين، ورضي الله عن آل بيته وعن صحابته الأكرمين الذين بلغوا من بعده شريعة القرآن، ومعه العدل والقسطاط المستقيم.

أما بعد :

يعتبر القرآن الكريم دستور الأمة، ناقش كل شيء وتعرض لشتى نواحي الحياة ومطالب الإنسان، هدفه السامي هو هداية الإنسان إلى الطريق المستقيم، ورسم السياسات العامة وكل مطالب البشر من عبادات ومعتقدات، وثواب وعقاب، وجنة ونار، وبعث ونشور، والحث على عبادة الله وحده الذي بيده كل شيء .

فتلك حكمة الله تعالى مع الإنسان الذي خلقه نموذجا عجيبا،جمع بين عالمين المادي والروحي، فهو بروحه يشارك أهل السماء في العلو الصفاء، وبجسده يعيش في الأرض، ويشارك الدواب في تعاطي الأفعال، وزاده الله على ذلك ميزة خاصة كرمه بها، وهي استخلافه في الأرض، ولما كانت هذه الميزة ثقيلة عليه أودع الله فيه العقل ليميز ويدرك ويختار .

وإن العقل لا يدرك إلا إذا استقام في أحكامه، ولا يستقيم في أحكامه إلا إذا قومه اللب، وحينئذ يكون العقل نعم المرشد لذلك اللب الذي يحمل التعقيد والتضاد، فهو صاحب فضيلة ورذيلة، وصلاح وفساد، إذ يشتركا

في جعبة واحدة، تلك الجعبة التي تبصر بالمنظار الروحي البصيري، مجاله الحقائق النفسية للإنسان.

وهنا يستشعر المرء عظمة الخالق جل وعلا، والتقرب إليه والتسربل بوشاح طاقة نفسية روحية، تهديه إلى الطريق الصحيح لتصبح المحصلة في النهاية الثقة بالله تعالى الواحد الأحد، وبالنفس وتحقق لذاته في الأخير السلوك السوي والمرغوب فيه.

ومما لاشك فيه أن الحصول على السلوك السوي يعتمد بالضرورة على الملاحظة والتأمل والتفسير للفعل ورد الفعل.

ولكن هذا يحتاج إلى حكيم عالم بهذه النفس المركبة، ليتواصل معها وبأداة تتقبلها وتركن لها.

والله سبحانه وتعالى ألم بهذه النفس في كتابه الحكيم وتواصل معها بواسطة الخطاب.

فالخطاب القرآني من أروع ما يكون، وبه من الإعجاز ما يجعل العقول تقف أمامه متعجبة فهو بلسم القلوب، وعزاء الإنسان، ومتنفسه في الأزمات، وهو العامل الملطف في الملمات، وقد جاء بلغة بشر تفهمه، وعلى طريقة قوم ألفوه، فأعجزتهم بلاغته وأبهرتهم ألفاظه، إذ فيه من قوة وانتقاء للكلمات ما جعلها تنفذ إلى أغوار القلوب، وتفتح أبوابها الموصدة، وتحطم جدرانها البالية.

وللصور البلاغية من كنايات واستعارات وتشبيهات، دور عظيم في الإحساس بتلك اللمسات الفنية الرائعة في هذا الكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكان هذا الخطاب موجه للنفس الإنسانية.

والنفس في القرآن الكريم تنصرف إلى عدة معان: فهي تدل على الإنسان ككائن حي، وتدل على جوهره وطويته، والله تعالى اعتنى بها عناية خاصة، وظل يراعيها ويقدم لها الرأي بعد الرأي، ويزيل عنها الشك ويطمئنها ليشعرها بكريم المقصد ونبل الغاية، لأنه هو العالم بها وبما يحدث بين جوانبها من صفات الخير والشر، فيتضح ذلك في براعة إبداعه في وصف طبائعها، وشرحه لنا إياها مع إعطائه العلاج لهذا الداء، وهذا ما يسمى بالتعبير النفسي، معتمدا في ذلك على أسلوبه العظيم الذي جاء في كتابه الكريم .

وإلى جانب ذلك فإن القرآن الكريم لكتاب يجد فيه المرء واحة لراحته النفسية، وإنه ليبعث على الطمأنينة الروحية قال تعالى : (**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) (سورة الرعب، الآية 28).

فعلم النفس وجد لاستكناه أغوار النفس، وسبر بواعث معاناتها، وأسباب اضطراباتها، والقرآن يظل الدفاق لمعرفة حقائق الإنسان، واستجلاء مكنونات شخصيته، ولأنه كتاب صادر عن رب العباد، وعليه فهو كتاب قدسي لا يد للبشر فيه، إذن هو دليل على كماله، ولأنه كامل فهذا يعني أنه الوحيد القادر على إعطاء بيان لطبيعة الإنسان، وحقيقة نفسه، ولهذا نلاحظه ينوع في أساليبه لمخاطبته لها، فمرة يستعمل الترغيب والترهيب إذا دعت الحاجة لذلك، ومرة يعتمد على القصص، ومرة النداء ومرات الأمثال، وهلم جرى، وكل ذلك حسب ما يتطلبه الحال والمقام.

كما أنه لا يخفى على أحد تلك الأهمية التي تكسبها النفس في عصرنا الحاضر لحاجاتنا الملحة إليها، إذ لازلنا نبحث عن المزيد من الدراسات حول آيات النفس في القرآن الكريم وهي معان تنكشف لنا باستمرار كلها أمعنا النظر والقراءة فيه.

وإنه لمن الضرورة بمكان أن يعرف الإنسان المسلم مقاصد الله تعالى من خلال كتابه الحكيم، ويبحث عن المراد من خطابه له، فيزداد الباحث في علوم القرآن يقينا بإعجاز هذا الكتاب، وإلمامه بجميع مجالاته، ويساهم في إثراء المعرفة الإنسانية عن حقيقة النفس في القرآن الكريم وكيف تناولها.

ومن هنا وضعت مخاطبات هذه الفواعل النفسية في قلب الإشكالية التي أريد دراستها،فالخطاب النفسي القرآني كما أتصوره، وكما أتوخى مقاربته في هذه الدراسة، هو الأحوال الشعورية والإحساسية والوجدانية والقلبية التي عبرت عن ذوات حية أو حيوية، وعكست أحوال من مواقف عاشتها هذه الفواعل والشخصيات، وترجمة من خلالها عما يسكن النفس الإنسانية والروح الآدمية من أحوال الضعف والقوة، والرجاء والأمل، والزيغ والاستقامة .

وبناءً على تلك المعطيات، قد يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات تكون محور الدراسة، وبها يبين نطاق البحث في الموضوع ويحدد جوانبه:

فأول ما يتبادر للإنسان في ضوء هذه الإشكالية حقيقة النفس الإنسانية في القرآن الكريم، وخصائص القرآن الكريم، و الأساليب التي اعتمد عليها في مخاطبته للنفس من أجل إصلاحها، ومن هم المخاطبون في القرآن وما هو المقصد من ذلك الخطاب ؟

وأما أقسام النفس في القرآن الكريم تبعا للخطاب؟

وكيف أن القرآن الكريم حلل النفوس وصورها في مظاهرها المختلفة، مما أتاح الفرصة لخيال المتلقي أن يتصور ويرسم الهيئة لهذه النفوس ويجسمها في مخيلته .

فضلا عن ذلك الطريقة التي هذب بها القرآن لذائد الإنسان الفانية التي يتهافت عليها الناس، والتي لا توفر لهم حتى السعادة الأبدية، وإن كانت لذة وقتية، وكيف أبعد عن النفوس بريق المادة الذي لا يؤمن للقلوب نورا تطمئن إليه.

فكان هذا الكتاب ضياء ينير للإنسان جوانب الطريق، ويعرفه على الله تعالى، ويبعث في نفسه السكينة.

أمام هذه التساؤلات اخترت عنوانا لمذكرتي وسمتيه بـ: "خطاب النفس في القرآن الكريـم" " – حقيقته – أساليبه – مقاصده" .

فهذا العنوان يغدوا به مستوى خطاب النفس، في مساحته، أو حيزه، متعددا، تعدد آي القرآن الكريم.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن عبارة خطاب النفس في العنوان إنما القصد منها تلك المواقف التي وردت في القرآن وما أكثرها، تجعل شخصيات القرآن وفواعله من الأنبياء ومرسلين ومؤمنين وكافرين ومنافقين، وملائكة، وجن، وحيوان، جميعها فواعل وشخصيات حية أوردها القرآن تعبيرا عن مقاصده الترشيدية والتوجيهية.

وفي خضم ذلك، وعلى حسب طبيعة الموضوع، ارتأيت تقسيم المذكرة إلى ثلاثة فصول ومدخل ، وكل فصل إلى مباحث، وكل مبحث إلى مجموعة من المطالب.

تحدثت في المدخل عن حقيقة النفس البشرية وطبيعتها، فبينت الفرق بينها وبين الروح والقلب والعقل، متطرقة إلى أقوال فلاسفة اليونان وفلاسفة الإسلام عن حقيقتها وقواها ومنشئها وكيف رد علماء الإسلام تلك الأقوال، وأشرت إلى حقيقة النفس في السنة النبوية، وتم ذلك بعد أن قمت بعملية استقراء لكلمة النفس في القرآن الكريم، والصيغ التي جاءت بها من

مؤنث ومذكر وجمع وإفراد وغيرها، مبينة في الوقت نفسه المعاني التي وردت بها هذه الصيغ من خلال التفاسير، متحاشية في ذلك ذكر مواطنها في القرآن لكثرتها، لأنني لو فعلت ذلك لكنت قد قيدت المواضع التي جاءت تخاطب النفس، وهي تذكر في كل سورة، ولست بمبالغة إن قلت بأن القرآن كله جاء ليخاطب الوجدان والكيان للإنسان بكامله.

وتعرضت في الفصل الأول لحقيقة الخطاب، فقسمته إلى ثلاثة مباحث، احتوى المبحث الأول على مفهوم الخطاب وعناصره، والمبحث الثاني: حاولت الإلمام فيه بالخطاب الجاهلي وأنواعه وبيئة العرب آنذاك، ودور الشعر والنثر في كلام العرب وخصائصه، أما المبحث الثالث فكان الحديث فيه عن خصائص الخطاب القرآني وإعجازه وأقوال البلاغيين فيه، وكيف كان تأثيره في الخطاب الجاهلي وقدرته على تهذيبه من مفردات تتعارض والعقيدة الإسلامية.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن الأساليب التي نوع القرآن بها الخطاب، ولقد انتقيت ثلاثة أنواع من تلك الأساليب، بالرغم من تداخلها وكثرتها، ولكن اختياري لم يكن اعتباطيا، إنما قائما على أسس بدت لي مناسبة، فاخترت الترغيب والترهيب كأسلوب أول، لأن النفس عادة ما تولع بالأمور التي فيها لذة، وتجزع من الأمور التي فيها ألم، واخترت القصة كوسيلة ثانية للدراسة، على الرغم من التداخل الموجود بين القصة والترغيب والترهيب، إذ يمكن أن يقال لماذا لم أجعل الترغيب والترهيب وسيلة من وسائل القصة، على اعتبار أن القصص القرآني يحوي قصصا نهايتها ترغيب وقصص نهايتها ترهيب، كنهاية الظالمين سواء ذكروا بأسمائهم أو بأقوامهم، الأمر الذي جعلني أفصل بينهما، لأن الترغيب والترهيب لا يكون دائما قصصا، بل يأتي بطرق أخرى، منها الترغيب

والترهيب بالأمور الغيبية، كالترغيب بالجنة والترهيب من النار، وقد يكون أيضا بجزاء دنيوي.

وكان اختياري للقصة دون غيرها، مرتكزا على القرآن نفسه، فقد قال تعالى:(**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ) (**سورة يوسف، الآية **111)** ، وهي أقرب إلى الإنسان ، لأن الإنسان عادة ما يحب الاستماع إلى كل ما فيه تشويق،فهي الفطرة التي لا يمكن التحكم فيها.

وثمة أمر آخر، وهو أني لما اخترت القصة راعيت فيها العناصر التي يمكن أن تصنف الأساليب، كالحوار مثلا الذي يحوي هو الآخر عدة أساليب كأسلوب النداء، وأيضا أسلوب السخرية وغيرهما.

وكان اختياري للأمثال، مستمدا من قوله تعالى: (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (**سورة الحشر، الآية **21)**، أما اختياري للآيات القرآنية فلم أتبع طريقة معينة في ذلك، وإنما حاولت تقصي ما ظننته أكثر خدمة للموضوع من ناحية التطبيق البلاغي، فكنت أحاول أن أنتقي الآيات الثرية بالصور البلاغية، لتكون الدراسة متشبعة بالموضوع.

وبناءً على ما سبق، قسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث، جعلت المبحث الأول للحديث فيه عن الترغيب والترهيب، وعن طرقه،واخترت نموذجا واحدا فقط وهو ذكر الجنة وما أعده الله للمتقين فيها، وذكر النار وما توعده الله للمذنبين فيها، والصور البلاغية التي كانت آدا ة الخطاب، فقد تعرضت فيها لأسلوب القرآن الجميل في عرضه المبهر والبليغ.

أما المبحث الثاني فكان للقصص القرآني، وهو بدوره قسمته إلى مطالب تحتوي على مفهوم القصة القرآنية وعناصرها، من رسم للشخصيات وحركاتها، والحوار والمفاجأة وغيرها، ثم تحدثت عن أسلوبها بلاغيا.

وأما المبحث الثالث فأفردته للحديث عن المثل ومفهومه وأنواعه وكل ما يتعلق به من عناصر في القرآن الكريم، وصوره في النماذج الإنسانية .

وخصصت الفصل الأخير للحديث عن مقصد الله تعالى من خطابه للعباد، وأوصاف الذين خاطبهم الله بها، وذكر حالهم من مؤمنين، وكافرين، ومنافقين،وكان تقسيمي للأنفس على هذا المنوال، اقتداءً بالقرآن الكريم الذي كانت ثاني سورة فيه، وهي سورة البقرة، قد تعرضت في أوائل آياتها لهذا التقسيم، فكان اختياري على هذا النسق من التقسيم، رغم وجود تقسيمات أخرى، وباعتبارات متنوعة، كاعتبار البقعة ويضم المكي والمدني، واعتبار الجنس ويضم الرجل والمرأة، واعتبار الدار ويضم أهل الجنة وأهل النار، ولكني وبعد تفكير أثرت ذلك التقسيم، لأنه يضمهم جميعا، وذلك مخافة الوقوع في التكرار، ثم تكلمت على تقسيمات النفس من خلال القرآن الكريم، وخصصت قسما للكلام على أساليب علم النفس في دراسة النفس البشرية، كما جعلت جزءا منه للمقارنة بين طريقة القرآن في علاج الأنفس وطريقة علم النفس .

أما الخاتمة فأفردتها لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ولقد اعتمدت في إعداد هذه الدراسة على مجموعة من أمهات الكتب: كالبرهان في علوم القرآن للسيوطي، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الشفاء لابن سينا، وتهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزال، وكتب التفاسير والصحاح، وغيرها من الكتب، وعلى مجموعة من المراجع الحديثة وهي كثيرة وعديدة، منها: كتب لمحمد الغزالي نأخذ منها على سبيل المثال: المحاور الخمسة، وهذا ديننا.

وهناك كتب أخرى منها : ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن لمحمد خلف الله، ومحمد زغلول، والوحدة الفنية في القصة القرآنية لمحمد الدالي، واللغة

العربية: أصولها وامتداداتها لمحمد العمري، والصورة الأدبية في القرآن الكريم لصلاح الدين عبد التواب، ومنهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع لمحمد سيد يوسف، وروح الدين الإسلامي لعفيف عبد الفتاح طباره.

وكتب علم النفس ككتاب النفس البشرية ونظرية التناسخ لأحمد زكي تفاحة، ومعالم علم النفس المعاصر لعزت عبد العظيم طويل، وغيرهما من الكتب.

وكتب علوم القرآن كمناهل العرفان للزرقاني، والمدخل إلى التفسير الموضوعي لمحمد الغزالي، والنبأ العظيم لعبد الله دراز.

وكتب الفلسفة ككتاب في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام لحمو قاسم، وكتاب تاريخ الفلسفة العربية لحنا الفاخوري وخليل الجر، وكتاب الله والعالم و الإنسان في الفكر الإسلامي لمحمد جلال شرف.

ولا أنسى أن أقدم جزيل الشكر والامتنان للأستاذ المشرف الدكتور الجيلالي سلطاني، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته العلمية ونصائحه القيمة طيلة إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى النور.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أرجو أن يوفقني الله لما فيه الخير ويرضاه، والسداد لعباده أجمعين فلله الحمد والمنة، وولي كل خير ونعمة .

المدخل :

تتسم الطبيعة البشرية بثنائية أساسية لا يمكن تقسيمها، فهي جانب طبيعي مادي مقابل جانب غير مادي أي روحي، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يغوص وراء الظواهر ليصل للمعاني الكامنة وراءها، وهو الوحيد أيضا الذي يبحث عن الغرض من وجوده في الكون، وكلها تصب في البنية النفسية والعقلية لهذا الكائن .

فعقله البدائي لا يضع حدودا لفكره، بل يجعل من الوجود ساحة لاختباراته، ويعد العدة من أجل استخراج أسراره والبحث في مكنوناته.

مما أدى بفكر هذا العقل إلى إنتاج إشكالات متنوعة في عناصر هذا الكون ، فقد أصبح عقله متعطشا لا يشفى غليله إلا بالوصول إلى المعرفة التي قد يسلم بها مبدئيا ، ليعاود الكرة آخذا نقطة النهاية بداية لعلم جديد.

وتبرز النفس من بين أهم تلك المواضيع، التي تظل محور بحث وتنقيب لدى الباحثين والمفكرين في مختلف الأزمان، وليس ثمة فيلسوف إلا وأدلى بدلوه وتعرض لها بشيء من التحليل، فالفكرة الأساسية التي يدور حولها موضوع النفس هي معرفة طبيعتها ونزعاتها وميولها وعلاقتها بما حولها.

فلقد كان اليونان السباقين الذين خاضوا في مضمارها، وجنحوا إلى دراستها علهم يجدون فيها طريقا لمعرفة حقيقتها وكنهها، ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر أشهر أعلامها:

"فيثاغورث"[1] يرى أن النفس تتركب من جزئيات لطيفة لا تقع تحت الحس، وهذه الجزئيات هبطت من الشمس ودخلت الأجساد فأحيتها ووهبتها الحركة.

كما تكلم**" ديموقراطس"**[2] على النفس ورأى أنها تتركب من عدد من الذرات النارية تمتزج مع ذرات الجسم وهي سبب الحياة و الحركة، فإذا قل عددها خارت قوى الجسم وإذا فارقت الجسم تسبب الموت[3].

أما **"أفلاطون".**[4] فرأيه مستمد من رأي **"سقراط"** حيث اعتبرها جوهر حقيقي في الإنسان مستقلة، والحياة صفة خارجة عن الجسم و موجودة فيه بالقوة مستعدة، والنفس لا تفعل سوى أن تخرج تلك الحياة من القوة إلى الفعل، أي من الخفاء إلى الظهور[5]، وبهذا فالنفس جوهر منفك عن الجسد ولا يمكن أن يتلازما، ولا يكون وجود أحدهما مرهونا بالآخر، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

ويعتبر النفس نقطة اتصال بين عالمين هما عالم المثل وعالم الحس[6].

(1) فيثاغورث:570-500 ق.م:فيلسوف ورياضي يوناني،ولدفي ساموس، أسس جمعيات فلسفية ودينية - مؤلفاته/اقتصر على الإلقاء المسموع، فلسفته/اتخذ الدين فكره وسعيه وراء الصوفية (الموسوعة الفلسفية المختصرة، ج2، ص880).

(2) ديموقراطس:"أبديرافي تراقيا:460ق.م -أبديرا370" فيلسوف يوناني قضى 5سنوات عند مهندسي مصر،عاش في أثينا، أسس مدرسة ،مؤلفاته:في جهنم - في الفضيلة - في الأفلاك - وغيرها، فلسفته:لا شيء (الموسوعة الفلسفية المختصرة، ج1، ص555).

(3) ينظر موفق هاشم صفر الحلبي : الاضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين – أسبابها ، أعراضها ، الوقاية منها، معالجتها – مؤسسة الرسالة- ط2 – 2000 م - ص 20.

(4) أفلاطون : زعيم المدرسة الروحية"أجينا 428-427/أجينا 348-347" كان أبوه أرسطون ينحدر من أسرة عريقة ،وأمام الواقع السياسي الدموي الذي شهده الفيلسوف رأى أن يقيم حكومة عادلة،قام برحلات عديدة ، ترك بعد موته جامعة كان اسمها"الأكاديمية" هدفها تخريج فلاسفة سياسيين قادرين على بث مبادئ العدالة، مؤلفاته:عبارة عن حوارات عددها28، (موسوعة أعلام الفلاسفة، ج1 ص97).

(5) حمو قاسم : في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام – مكتبة الأنجلو المصرية – ط3 – د ت ، ص 70.

(6) المرجع السابق، ص: 20.

وأما **"أرسطو"** (1) فيعرفها بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ، فمعنى أول: إخراج الأفعال والانفعالات، ومعنى آلي : الجسم المركب(2).

- كمال أول، من غير واسطة كمال آخر.

- لجسم طبيعي ، أي غير صناعي لا في الأذهان ولا في الأعيان.

- آلي : أي ذو آلات يستعين بها ذلك الكمان الأول في تحصيل الكمالات(3) .

قال **"أرسطو"** في تعريفه" أنها كمال " ولم يقل صورة ، السبب أن وجودها شرف وكمال في البدن(4).

وبالنسبة لـ**"أفلوطين"** (5): فهي قوة منظمة تتدنى إذا ما هبطت إلى العالم المحسوس(6).

والنفس عند **"أبيقور"** (7) : جسم حار لطيف للغاية تتألف مع الجسم الجسم وتنحل بانحلاله(8) .

---

(1) أرسطو (384 ق .م – 322 ق.م): أرسطو طاليس يوناني ، تتلمذ على يد أفلاطون، هو مؤسس المدرسة المشائية(اللوقيون) مات بالإعدام بعد الحكم الصادر من حكماء آتينا ، من مؤلفاته [محاورة في خلود النفس – كتب: الخطابة ، الشعر ، مابعد الطبيعة]. (موسوعة أعلام الفلسفة، ج1-ص:462).

(2) حنا الفاخوري – خليل الجر :تاريخ الفلسفة العربية – مقدمات عامة – الفلسفة الإسلامية – دار الجيل بيروت – ط3 – 1993 ج2 ، ص 425.

(3) أبو الحميد الغزالي - معارج القدس في مدارج معرفة النفس- دار الشهاب – د ط / د ت ،ص: 21.

(4) حمو قاسم : في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، ص 69.

(5) أفلوطين(203 م – 269م) : أشهر فلاسفة القرن الثالث ، أصله مصري ،قام بأسفار عديدة، اتصاله المباشر بالفلسفة الهندية والفارسية ، مات في السادس والستون من العمر بعدما مرض بالجدام، من مؤلفاته : تاسوعات أفلوطين، فلسفته: فكره بثالوث المسيحي، كل موجود لا يستقيم وجوده إلا بالوحدة (موسوعة أعلام الفلسفة، ج1-ص:450).

(6) حنا الفخوري – خليل الجر :تاريخ الفلسفة العربية ، ج1 ،ص 111.

(7) أبيقور (شامس 341 ق.م – آتينا 271 أو 270): يفخر آبيقور بنفسه كونه تلقى تربية ذاتية، انتقل إلى آتينا وأنشأ مدرسة عظيمة الشهرة، عرفت باسم " حديقة آبيقور " فزاول التعليم فيها حوالي 36 سنة حتى وفاته، عنى من عذاب جسماني التهاب في الكلى، من مؤلفاته الرسائل- مقالة في الطبيعة افكاررئيسية – من فلسفته الأخلاق هي نقطة انطلاق كل نظرية فلسفية (موسوعة أعلام الفلسفة، ج1-ص27).

(8) محمد جلال شرف: الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي – دار النهضة العربية ، بيروت – د ط – د ت ،ص 224.

هذا ما كان عن طبيعتها، أما منشؤها، فيبرز **" أفلوطين"** الذي قال بنظرية الفيض حيث استخلصها من فكرة الواحد والمتعدد ، ومفادها : أن الكون له عناصره المتعددة (الماء ، الأرض، الكواكب ، النجوم..) والمتعدد لا بد له من واحد، هذا الواحد هو القوة الأولى والمتعدد هو العالم المعقول، ولكن هذا العالم المعقول لابد له من شخص آخر يمكنه من الحركة ويجعل رابط بين المادة والحس ، فكانت النفس[(1)].

وبناء عليه تقول نظرية الفيض :" في القمة نجد الواحد وعنه يفيض العقل، وعن العقل يفيض النفس وكل مرتبة من هذه المراتب تحتوي جميع الكائنات التي ستتميز في المكان، فالواحد يحوي كل شئ دون تميز، والعقل يحوي جميع الكائنات، لكنها فيه متميزة، متضامنة، بحيث يحتوي كل كائن منها بالقوة على جميع الكائنات الأخرى ، أما في النفس فإن هذه الكائنات تتميز حتى إذا ما وصلت إلى العالم المحسوس انفصلت و انتشرت.."[(2)].

وبعد أن تنتشر في الأبدان تسعى كل نفس إلى إدراك ذاتها وإدراك عالمها، إذن من خلال هذه البوتقة – السعي إلى الإدراك- يتضح لنا أنها دليل على وجودها وإثبات لذاتها.

فقد قال أرسطو في محاولة له إثبات النفس من خلال الإدراك :" حين ندرك شيئا نعني أننا ندركه، وحين نفكر في شئ نعي أننا نفكر فيه، والوعي بأننا ندرك ونفكر هو الوعي أن لنا وجود "[(3)].

(1) حنا الفاخوري، المرجع السابق ،ج1 ، ص 111.
(2)محمد جلال شرف، المرجع السابق ، ج1 ،ص 115.
(3) محمود زيدان: نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلسفة الغرب المعاصرين- دار النهضة العربية ، بيروت- ط1- 1989، ص 106.

وقريب من نظرية الفيض ظهرت **"الغنوصة"**(1) التي كان لها تصورها عن الله وعن نشأة الكون والنفس فهي تضع الله في القمة وهو مفارق للمادة، فعنه صدرت الأيونات، يعني الأرواح على شكل زوجي ذكر وأنثى، وهذه الأيونات تزداد كثافة كلما ابتعدت عن مصدرها الأول (الله) ولكن أيونا من هذه الأيونات أراد أن يصل إلى مقام الله دون أن يتطهر بالغنوص فطرد من عالم المعقول وعنه صدرت أرواح شريرة والعالم المادي المحسوس الذي لم يكن لولا هذه الخطيئة، وهو الذي حبس النفس في الجسم ، غير أن هذه النفوس تحاول أن تصعد إلى مصدرها الأصلي ولكن ذلك صعب جدا.

ومن هنا فإن الغنوصة تقسم النفوس البشرية إلى ثلاث فئات : فئة روحية يمكن لها النجاة لأنها من طبيعة إلهية ، أما الطبقة الثانية فيغلب عليها الجانب المادي ولهذا تبقى في الدرك الأسفل ،أما الفئة الوسطى والتي يتساوى فيها الجانب المادي والروحي فإنها تتأرجح بين النجاة أو البقاء محبوسة في الجسم، ولكن وفي جميع الأحوال كما تدعي الغنوصة فإن النجاح في الوصول إلى مصدر الإشعاع والإشراق فإنه يتوقف على مدى قهر النفس للجسم، والتخلص من أدرانه وشوائبه وهذه هي المعرفة الإشراقية(2) .

---

(1) الغنوصة : هي كلمة يونانية تعني المعرفة المباشرة لأنها لا تكسب عن طريق العقل أو عن طريق الاستدلال ، إنما تكسب مباشرة عن طريق الإشراق (دراسة الإسلام واللغة العربية- أحمد بتاسي- ص:48).

(2) أ حمد بتاسي، تقديم أبو عمران الشيخ رئيس المجلس الإسلامي الأعلى- دراسات في الإسلام واللغة العربية ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.

ولكن حري بهاته النفس التي تسعى للوصول إلى المعرفة من اتخاذها استعدادات تكون مسبوكة متينة البنيان تساعدها لبلوغ غاياتها، وهذه الاستعدادات قد أطلق عليها مصطلح القوى.

والقوى معناه أن الإنسان تتجلى له ذاته من خلال أفعالها، التي يمكننا تحليلها من تصور طبيعة هذه الذات، وهذه الأفعال شديدة التنوع، فإذا التزمنا الدقة وجدنا أن البصر ليس هو الذي يرى، وكذا السمع والعقل وغيرها بل هي النفس، التي تفكر وترى وهي التي تعطي الكائن الحي وجوده [(1)]. ولقد سعى كل فيلسوف إلى تقسيم هذه القوى .

فمثلا **" أفلاطون"** الذي جادت عبقريته بتفصيلات عن النفس البشرية ميز فيها ثلاث قوى: القوة العاقلة : وهي القدرات العقلية العليا، القوة الغضبية :وهي الانفعالات والعواطف، القوة الشهوانية: وهي للذائد والرغبات الحسية، وهي في صراع دائم[(2)] فالقوة الأولى قوة رفيعة مركزها العقل، أما الغضبية فمركزها القلب والأخيرة –الشهوانية- مركزها البطن.

وأما **"أرسطو"** فكان له ينبوعه الخاص ونظرة أخرى في تقسيم النفس، فاعتبرها غاذية يشترك فيها النبات والحيوان ،ونفس حاسة تكون للحيوان وقوة أخرى خاصة بالإنسان فقط وهي العقل[(3)] .

(1) ينظر محمود يعقوبي، فلسفة الطبيعة، الكتاب الثاني خلاصة الميتافزياء، دار الكتاب الحديث، د ط، 1422هـ 2002 م، ص 196

(2) ينظر محمود فهمي زيدان: في النفس والجسد: بحث في الفلسفة المعاصرة ـ دار النهضة العربية،بيروت،دط:1980- ،ص 109.

(3) حنا الفخوري – خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ج2 ،ص 425.

فأما أنها غاذية :فكل كائن له تركيبته الخاصة التي تحتاج الى نمو وحجم له حدود،والنفس على اعتبارها صورة لا مادة هي التي تحدد تلك الحدود.

وأنها حاسة: يختلف الإحساس عن التغذية في أن الغذاء مادة تدخل الجسم وتتحول الى طبيعته أما الإحساس فلا تلتقط الحواس إلا صورة المحسوس.

وأضاف أن النفس يكون فيها عقل قابل لأن يصبح كل شئ وعقل قادر على أن يحدث كل شئ، وهذا الأخير ما يسمى بالملكة* (1) ، باعتبار أن يكون عقل قابل بأن يصبح كل شئ لأنها مصدر التغذية والحاسة والحركة، رغم أنها ثابتة لا تتحرك، ورأي أرسطو أن الحركة تنجم عن الشهوة ،وهي نوعان أولها: الإرادة* * وهي الشهوة العقلية التي تتوق إلى فعل الخير والقوة النزوعية أي البهيمية التي تتوق إلي الخير الظاهر(2).

وهكذا يتبين وجود فرق بين تقسيمات **"أفلاطون"** وتقسيمات **"أرسطو"**، إذ نجد تقسيمات أرسطو عمت جميع الكائنات بما فيها الإنسان، أما أفلاطون فتقسيماته خصت بالنفس البشرية فقط، بالإضافة إلى تلك التقسيمات، هناك تقسيمات أخرى تختص بها النفس الناطقة (العاقلة) حيث نجد لها هي أيضا ثلاثة مدركات : مدركات ظاهرة، وهي الحواس الخمس،

---

*) الملكة : هي مجرد إمكانات واستعدادات حقيقية مختلفة للعمل الحيوي لدى ذات فاعلة وحيدة (فلسفة الطبيعة ،ص 198).

(1) حنا الفاخوري،خليل جر، المرجع السابق، ج1 ،ص: 89.

**) تضم الوقائع الفاعلة التي من أهمها الغريزة والعادة (فلسفة الطبيعة ،ص 200)

(2) ينظر: حنا الفاخوري، خليل جر، المرجع نفسه، ج1، ص 90.

ومدركات باطنة : كالحس المشترك مثل صور المنام ، والخيال، ومدركات فكرية : بها التركيب والتفصيل والاستنباط [1] .

وللنفس عند" **أبيقور**" وظيفتان الواحدة حيوية وهي بث الحياة في الجسم، والأخرى وجدانية، وهي الشعور والفكر والإرادة، الأولى تؤدي بجواهر لطيفة متحركة حارة والثانية
بجواهر ألطف محلها القلب [2].

عمد الروحانيون وعلى -رأسهم أفلاطون- البرهنة على اعتبار النفس عنصر جوهري في الإنسان مستقلة عن البدن، وليست جزءا منه، فهي مبدأ الفيض، ولا تتبدل طبيعتها إذا ما اتصلت بالبدن حتى وإن هرم الجسد الذي يعد سجنا لها وتعمل على تطهير نفسها منه بالحكمة والمعرفة في سبيل السعادة الأبدية، وإذا فني الجسد فإنها تنتقل إلى جسد آخر، فهي خالدة ومحدودة والجسد لا يلائمه إلا الانحلال والفساد[3] .

كما نُقِلَ عن "**أفلاطون**" أيضا كلام آخر عن خلود النفس بعد فناء الجسد، ولكن هذه المرة لا تنقل إلى أجساد أخرى وإنما تمر بمراحل للوصول إلي عالم الربوبية، إلا النفوس النقية فإنها تنتقل إلي ذلك العالم دون الحاجة لها بمرور عبر مراحل، وأما الذي أصابها الدنس فمنها ما يصير إلى فلك القمر، فإذا انتقت ارتفعت إلي عطارد وإذا تهذبت ارتفعت إلى كوكب آخر تقيم به ، وهكذا حتى تصل إلى عالم العقل ثم تصير إلي نور الباري تعالى[4].

(1) ينظر موفق هاشم صفر الحلبي: الاضطرابات النفسية ،ص 20.
(2) محمد جلال شرف، الله والعالم والإنسان ،ص 224.
(3) محمد جلال شرف: المرجع نفيه، ص 228.
(4) أحمد زكي تفاحة : النفس البشرية ونظرية التناسخ – دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي – د ط / 1987 ، ص 20.

أنكر " **أرسطو**" استقلال النفس عن البدن فرأى:" أن العالم الحسي الذي نعيش فيه عالم حقيقي قائم بذاته وليس بظل لعالم آخر..."[(1)] فالجسد والنفس عنصران لا يفترقان من جوهر واحد لأن الجسد تصاحبه ظواهر وهي تظل ناقصة مالم تشمل على صورها التي تحدث في الجسد والصورة هي النفس، وهذا يقودنا إلى القول بفناء النفس مع الجسد لأنها صورة له والصورة لا تبق بفناء مادتها[(2)].

ويـؤيـده في هذا الرأي **"الإسكندر الأفروديسي"**[(3)] الذي يعتبر النفس شيء من
الجسم[(4)].

ولقد بنى أرسطو هذه الفكرة على أساس المادة، فالمادة عنده ليست سوى أمرا نسبيا، إذ يمكن أن تنقلب وتصير شيئا آخر كالخشب مادة للمقعد، ولما كانت المادة كذلك-أمرا نسبيا- أمكن وجود عنصر آخر يحددها ويجعل لها صفات، وهو الصورة، فالمادة هنا هي الخشب، والصورة هي الشكل الذي وضعه الصانع لها، وهذا المثال يقودنا عند أرسطو الى انطباقه على النفس والجسم اللذين يكونان جوهرا واحدا، لا يستقل أحدهما عن الآخر.

ولا يمكن لها -أي النفس- أن تؤدي وظائفها[(5)] لوحدها دون الاستعانة بالجسم، فلهذا لا يصح أن نكوّن جوهرا مستقلا[(6)].

(1) محمد جلال شرف :الله والعالم والإنسان،ص 229.
(2) حنا الفخوري ، خليل جر تاريخ الفلسفة العربية ج1 ،ص 88.
(3) الإسكندر الأفروديسي: عاش بين القرنين الثاني والثالث للميلاد،فيلسوف يوناني عاش بعد الإسكندر الأكبر،كان متقنا للعلوم ، وكان له مجلس عام يدرس فيه الحكمة وأصولها، من مؤلفاته: كتاب السماع الطبيعي ـ الكون والفساد ـ النفس، فلسفته: هو من كبار الحكماء رأيا وعلما وكلامه أمتن ومقالته أرصن، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج1، ص81).
(4) ينظر محمد جلال شرف، الله والعالم والإنسان ،ص 232.
(5) من بين الوظائف الحواس ، التخيل ، التفكير.
(6) ينظر حمو قاسم : في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ،ص 69.

- أما **"الفيثاغوريون** "فيرون أن النفس تنتقل من جسد إلى جسد، وهم الذين قالوا بالتناسخ[1] الذي كان يقول به اليونان، أما عن فلاسفة العرب المسلمين فنلمس تأثرهم الشديد بهذا الفكر اليوناني، وفي معظم الأحيان نجد الترجمة الحرفية للنص الإغريقي، لكن هذا لا يعني أنهم لم يفندوا الآراء ويناقشوها، بل كان لهم منهجهم الخاص المستمد من العقيدة الإسلامية الذي حاولوا به إرضاء الدين والعقل معا، وسنلمح أثر ذلك من خلال آرائهم وأفكارهم.

ونبدأ **"بإخوان الصفا"**[2]: فالنفس في نظرهم جوهرة روحانية سماوية نورانية حية بذاتها، علاّمة بالقوة فعّالة بالطبع، قابلة للتعاليم، فعالة في الأجسام ومستعملة لها، ومتممة للأجسام الحيوانية والنباتية إلي وقت معلوم ثم إنها تاركة لهذه الأجسام أو مفارقة لها وراجعة إلى عنصرها ومبدئها[3] .

وعرفها **"الكندي"**[4] : بأنها جوهر بسيط إلهي روحاني لا طول له، ولا عمق، ولا عرض، ونور من نور الباري[5] فمعنى ذلك أن النفس في الرتبة الوسطى بين العقل الإلهي وبين العلم المادي، و أنها جوهر بسيط تنزل إلى عالم الكون و الفساد وأنه لا ثبات ولا دوام إلا في عالم العقل ولما

---

(1) حنا الفخوري ، خليل الجر تاريخ الفلسفة العربيةج1،ص 161.
(2) إخوان الصفا: هم جماعة ربطت بينهم أواصر الصداقة وكان لهذه الفرقة الفكرية طابع سياسي وديني وقد تركزت في البصرة في القرن العاشر للميلاد، وضمت أبا سليمان البستي، المقدسي ، علي بن هارون الزنجاني، محمد ابن محمد النهروجي والعوفي من مؤلفاتهم هي عبارة عن دائرة المعارف مؤلفة من 51 رسالة تشتمل على علوم العصر -14 رسالة في التهميد والرياضيات- الفلسفة الطبيعية والنفس وغيرها ، من فلسفتهم المبدأ هو العقل ، وكانت لرسائلهم دور كبير في التصوف الإسلامي، (موسوعة أعلام الفلسفة- ج1، ص:59).
(3) حنا الفاخوري، خليل الجبر، المرجع السابق، ج1 ،ص 270.
(4) الكندي:"801م -184هـ/865م -250هـ"أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، ولد في الكوفة،درس في البصرة وبغداد علوم الدين واللغة والأدب والفلسفة، ألم بعلوم الرياضيات والطبيعيات والفلك وغيرها، ذاعت شهرته في عهد المأمون - من مؤلفاته: رسالة في العقل - كتاب الخسوف وغيرها،فلسفته: تأثر بالفلسفة اليونانية وخاصة أرسطو، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، ص969).
(5) حنا الفخوري ، خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ج2 ،ص 121.

كانت من نور الباري إذا حصل وأن فارقت البدن صارت شبيهة به، فتشعر باللذة في ذلك(1).

وأما نظرة **"الفارابي"**(2) للنفس فإنها لا تختلف عن نظرة اليونان، فالنفس تتعدى الإنسـان إلى كائنات أخرى فقال: "هي استكمال أول جسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة"(3) وهي عنده أيضا جوهر روحي غير محسوس وهي حبيسة الجسم(4).

وأما **"ابن سينا"** (5) وهو من الأعلام الذين كان لهم الباع في موضوع النفس وكان في دأب متواصل وجهد دائم للوصول إلى الفكرة الأساسية التي يدور حولها هذا الموضوع، فهي تظل بالنسبة له صورة للمادة، ونستخلص ذلك من قوله:" ...كل ما يكون مبدأ لصدور أفاعيل ... فإننا نسميه نفسا وهذه اللفظة اسم لهذا الشيء لا من حيث هو جوهره، ولكن من جهة إضافة ماله أي من جهة ما هو مبدأ لهذه الأفاعيل..."(6).

فهذه الأفاعيل تكون بالحركة والشيء لا يتحرك إلا بمحرك وهي النفس إذ هي جزء من قوامها، والحركة لا تكون إلا بالفعل أو القوة إذن :"النفس هو ما به يكون النبات والحيوان بالفعل نباتا وحيوانا" "ذات النفس ليس بجسم بل هو جزء للحيوان والنبات هو صورة أو كالصورة أو

(1) ينظر محمد جلال شرف : الله والعالم و الإنسان ،ص 235.
(2) الفارابي:"توقي 339هـ -950م" كان ناطورا في بستان في دمشق - كان دائم الاشتغال بالفلسفة ، كان فقير، ارتحل في شبابه والتح بأمير حلب،اعتزل الناس وعاش عيشة فاضلة حتى وفاته، من مؤلفاته:إحصاء العلوم ، الأخلاق ، البرهان وغيرها، فلسفته:إله واحد
(3) حنا الفاخوري، حليل الجر، المرجع السابق ج2 ،ص122، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، ص824).
(4) علي ماضي:النفس البشرية، تكوينها واضطرابها وعلاجها - دار النهضة العربية - دط/دت، ص: 15
(5) ابن سينا(أخشنة 370 هـ ، 980م – همدان(إيران) 428 هـ ، 1037 م): هو أبو علي الحسين ابن عبد الله ابن سيناء ، الملقب بالشيخ الرئيس ، أشهر أطباء العرب والفلاسفة ، حفظ القرآن والأدب وعلم النحو ومبادئ الشريعة، وعلم الرياضيات والطبيعيات والمنطق وغيرها، هاجر إلى خرسان وخوارزم وداغستان من مؤلفاته : المناظر ، الشقاء ، الناجاة، الإشارات والتنبيهات، (موسوعة أعلام الفلسفة-ج1، ص:29).
(6) ابن سينا : الفن السادس من الطبيعيات (علم النفس) من كتاب الشفاء- د ط، دت ،ص 09.

كالكمال، فنقول الآن أن النفس يصح أن يقال لها ما يصدر عنها الأفعال"[1] ومعنى الكمال عنده طبيعة الجنس تكون ناقصة ما لم تحصلها طبيعة منضافا إليها، فالنفس هي الكمال في ذاتها:"ولأن الكمال كمال للشيء فالنفس كمال الشئ وهذا هو الجسم "[2] . ومعنى الصورة :" نسبة إلى شيء بعيد من ذات الجوهر الحاصل منها وإلى شيء، يكون به جوهر" [3].

ويذهب ابن سينا أيضا إلى اعتبارها جوهرا خفيا يغيب عن الحس تبدو آثارها في الوظائف والقوى التي تنشأ بسبب اتصالها بالبدن[4]، وللتوفيق بين الرأيين تعتبر جوهرا وصورةً في آن واحد، جوهرا في حد ذاته، وصورة من حيث صلتها بالجسم وهي واحدة والحركة والإدراك وهما من آثار النفس[5] .

"والغزالي"[6] : يقرر أن النفس جوهر روحاني قائم بنفسه لا يتحيز وليس بجسم[7].

ويذكر **"الشهرستاني"**[8] في معنى النفس" بأنها جوهر كريم شريف شريف تشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنها دائرة لا بعد لها، و مركزها العقل الذي له أيضا دائرة استدارت على مركزها وهو الخير

(1) المصدر نفسه ، ص ص: 9-10-11.
(2) ابن سينا : الشفاء، ص 15
(3) المصدر نفسه، ص 12.
(4) ينظر حمو قاسم : النفس والعقل لفلاسفة الإغريق ،ص 78.
(5) مصطفى عشوي : مدخل الى علم النفس المعاصر- ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر – دط / دت- ص : 11-12.
(6) الغزالي:"1059م -450هـ/1111م -504هـ"ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزال الشافعي المذهب في مدينة طوس من خرسان، تتلمذ على يد الجويني، زار مكة وصرف عشرة أعوام متنقلا، تزهد مدة من الزمن،ثم ترك خلوته، ثم عاد للتصوف في آخر عمره،من مؤلفاته: جواهر الأدب ـ بداية النهاية ـ المنقذ من الضلال وغيرها،فلسفته: الشك، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، ص794).
(7) ينظر محمد جلال شرف: الله والعالم والإنسان ،ص 271.
(8) الشهرستاني:أبو محمد بن أبي القاسم:"1086م - 478هـ/1153م - 541م" ولد بشهرستان ، متكلم ومؤرخ للأديان والنحل وعالم فارسي، محقق في الفقه والكلام ،من مؤلفاته: الممل والنحل ـ المنهاج والبيان وغيرها، فلسفته:كان حسن المحاورة والوعظ، مذهبه أشعري، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، ص733).

الأول ودائرة العقل لا تتحرك ... بينما دائرة النفس متحركة على مركزها وهو العقل.."[1].

والنفس عند **"المعتزلة"**ليس لها جسم ولا عرض ولا يجوز عليها شيء إنما القدرة والعلم والحياة وهي عندهم علم خالص وإرادة خالصة[2] .

.

وكان **"للأشاعره "** رأي مشابه في روحانية النفس وخلودها، فإمام الحرمين الجويني يرى أن النفس :" جوهر روحي من طبيعة إلهية" [3].

" ابن رشد"[4]: لابن رشد تعريف لا يختلف عن تعريف أرسطو : فالنفس صورة لجسم طبيعي آلي، وهي صورة للجسد ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد ، بل اعتبرها أيضا جوهرا مستقلا، وكان استدلاله على أن النفس ليست بجسم بهذا الاستقراء، أن الله تعالى ليس بجسم فيمكن أن تكون هناك جواهر ليست أجساما كالنفس[5].

لكن ما يُلفت النظر كيف يمكن أن تكون النفس جوهرا مستقلا وصورة للجسم في الوقت نفسه والذي يمكن أن نستنتجه من تشبيهها بذات الله تعال- عند من قال أنها نور من نور تعالى، أو ذاتها تشبه ذات الله-، استحالة معرفة كنها وحقيقتها، واستحالة وقوعها في المعاصي.

(1) محمد جلال شرف: الله والعالم والإنسان ،ص 232.
(2) ينظر محمد جلال شرف :الله والعالم والإنسان، ص 255.
(3) محمد جلال شرف، المرجع نفسه ، ص 256.
(4) ابن رشد:"قرطبة:520هـ -1126م/مراكش:599هـ -1198م":هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، ولد في قرطبة إحدى عواصم الفكر الأندلسي، كان أبوه قاضي قرطبة وعين من بعده ابنه المنصب درس الفيزياء،الطب،علم الفلك،الفلسفة، الرياضيات،أوكل إليه إصلاح القضاء في مراكش،فعرف بـ"سلطان العقول والأذهان"،عاد إلى قرطبة حيث بث مبادئه،اختبئ فترة في مدينة فاس بسبب أفكاره وألقي عليه القبض ،أعيد إلى مراكش، أصيب بمرض عضال ومات،مؤلفاته:تهافت التهافت -كتاب الكون- مختصر المنطق وغيرها، فلسفته: متأثر باليونانية، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج1، ص16).
(5) محمد جلال شرف، المرجع السابق، ص 360.

وعلى القول أنها جوهر ينتج عنه يقظتها الدائمة، إذن أنها لا تنام والنوم الذي نشاهده يسيطر على الجسم، فإنما هو سبب ترك استعمال النفس للحواس وانقباضها، كالنفس في ذاته محصورة ليست مجردة مفصولة على حدة، ولو كانت النفس تنام لما كان الإنسان إذا رأى في نومه شيئا يعلم أنه في النوم، ولما كان باستطاعة الإنسان أن يميز بين النوم واليقظة[1].

وبعد هذه الإطلالة في معنى النفس عند كبار الفلاسفة المسلمين، لابد من التعريج على رأيهم في وجودها وهل نلمس أيضا تأثرهم بالفكر اليوناني، وما ترتب عليه من هذا الفكر.

النشأة تدور ضمن حقل نظرية الفيض، وعلى رأس من أخذ بها: ابن سينا وإخوان الصفا والفارابي، فمثلا "إخوان الصفا" نظريتهم مبنية على أن العالم مقسم إلي قسمين: عالم جسماني، وعالم روحاني الذي هو عالم العقل الفعال والنفس الكلية التي فاضت عنه، وتسمى أيضا بالعقل المنفعل، وهي بدورها فاضت على الأجسام، ونستقرأ ذلك من خلال قولهم:"...مقبلة على علتها العقل الفعال تقبل منه الفيض والفضائل والخيرات، وكانت منعمة متلذذة مستريحة...فلما امتلأت من تلك الفضائل والخيرات أخذها شبه المخاض، فأقبلت تطلب ما تفيض عليه...وكان الجسم فارغا قبل ذلك من الأشكال والصور والنقوش فأقبلت النفس تميز الكثيف من اللطيف وتفيض عليه تلك الفضائل والخيرات، فلما رأى الباري تعالى ذلك منها مكنها من الجسم وهيأ لها، فخلق من ذلك الجسم عالم الأفلاك وأطياف السماوات..."[2] .

(1) أحمد زكي تفاحة : النفس البشرية ونظرية التناسخ، ص 19.
(2) حنا الفخوري ، خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية ج1 ،ص 266.

وأضاف **"ابن سينا"** دليلا على أن النفس فاضت عن العقل الكلي (فعال) الذي هو نور لا جسم له ولا مادة ، بقوله صلى الله وعليه وسلم: (**أول ما خلق الله تعالى العقل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز منك فيك أعطي وبك آخذ وبك أثيب، وبك أعاقب**) (1) وهذا دليل على فيضان الكثرة عن الوحدة المطلقة(2).

وتستوقفنا هنا في آخر الكلام كلمة "الوحدة" فهي تظل من الجزئيات التي تكون قيد ضروريات البحث من خلال نظرية الفيض، فمن قال بوحدة النفس ومن لم يقل بذلك؟

فمن قال بالفيض قال بالوحدة، وكما سبق فالعقل الفعال تقيض عنه النفس الكلية، والنفس الكلية لما امتلأت بالخيرات فاضت على الأجسام وأصبحت نفسا جزئية وهكذا، فالجزء الذي فوق هو في القمة وإشراق أزلي، وأما الجزء الثاني الذي يشارك الجزء الأول يكون في الأدنى، وهذا يعني أن لها جوهر واحد" إن جميع الأنفس ... تريد الانفصال لكنها لا تستطيع الانفصال التام فتحفظ الوحدة مع الفصل..."(3) .

وقال بالوحدة أيضا " **ابن باجة**" (4)، حيث أن للنفس عنده جوهر خاص ويؤمن بالوحدة وينكر التناسخ(5) .

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط في حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين- المغني عن حمل الأسفار ي تخريج ما في الإحياء من أخبار: للإمام زين الدين العراقي في ذيل إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي- دار الفكر بيروت، ط1، 1423-2003م، ج1، ص:79.

(2) محمد جلال شرف :الله والعالم والإنسان ،ص 252.

(3) تاريخ الفلسفة ج1 ،ص 113.

(4) ابن باجة (533 هـ 1138م) من مدينة فاس (المغرب) ، أبو بكر محمد بن يحيا الملقب بابن الصائغ أو ابن باجة، أتقن الطب، الرياضيات ، الفلك ، الموسيقى ، ولد بسرقطة أواخر القرن 11 م ، سافر إلى أشبيلية عام1118 ألف كتب المنطق ، توجه إلى غرناطة استقر في فاس عند المرابطين ، اتهم بالإلحاد وقيل عنه أنه مات مسموما غيرة قرنائه ، من مؤلفاته كتاب السماع الطبيعي لأرسطو طاليس، قول على بعض المقالات الأخيرة من كتاب الحيوان لأرسطو ، رسالة الوداع، (موسوعة أعلام الفلسفة-ج1، ص:10).

(5) ينظر محمد جلال شرف: الله والعالم والإنسان ،ص 315.

وهناك من استدل بالقرآن الكريم على هذه الوحدة[1] لقوله تعالى: (**هُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**)[2]، يعني سيدنا آدم عليه السلام.(**فَمُسْتَقَرّ**): يعني الأرحام،(**مُسْتَوْدَعٌ**):يعني الأصلاب[3].

اعترض "**أبو البركات البغدادي**" على أن النفس واحدة بالشخص في جميع أشخاص الناس يشتركون فيها، ولو كان كذلك لما اختص كل فرد بفعل دون الآخر ولا تميز عنه بحال[4].

لقد كان هذا عن طبيعة النفس ومنشئها أما عن طريقة إثبات وجودها عند فلاسفة الإسلام فلهم هذا الرأي: إن كل موجود ليس من شرطه أن يرى، والرؤية أمر عرضي والدليل وجود الله سبحانه تعالى ولم ير حتى الآن، وهذا لا يبطل وجوده، والمرئي يكون في حيز والنفس لا حيز لها، والمرئي يكون قابلا للألوان والنفس لا تقبل الألوان، إذ اللون مركب[5].

أما "**الغزالي**" فقد برهن على وجودها بالنظر إليها من ناحية الشرع فقال: يخاطب الله تعالى النفوس دائما ويرغبها ويرهبها، والبدن ليس هو المقصود من الخطاب بديهيا فقال :"جميع خطابات الشرع تدل على أن النفس جوهر فإن الألم إن حل بالبدن فلأجل النفس.."[6].

(1) محمد وفا الأميري : آيات الله تعالى: " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " – دار الرضوان – حلب، د.ط، د.ت، ج2 ،ص 289.
(2) سورة الأنعام- الآية:98.
(3) الحافظ ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم - مكتبة دار الريان لجزائر ط1: 1423هـ -2002م- مج:2- ص :1090.
(4) محمد جلال شرف: الله والعالم والإنسان ،ص 301.
(5) ينظر المرجع نفسه، ص 301.
(6) حمو قاسم : في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، ص 85.

وقد تحدث العلماء المسلمون عن قوى النفس فأفاضوا الحديث فيها، وتبحروا في أعماقها كثيرا وسنحاول أن نستقصي الأهم، ولكن قبل أن نتطرق للقوى لابد من أن نعرج على أقسامها حتى تتضح معالمها.

فأبو حامد الغزالي مثل ابن سينا يفرق بين ثلاث نفوس "نباتية، حيوانية، إنسانية" فهو يقول في **النباتية:** " كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يغتذي وينمو ويولد المثل".

و**للحيوانية :**" كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة.."

والإنسانية: " كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي، والاستنباط بالرأي من جهة ما يدرك الأمور الكلية" [(1)].

أما "**الحكيم الترمذي**"[(2)] فقد كانت له تقسيمات عن النفس ولكن اختص بها النفس الإنسانية فقط واعتبرها قسمان: نفس ظاهرة، ونفس الباطنة، فأما الباطنة تابعة لإبليس، وأما الظاهرة فتتبع الملك والحلال ولا تنقاد للهوى وهما في حرب وصراع دائمين[(3)] .

وقوى النفس عند "**ابن رشد**" خمس : نباتية، حساسة، متخلية، ناطقة، نزوعية، فأما الحساسة : البصر والسمع والشم والذوق واللمس، المتخيلة :

(1) حمو قاسم في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ،ص 153.
(2) الحكيم الترمذي:هو أبو عبد الله محمد بن علي،ولد في ترمذ ،فيلسوف متصوف وفقيه من مدينة إيران،اتهم بالزندقة فنفي من مدينته،توفي في:932م -320هـ، من مؤلفاته: ختم الولاية ـ الرياضة وأدب النفس ـ فلسفته: التصوف وفكر روحي، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج1، ص393).
(3) ينظر محمد جلال شرف : كتابا الأعضاء والنفس والعقل والهوى للحكيم الترميذي – تحقيق : وجيه أحمد عبد الله – دار المعرفة الجامعية – د.ط، د.ت، ص : 100-104.

تكون أتم الفعل عند سكون الحواس (النوم)، النزوعية: غرائز وانفعالات[1].

وعند "**الرازي**"[2] فالنفس الإنسانية مقسمة إلى نباتية، وحيوانية وناطقة، فأما النفس النباتية والحيوانية فليس لهما جوهر خاص.

وأما "**الكرماني**"[3] فلا يتفق مع الرازي في ذلك واعتبرها واحدة بالذات وذكر وظائفها، حسية: "تطلب المعارف" وناطقة: " تطلب المعالم الإلهية " [4].

ويشترك "**الكندي**" مع أفلاطون في أنها قوتان: حسية وعقلية وقوى أخرى تتوسطها هي : القوة المصورة ، والغاذية ، والنامية ، والغضبية والشهوانية.

أ- الحسية : هي التي تدرك صور المحسوسات (الأشخاص ، الأشياء).

ب- المتوسطة: وتحتوي مجموعة من العناصر أولها المصورة : تصور الأشياء بدون شكل مجردة من التخطيط ، وتكون عادة في النوم واليقظة ، أما الثانية الشهوانية : و هي التي تتوق الى فعل الشهوات ، الثالثة : الغضبية: التي تحمله على فعل مريب ولكن في نظر الكندي القوة الشهوانية والغضبية هي غير النفس لأنها أعظم من ارتكاب الأخطاء.

---

(1) محمد العربي بوعزيزي : نظرية المعرفة عند الرازي من خلال تفسيره – دار الفكر العربي بيروت – د ط ، د ت ،ص 212-213

(2) الرازي: فخر الدين"1149م -543هـ/1209م -605هـ"فقيه متكلم مفسر للقرآن وفيلسوف، عرف باسم ابن الخطيب نسبة إلى أبيه الذي كان خطيبا، درس علوم اللغة والفقه والتفسير والكلام،أجاد الفارسية، عمل في التدريس،انقطع أواخر أيامه للوعظ وتفسير القرآن، من مؤلفاته:المحصول،أصول الشافعية، مفاتيح الغيب، فلسفته: حاول التوفيق بين الدين والفلسفة، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، ص948).

(3) الكرماني: حميد الدين،له "راحة العقل"فيه محاولة فلسفية لسبر أغوار خلق الكون، توفي:1017م -408هـ، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، ص147).

(4) مصطفى عشوى : مدخل الى علم النفس المعاصر – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- د ط ، د ت، ص 12.

جـ - العقلية : تدرك مبادئ المعلومات أي الأجناس [1] .

لكن الملاحظة التي تتبادر للذهن هي كيف يمكن للكندي أن يعتبر هذه القوى – الغضبية، الشهوانية- من قوى النفس، وفي الوقت نفسه يقول أنها لا تكون هذه القوى من النفس لأن النفس مترفعة عن هذه الأخطاء فماذا يمكن اعتبارها إذن ؟

وأما **"الفارابي"** فقد رأى بأن قوى النفس قوتان محركة ومدركة:

1-المحركة : وهي نوعان : قوة منمية : وتشرك فيها جميع الكائنات من نبات وحيوان وإنسان وتندرج تحتها الغاذية والمربية والمولدة.

قوى نزوعية : وبها النزوع الإنساني من حب وكره، وبغض وخوف وأمن وصداقة ورضى وشهوة .

2- المدركة : وتعتمد على قوى الحواس : من ذوق وشم ، وطعم و بصر، وهي نوعان أيضا متخيلة : تحتفظ رسوم المحسوسات، وناطقة : بها يميز الجميل من القبيح[2] .

فالقوى وأجزؤها ليست متساوية الرتبة في نظره، وأفضلها الناطقة لأنها الصورة الكلية لباقي الصور وهي قادرة على التميز بين الجميل والقبيح "... فالنفس كمال الجسم، والعقل كمال النفس وما الإنسان على الحقيقة إلا العقل"[3].

وتتفرع النفس الإنسانية عند **"ابن سينا"** إلى قوتين : " الواحدة متجهة نحو الجسم، والثانية تتخطى الجسم وتتجه تحو المعرفة النظرية البحتة، والقوة الأولى تدبر الجسم وتديره وترشده في عمله، والقوة الثانية

(1) حنا الفخوري، خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ج2،ص 121.
(2) حنا الفاخوري، المرجع السابق ج2 ، ص 299.
(3) محمد جلال شرف: الله والعالم والإنسان، ص 237.

تتجه نحو المعرفة النظرية البحتة، أي المبادئ العالية، وهي تدرك المعقولات*والمعاني الكلية [1].

ويقول في النجاة: "..النفس تستعمل هذه القوى في استنباط التدابير في الأمور الكائنة والفاسدة واستنباط الصناعات الإنسانية"[2] وقال :" أقسام أفعال النفس ثلاثة : أفعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذية والتربية والتوليد وأفعال تشترك فيها الحيوانات أكثرها أو جلّها ولا حظّ فيها للنبات مثل الإحساس والتخيل والحركة وأفعال تختص بالناس مثل تعقل المعقولات واستنباط الصنائع والتفرقة بين الجميل والقبيح".

وقال :"الاستقصاء فالصواب أن نجعل النباتية جنسا للحيوانية والحيوانية جنسا للإنسانية "[3] تلك هي نظرة العلماء المسلمين لقوى النفس، فكيف كانت نظرتهم للعلاقة بينها وبين الجسد، وما هي نتائج هذه العلاقة خصوصا فيما يتعلق من مسائل أسبقية الوجود وموضوع الفناء والخلود؟.

ومن العلماء الذين تناولوا هذه العلاقة **"الغزالي"**، فله تشبيه مميز في علاقة النفس بالجسم إذ يقول فيه :" إن الجسم يجري من النفس مجرى الثوب من الجسم، فكما أن الجسم يحرك الثوب بواسطة أعضاءه فكذلك النفس تحرك البدن بواسطة قوى خفية ومناسبة"[4].

فهي إذن ليست متصلة بالبدن لأنه من عالم الملك الفاني، بل هي من عالم الملكوت السرمدي[5]، والعلاقة بينهما تعدم إذا انتهت علاقتها بالبدن

*) المعقولات التي يتحدث عنها ابن سينا هي المقدمات التي تقع بها التصديق وليس الاكتساب .
(1) ألبير نصري نادر : ابن سينا والنفس البشرية – نصوص فلسفية – منشورات - ص ص:20- 21
(2) ألبير نصري نادر : النفس البشرية عند ابن سينا – دار المشرق ، بيروت ط 3 / د ت ،ص ص 15-16.
(3) الشفاء، ص 38-41.
(4) محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان ،ص 328.
(5) ينظر حنا الفخوري ، خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ج1،ص 113.

إلى أن يبعثها الله ليوم المعاد فهو شرط لحدوثها وبقائها، لأنه يرى بفناء العالم كله مستدلا بقوله تعالى : (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**)[1]، وتكون إما في نعيم أو شقاء لقوله تعالى : (**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**)[2]، وعودة النفس إلى الجسد ليس بالضرورة أن يكون نفس الجسد فالعبرة:**"**إيجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان **"**[3] ، والنفس تفيض على الجسد عند استعداده لقبولها وتحل به لعناية إلهية[4] بدليل قول تعالى :(**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**)[5].

أضف إلى ذلك أن **"إخوان الصفا"** قالوا بالسبق الوجودي للنفس عن الجسد باعتبارها فاضت عليه وهي لا تفني بفنائه، إذ قالوا: "النفس لا تتمتع إلا بعد مفارقة الجسد لأن موت الجسد ولادة النفس، وذلك أن موت الجسد ليس شيئا سوى مفارقة النفس له، كما أن ولادة الجنين إذا تممت في الرحم صورته وكملت هناك خلقته لم ينتفع في الرحم بل ينتفع بعد الولادة في الحياة الدنيا، كذلك النفس إذا كملت صورتها، وتمت فضائلها بكونها مع الجسد، انتفعت بعد مفارقتها الجسد في الحياة الآخرة، فإذن الموت حكمة، إذ البقاء الأبدي لا يتيسر إلا بعد حصول الموت، فالموت سبب لحياة الأبد، والحياة الدنيا سبب للموت في الحقيقة إذن الإنسان ما لم يدخل في هذا العالم لا يمكن له أن يموت.. **"**[6].

(1) سورة القصص- الآية 88.
(2) سورة الشمس- الآية9-10.
(3) محمد جلال شرف، المرجع السابق، ص 271.
(4) أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة- قدم وعلق: صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية ، بيروت: 1426هـ ،2005 م، ص 186
(5) سورة الحجر- الآية 29.
(6) حنا الفخوري ، خليل الجر تاريخ الفلسفة العربية ، ج1 ،ص 272.

وفي موضوع الخلود هناك نقطة قد تطرقوا لها، مضمونها النفس التي ثقلت بالمعاصي والآثام. فإنها لا تصعد إلى النفس الكلية أي إلى عالم الأفلاك حيث سعادتها وإنما تبقى معلقة بين السماء والأرض ثم تتعلق بالأجسام المظلمة ، وهذا مخالف لما جاء به **"الكندي"** الذي قال بعدم خلود النفس في الشقاء [1].

ويشبه **"الفارابي"** الصلة بينهما كالسجين بسجنه، وينفي وجود النفس قبل البدن ، فقد قال في كتابه الثمرة المرضية :" ولا يجوز وجود النفس قبل البدن كما قال أفلاطون، ولا يجوز انتقال النفس من جسد الى جسد كما يقول التناسخيون، وللنفس بعد البدن سعادات وشقاوات، وهذه الأحوال متفاوتة للنفوس وهي أمور لها مستحقة"[2] .

وفي مسألة بقائها وفنائها قسمها إلى ثلاث فئات: فئة عرفت السعادة وعملت على وصولها فهي خالدة في السعادة، وفئة عرفت السعادة ولم تعمل عليها فهي خالدة في الشقاء وفئة لم تعرفها ولم تبلغها، فهي فانية بفناء الجسد، وقد أيده في هذا الرأي **ابن طفيل*** [3] .

أما **"ابن سينا"** فيرى أن النفس حلت بالبدن كارهة ثم ألفته واتبعته حتى صار يعز عليها فراقه وأنها لم تغادر عالمها الأول لتكفر عما ارتكبت من خطايا ولكن هبوطها كان لحكمة إلهية[4] .

---

(1) المرجع نفسه ج1 ، ص74.
(2) ينظر النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ،ص 74 .
*) ابن طفيل : (قادش 494 هـ - 1100م – مراكش : 580هـ - 1185م) :هو أبو بكر محمد ابن عبد الملك بن طفيل القيسي، ولد في قاديش ، اشتهر بالطب ، الرياضيات ، الشعر ، صار وزيرا وطبيبا- من مؤلفاته : رسالة حي ابن يقضان – فلسفته : علاقة النفس بالعقل، (موسوعة أعلام الفلسفة-ج1، ص:37).
(3) ينظر النفس والعقل لفلاسفة الإغريق ،ص 78.
(4) المرجع نفسه ، ص 79.

وينفي وجود النفس قبل البدن بدليل أنه لو وجدت الأنفس قبل الأبدان لكانت إما كثيرة أو ذاتا واحدة، وكلا الاحتمالين عنده باطل وهذا حسبما أكده في كتاب النجاة : "النفس تحدث كلما حدث البدن الصالح لاستعمالها إياه، ويكون البدن الحادث مملكتها وآلتها"[1]

والنفس عند **"ابن رشد"** لا تفعل ولا تنفعل إلا بالجسد [2].

وأما **"المعتزلة"** فيرون أن العلاقة بين النفس والجسم إنما تتم بواسطة الروح المنتشر في البدن.

بينما يرى **"الأشاعرة"** أن النفس لا تفنى بفناء البدن، وبعد الموت تصعد أرواح الطائعين إلى الجنة وتذهب أرواح العاصين إلي النار[3].

وعند **"الصوفية"** ليس هناك قديم سوى الحق تعالى، وهذا يدل على أن النفس حادثة، أما علاقتها بالبدن علاقة شوقيه لا يبطل ببطلاتها الجوهر، ونفوس الأشقياء، تتعذب بالجهل أما الصالحات فتنال جوار الله مالا عين رأت ولا أذن سمعت [4] أي تبقى النفس في عالم البرزخ مشتملة على عناصرها الثلاثة : العقل والقلب والروح وبالقلب تدرك العوالم المحيطية بها، أما الروح فهي المغذية والمحرك، وبما أنهم –العقل والقلب والروح- أمور غير حسية فيسهل اتصالهم ببعضهم وتجد صاحبهم يزداد علما بعد موته[5].

---

(1) ألبير نصري نادر : ابن سينا والنفس البشرية ،ص 25.
(2) علي ماضي النفس البشرية وتكونها واضطراباتها وعلاجها ،ص 16.
(3) محمد جلال شرف : الله العالم والإنسان ،ص 255-256.
(4) محي الدين الطعمي : إحياء علوم الصوفية – مكتبة الثقافة ، بيروت ، ط1 : 1414 هـ 1994 م مج 2 ،ص 19.
(5) محمد وفا الآميري آيات الله ،ص 287.

الفرق بين النفس والعقل والروح والجسد:

لقد شغلت هذه الأمور: النفس والروح والعقل و الجسد ، عقول الفلاسفة والعلماء ورجال الأديان فترة طويلة من الزمن، وآثرت النقاش المرير والجدال الطويل، وقد عمت المناقشات في هذه السماء أرجاء كبيرة من مغارب الأرض ومشارفها، فكان من آثار ذلك الكتب الضخمة والمؤلفات العديدة التي بحثت في النفس والروح والعقل ومع ذلك لم يتوصلوا إلى تعريف شامل جامع لهذه القضايا.

فالقلب له عدة تعاريف كلها تصب في معناه، منها: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر في باطنه تجويف فيه دم وهو منبع الروح الحيواني، ومنها: لطيفة ربانية روحانية وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان المدرك العالم :المخاطب والمطالب والمثاب والمعاقب[1]، ومنها أيضا الروح الإنساني المتحمل لأمة الله ،المتحلي بالمعرفة المركوز فيه العلم بالفطرة، الناطق بالتوحيد لقوله تعالى : (**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) [2].

أما **الروح** : فهي كتلة متماسكة لطيفة تخترق الأشياء الكثيفة لا تشبه النور، بل هي بيضاء، داكنة اللون قليلا، قادرة على الحركة والاتصال، وتستطيع الانفصال عن الجسد (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ**

(1) حنا الفاخوري ، خليل الجر تاريخ الفلسفة العربية ، ج2 ،ص 295.
(2) أبو حامد الغزالي : معارج القدس في مدارج النفس ،ص 18.

مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1]، وهي تشعر بالثقل كما أن النفس تحس بثقل الأرواح عليها[2] .

قال **"ابن طفيل"** في ذكر الفرق بين النفس والروح : الروح هو من آمر الله وهو الذي يسكن القلب وهو مبدأ الحياة أما النفس فهي الذات المدركة العاقلة في الإنسان[3]، وهي تعطي صفاتها للجسد لكي تستطيع أن تكون به، والقدرة التي تعطيها أو تمنحها الروح للمادة تجعل هذه الأخيرة تحيا في عالم الأولى أي أن تمتد به، وهذه القدرة هي النفس، فالنفس هي الصلة التي تجمع بين العنصرين[4].

وأما **الجسم** فهو المؤتلف من المواد والعناصر الحاملة لروحه ونفسه، وهو الشكل المنتصب ذو الوجه واليدين والرجلين[5]، كما أنه ظاهرة متعددة الأبعاد ومركبة غاية التركيب [6] .

وأما **العقل** : هو الذي يقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها، ويستدل بظواهر الأمور على ما وراءها ويتوصل إلى معرفة الله، والقلب يسير وراءه فيحب الخير الذي أثبت العقل أنه خير والعكس، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس بخفقات القلب وعواطفه، ولولا القلب لظل بنيان الفضائل مجرد رسوم، فالعقل هو القدرة الكاشفة والقلب هو القدرة

---

(1) سورة الزمر- الآية:42.
(2) ينظر محمد وفا الأميري : آيات الله تعالى ،ص 238.
(3) محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان ،ص 328..
(4) ندرة اليازجي : مقالة في العقل والنفس والروح- دار اليقظة العربية دط / دت ،ص 61
(5) المصدر نفسه، ص 279.
(6) عبد الوهاب المسيري : الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان- دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر دمشق – ط1 : 1423 هـ 203 م ،ص 13.

الدافعة(1) وأنه يدرك يعني يتصور الفكرة ويفترض لها معرفة بسيطة وينطلق منها(2) .

و**النفس** أيضا قد يراد بها الصفات المذمومة،وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية (3).

والحقيقة التي يمكن إدراكها أن مفهوم النفس عند المسلمين ليست إلا خلاصة لمفاهيم علماء اليونان والإغريق التي أنكرها علماء العقيدة الإسلامية، وعلى رأسهم شيخ الإسلام**"ابن التيمية"**(4) حيث أخذ على عاتقه مهمة دحض الأقوال التي خلط فيها بين الإسلام والفلسفة الإغريقية، فموقفه إسلامي خالي من أي فلسفات يونانية أو أجنبية بالأحرى، ويقيدها بالعقيدة الإسلامية، فأبطل ما تزعمه الفلاسفة من أن النفس تكمل بمجرد اكتمال العلم فقد قال: "...النفس تكمل بمجرد العلم، كما زعموه، مع أنه قول باطل...فلا تكمل نفس فقط إلا بعبادة الله وحده لا شريك له "(5)، ومن أجل معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس، يذهب في قوله أن الرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكمليها لا بتغيرها وتحويلها:"والعبادة تجمع معرفته ومحبته والعبودية له، وبهذا بعث الله الرسل ... والعبادات التي أمر بها الرسل، مقصودها إصلاح النفس لتستعد للعلم ..." كما أبطل نظرية الفيض، أما

(1) محمد سعيد رمضان البوطي: من الفكر والقلب- فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب – دار الهدى – دط/دت، ص 96

(2) علي سامي النشار : المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضر – دار المعرفة الجامعية – دط : 1999 .

(3) نجده عند الصوفية ، افضل الجهاد النفس .

(4) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية"حران661هـ -1263م - دمشق:728هـ - 1328م"فقيه اتبع المذهب الحنبلي،سافر إلى مصر:705هـ -1305م،حيث وضع رسالته المعروفة"رد المنطقيين" حكم عليه بالسجن مرتين لأنه اتهم بالتجسيم والتشبيه والانتقاص من مقام النبي، وقد توفي في سجنه في دمشق ،مؤلفاته:رد المنطقيين - منهاج السنة وغيرها، فلسفته:حارب الفلسفة اليونانية والمسيحية واليهودية ودعاوى أعلام فلاسفة الإسلام، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج1، ص9).

(5) ابن تيمية : مجموع فتاوي -ترتيب عبد الرحمان بن محمد بن القاسم – مكتبة المعارف الرباط – كتاب المنطق – مج 9، ص 136

مسألة خلود النفس، رأى أنها -النفس- قائمة بنفسها باقية بعد الموت منعمة أو معذبة حيث قال:"ولا تنجو به -أي العلم- من العذاب، ولا تنال به السعادة..." ولكنها تلتذ به: "... فإن الإنسان يلتذ بعلم ..."، ثم تعاد إلى الأبدان وأبطل من قال أن النفس عرض في البدن أو جزء منه[(1)]: " فالنفس هي من باب ما يقوم بنفسه التي تسمى جوهرا وعينا قائمة بنفسها، ليست من باب الأعراض...".

فنجده يقر أن :" النفس مفارقة للبدن بالموت، وليست جزءا من أجزاء البدن... عند سلف الأمة وأئمتها..." كما أنكر وجود نفوس كثيرة كنفس الفلك وغيرها.

أما العقل عنده فهو صفة "...إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن بقوله تعالى : (**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)[(2)]..." وآيات أخرى دلت عليه "... فالعقل...إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: (**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**)"[(3)] "... وقد يراد بالعقل نفس الغريزة..."[(4)] .

ولقد فرق ابن تيمية بين النفس والروح من خلال الأحاديث بهذا القول:" ... فقد سمى المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا، وسمى المعروج به إلى السماء روحا ونفسا، لكن يسمى -الله تعال- نفسا

(1) المصدر السابق – مج 9 ،ص 293 .
(2) سورة يوسف، الآية 2.
(3) سورة الملك، الآية 10.
(4) ينظر فتوى ابن تيمية – مج 9 ،ص 273 -286.



باعتبار تدبيره للبدن ويسمى روحا باعتبار لطفه، فإن لفظ الروح يقتضي اللطف..."[1].

كما قال عن العقل والقلب:" ... مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب" على أساس أن موقع العقل هو الدماغ، "والعقل يراد به أيضا العلم ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة واصل الإرادة في القلب..."[2].

ذلك هو موقف علماء الإسلام وفلاسفته أوردناه بإيجاز عما يتعلق بالنفس، فماذا عن موقف المفكرين الغربيين.

---

(1) المصدر نفسه ، ص: 290.
(2) المصدر نفسه، ص 304.

"**فديكارت** [1] مثلا يجعل الفكر هو ماهية النفس[2] و"**كنط**"[3] يسمي النفس التي تحس بها وحالاتها النفس التجريبية ويبرهن بها على وجود العالم[4]، كما جعل ديكارت أيضا النفس والعقل مترادفين[5] .

أما "**فرويد**"[6] فقسم النفس ثلاثة أقسام، واقعية: شخصية الإنسان الظاهرة للعيان، النفس الدنيا:، تحتوي الميول و الرغبات الفطرية، النفس العليا : مثالية تجنح للكمال[7] .

تلك هي نظرة بعض العلماء الغربيين للنفس البشرية، أشرنا إليها لتكملة هذا الموضوع.

النفس البشرية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

إن النفس البشرية قد أولاها الدين الإسلامي عناية وأهمية فائقتين، إذ أن بالنفس كان الإنسان إنسانا، فإذا هذبت وأصلحت بالتوجيهات الإلهية والتعاليم الربانية سعد صاحبها في الدارين، وإذا أهملها وانساق خلف شهواته ورغباته وغرائزه شقى، ومن أجل هذا اعتنى القرآن بها عناية

---

(1) ديكارت"لاهاي، توران: 1596م - 1004هـ/ستوكهولم1650م -1060هـ"فيلسوف ورياضي فرنسي متحدر من عائلة ميسورة وبورجوازية،لنخرط كمتطوع في جيش موريس، كان كثير السفر ،استقر في السويد بطلب من ملكتها ومات في هناك مؤلفاته: بحث في الإنسان، أهواء النفس، المبادئ الفلسفية وغيرها،فلسفته:إزدواحية بين العلمية و الميتافيزيقية، (موسوعة أعلام الفلسفة-ج1، ص:451).
(2) محمود يعقوبي : فلسفة الطبيعة ،ص 156.
(3) محمود زيدان : نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلسفة الغرب المعاصرين ،ص 213.
(4) كانط: بذونيغسبرغ:1724م -1136هـ/1804م- 1219هـ"من عائلة فقيرة، درس الفلسفة والعلوم،كان يكسب عيشه بدروس خصوصية،عين معيدا بالجامعة،ثم عميدا ثم رئيسا، تقاعد 1796، مؤلفاته:نقد العقل الخالص –المقدمات- نقد الحكم وغيرها، فلسفته: نقدية تحليل المعرفة، (موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، ص938).
(5) محمود فهمي زيدان : في النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة- دار النهضة العربية ، بيروت ، دط 1980، ص 112.
(6) فرويد سغموند:1939/1856:عالم نفسي نمساوي، تلقى تعليمه في فينا وباريس، عمل أستاذ،هاجر إلى إنجلترا أثناء اضطهاد النازي وعاش بها بقية حياته، أسس علم التحليل النفسي،اشتهر باعتماده على تفسير الأحلام كأسلوب لتشخيص أنواع الخلل العقلي، مؤلفاته: تفسير الأحلام، (موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين، ص:282).
(7) أحمد زكي تفاحة : النفس البشرية ونظرية التناسخ ،ص 52.

عظيمة فكانت إشاراته إليها تتسم بالشمولية المتكاملة التي بلغت حد الإعجاز.

والمتتبع للفظة النفس في القرآن الكريم يقف عليها مترددة بصيغ مختلفة، وذلك حسب مواقعها في النظم الحكيم:" نفس، نفسا، نفسك، نفسه، نفسها، نفسي، النفوس، نفوسكم، الأنفس، أنفسكم، أنفسنا، أنفسهم، أنفسهن"[(1)].

وجاءت أيضا بمعان مختلفة حسب السياق القرآني، ففي قوله تعالى: (**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)** [(2)] دلت على ذات الله تعالى،كما جاءت لتشير إلى أشخاص بالذات كالأنبياء، وغيرهم.

ففي قوله تعالى: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي)** [(3)] قصد بها بها سيدنا موسى عليه السلام، و في قوله تعالى : (**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي)**[(4)] قصد بها سيدنا عيسى عليه السلام.

كما جاءت للدلالة على سيدنا آدم عليه السلام في قوله تعالى: (**الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)** [(5)].

ومن الأشخاص شخصية قابيل في قوله تعالى : (**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ)**[(6)] .

وشخصية الملكة بلقيس في قوله تعالى : (**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي)** [(7)] .

(1) عزت عبد العظيم الطويل : معالم علم النفس المعاصر- دار المعرفة الجامعية – ط3 : 1999 ، ص 40.
(2) سورة الأنعام: الآية 54.
(3) سورة المائدة : الآية 25.
(4) سورة المائدة : 116.
(5) سورة النساء : الآية 1 .
(6) سورة الما ئد ة الآية 30.
(7) سورة النمل : الآية 44.

وأريد بها الرسول محمد صلى الله وعليه وسلم في قوله تعالى: (**وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ)**[1] .

وجاءت للدلالة على معنى الحق (**أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ)** [2] يعني من قتل نفسا بغير وجه حق أو سبب.

أو جاءت بمعنى غضب الله تعالى : (**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ)** [3] أي نقمته وغضبه.

كما جاءت للدلالة على الأهل والقوم كما في قوله تعالى على لسان الملك وكان الحديث عن سيدنا يوسف عليه السلام **:** (**أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)** [4] أي خاصتي وأهل مشورتي وقوله تعالى: (**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ)** [5] أي من بينكم ومن قومكم .

وكانت تدل أحيانا على أن الإنسان كائن حي يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب، وأحيانا على طويته نحو قوله تعالى : (**هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ)**[6]، وقوله تعالى: (**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ)**[7]، وقوله تعالى: (**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ)**[8]، وقوله تعالى: (**قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي)**[9]، وقوله تعالى: (**لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا)**[10].

(1) سورة التوبة : الآية 120.
(2) سورة المائدة الآية32.
(3) سورة آل عمران : الآية 28.
(4) سورة يوسف : الآية 54.
(5) سورة التوبة: الآية 128 .
(6) سورة التوبة: الآية 35.
(7) سورة يونس: الآية 30.
(8) سورة هود: الآية 101.
(9) سورة يوسف : الآية26
(10) سورة البقرة: الآية 233.

والقرآن الكريم[1] ثريٌّ بالآيات التي وردت فيها لفظة النفس ولكني آثرت أن أركز على بعضها خدمة للموضوع، لأنني لو فعلت ذلك لحددت الآيات التي تخاطب النفس، مع الإشارة أن هناك آيات لم تذكر فيها هذه اللفظة صراحة وفيها خطاب الوجدان والكيان، وهي لا تتضح إلا من خلال سياق الكلام.

أما الحديث الشريف فقد وردت فيه لفظة النفس بمعان كثيرة[2]، كما هو الحال في القرآن الكريم، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى أهمية النفس الإنسانية وعظم أمرها عند الله تعالى وعند رسوله.

فقد جاءت بمعنى الوجدان أو السلوك أو الشعور أو الإحساس، وهو ما يجيش بخاطر الفرد ويشعر به وينفعل، كما أشار ذلك أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على ما كان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة،فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**) [3] .

وجاءت بمعنى الذات الإنسانية: أي ذاته التي بها يحكم الأمور وهو المسئول عنها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(1) ينظر التفاسير : تفسير ابن كثير –تفسير الجلالين، وغيرها ، فهذا الاستقراء لتنوع لفظة النفس ومعانيها استنتجته من خلال البحث في التفاسير.

(2) ينظر سعد رياض :علم النفس في الحديث الشريف ـ مؤسسة أقرأ:1425هـ ـ 2004م ـ ص ص:29- 36 .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه- ج1- كتاب التهجد- باب : عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل الليل- ص:223.

("إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل"، فقلت: نعم، قال: "إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونفهت له النفس، لا صام من صام الدهر، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله"، قلت:فإني أطيق أكثر من ذلك، قال: "فصم صوم داود عليه السلام: كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى) [1].

وجاءت لفظة النفس بمعنى الروح والإنسان: فلا يجب أن تقتل أو تهان، عن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر – أو سئل عن الكبائر- فقال: **(الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور أوشهادة الزور)**[2] .

تلك بعض المعاني للفظة النفس في الحديث النبوي الشريف، أوردتها على سبيل المثال لا الحصر، فذاك موضوع يطول الحديث فيه، بل يحتاج إلى بحث مستقل.

والله سبحانه وتعالى حين ذكر النفس البشرية ،دعا إلى التفكير فيها فقال:**(َفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)**، بل وأقسم سبحانه بها فقال: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)**[3]، فهنا يبرز عظم قدر العباد[4].

فمخاطبة الله تعالى للجميع تتجلى فيها هذه الحقيقة، حقيقة الإنسان، والخطاب لا يعتمد على طريق واحد ووسيلة واحدة للتواصل مع هذا الكيان، والله تعالى أدرى بما في نفوس عباده فهو خالقهم وواجدهم، وهو

(1) أخرجه البخاري في صحيحه- ج1- كتاب الصوم- باب: صوم داود عليه السلام- ص:383.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه- ج4- كتاب الآداب- باب: عقوق الوالدين من الكبائر- ص1204.
(3) سورة الشمس، الآية 7.
(4) عبادة بن أيوب الكبيسي : أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، سلسلة الدراسات القرآنية "1" –ط: 1422/2-2001م – ص 78.

أعلم بالمقامات الملائمة لكل حال، فكان نتاج ذلك أن تأثرت النفوس بكلامه تعالى وانقادت إليه، راغبة لا راهبة، راضية بحكمة وكلامه مقتنعة معجبة بإعجازه، و ذلك كله في خطابه لهم.

إذن ما مفهوم الخطاب ؟، وبما هي أوجهه ؟، وبماذا امتاز الخطاب القرآني عن غيره من الكلام؟ وأين يكمن إعجازه؟، ما هي بيئة هؤلاء الناس الذين استطاع "الله تعالى" إن يبهرهم بكلامه ويعجزهم فيه ؟.

تمهيد:

إن الفكرة بحاجة إلى تجسيم، وتجسيمها يتم عن طريق الألفاظ، فالفكر اتصال، وكل اتصال ينطوي على الاختلاط، فلكي يصبح الفكر متميزا، لابد له أن يتناثر في كلمات[1]، تلك الكلمات تخرج لتعبر عما يجول بخاطر صاحبها ولتصل إلى المتلقي ليفهمها، ولهذا كان التخاطب بين الأفراد وسيلة لتواصلهم واحتكاكهم ببعضهم، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[2] .

المبحث الأول : ماهية الخطاب

إنّ معرفة الخطاب من حيث مضمونه وموضوعه، ضرورة حيوية في عملية الفهم، فلا أحد يستطيع أن ينازع في أنها على الأقل تشكل لبنة أولى من لبنات الفهم، إذ بتحديد مضمون الخطاب وموضوعه الذي يتحدث عنه، تكون عملية الفهم يسيرة على مستوى الألفاظ ودلالتها، أو على مستوى ما يحيط بها من ضوابط تتحكم في تلك الدلالة، ومن أجل ذلك- أي معرفة المضمون والموضوع - لابّد من معرفة الخطاب و تبيان مفهومه وعناصره وأقسامه.

(1) عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن ـ مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله تونس ، دط/1980- ص:68.,

(2) سورة الحجرات ، الآية: 13

المطلب الأول : مفهوم الخطاب

لقد اختلف العلماء في تحديد مفهوم الخطاب ،وذهب كل واحد يعطيه تعريفا أو دلالة على حسب المجال الذي برع فيه، ولكن رغم ذلك نجد معظم هذه التعاريف تكاد تصب في قالب مشترك وسيتبين هذا من خلال مجموعة من التعاريف أوردها كالتالي:

فالخطاب أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم.

والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام، مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان [1]. وأشير هنا إلى مصطلحات قد تكون متشابهة مع لفظ الخطاب، منها: الخبر والقول والكلام فالخبر : هو كلام المحتمل للصدق والكذب[2].

والقول : هو اللفظ المركب في القضية الملفوظة أو المفهوم المركب العقلي في القضية المعقولة[3]. وأصله كل لفظ نطق به اللسان، تاما كان أو ناقصا، فالتام هو المفيد، والناقص ما كان ضد ذلك[4]. وأما الكلام فهو لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وعليه فكل كلام قول وليس كل قول كلام[5].

وعلى هذا الأساس فالإمام الجو يني يرى أن: " الكلام والخطاب، والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة، كما يرى أن الكتابة

---

(1) ابن منظور : لسان العرب – دار صادر بيروت – مج 2 – ط1 : 1997 – ص : 275.
(2) علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ، ضبطه بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت –ط1: 1411هـ-1991- -ص :110.
(3) المصدر نفسه، ص 194.
(4) أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص – تحقيق : محمد علي النجار- المكتبة العلمية –ج1- ص17.
(5) المصدر نفسه، ص :19.

والعبارة يسميان أيضا كلاما مجازا،لأنه يفهم بهما الكلام[1]، وعليه فمصطلح الخطاب تعود جذوره إلى عنصري اللغة والكلام.

واللغة عموما، نظام من الرموز يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه، والكلام إنجاز لغوي فردي يتوجه به المتكلم إلى شخص آخر يدعى المخاطب.

ومن هنا تولد مصطلح الخطاب فهو إذن: رسالة لغوية يبثها المتكلم إلى المتلقي فيستقبلها ويفك رموزها[2]، حتى وإن اتسعت دائرة التواصل حيث باتت الصورة والمقال والمطبوعات، وشملت ما يسمى وسائل السمع والبصر، لكن دور اللغة يظل أساسيا في عملية المخاطبة لأنها عملية تقوم على الإدراك واستيعاب الرسالة.

في هذا المعنى يقول المتنبي:[3]

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالفرق بين الكلام واللغة: أن الكلام أداء فردي في إطار اجتماعي، وهذا الأخير هو اللغة، وحين يتكلم يتم في صورتين إما النطق أو الكتابة[4] .

ولما كان الخطاب مرادفا للكلام سواء كان ملفوظا أو مكتوبا[5]، كان الكلام اسما مشتركا قد يطلق على الألفاظ الدالة على مافي النفس، تقول

(1) إدريس حمادي : الخطاب الشرعي وطرق استمارة - الدار البيضاء ،ط1994/1 ،ص 21.
(2) محمود كراكي : خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس - دراسة صوتية تركيبية - دار هومة، ط 1999/ ،ص 21.
(3) المتنبي :915-965م/303-345هـ:ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي بالكوفة،كان شاعرا،قدم الشام واشتغل في فنون الأدب، سمي بالمتنبي لأنه ادعى النبوة، لحق سيف الدولة بن حمدان، وبعدها سار إلى دمشق ثم مصر، مات مقتولا، (ديوان المتنبي ص:5-6).
(4) تمام حسن : اللغة العربية معناها ومبناها - عالم الكتب ط2/ 1418هـ-1998 ،ص 46.
(5) ليس يدخل في غايتنا شرح كيف يتم عملية الكتابة أو تلقي الضوء على رموز ها فذلك أمر تهتم به دراسات أخرى.

سمعت كلام فلان وفصاحته، وقد يطلق على مدلول العبارات وهي المعاني التي في النفس، لأنه مُخرج ما قد استقر فيها، ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن، ولا تتملك قلب السامع إنما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه بعذوبة مسمعه ورقة حواشيه(1).

وقد قيل فيه بأنه " الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئا"، غير أن الآمدي رأى بأن التعريف لا يتسم بالدقة لأنه يدخل الكلام الذي لم يقصد المتكلم به الإفهام، والحق أنه : "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"، ولو قصد غير ذلك لكان عبثا، فأحرز من ذلك الحركات والإشارات، فهي ليست من الخطاب لأنها ليست لفظا، وكذلك الألفاظ المهملة لأنها غير متواضع عليها، كما أن الكلام الذي يوجه لمن هو ليس متهيئا للفهم كالنائم ونحوه ليس كذلك من الخطاب(2)، "لأن الفائدة من الخطاب هي إفهام المخاطب" يعني ألا يكون لغوا، بمعنى حصول الفائدة وتمامها، فيكون عبارات يمكن للسامع أن يكتفي بجزء منها دون الحاجة إلى أجزاء أخرى(3) .

وقيل فيه أنه: المبحوث عنه مما يقع به التخاطب ويصح فيه التساؤل والتجارب، ويمكن توجيهه للإفهام وبيان المقصد والإفهام.

وننبه هنا إلى أن الخطاب النفسي إذا ربطناه بالقرآن يكون أمرا أزليا، ويظل رهن الغيب، مع الإشارة إلى أن الخطاب اللفظي لا ينافي الخطاب النفسي، وذلك لـ: إتحاد الكلام النفسي والكلام اللفظي بالذات، وأن البحث

(1) ابن جني : الخصائص –ص :27.
(2) الآمدي : الأحكام في أصول الأحكام- تحقيق: سيد الجميلي- دار الكتاب العربي بيروت- ط2: 1406هـ1986م- مج1- ص:136.
(3) إبراهيم أ نيس : من أسرار اللغة - مكتبة أنجلو المصرية ، ط1966/3 ، ص 261.

عن أحدهما بحث عن الآخر، غاية الأمر أن اللفظي هو الذي علمناه ووقفنا تمام الوقوف على مدلولاته، وهو الذي يصح فيه التساؤل والتجاوب، والخطاب أخذ على إطلاقه وذلك لتنوع الخطاب من حيث هو: نفسي ولفظي، لأن المخاطب يحدث في نفسه قبل التلفظ بمعناها، ثم يعبر عنه بلفظ أو كتابة أو إشارة، وذلك هو الكلام النفسي (1) .

مع العلم أن أحوال النفس تبلغ من العمق والتعقيد ما يجعلها تمتنع في كثير من الأحيان عن أن تتلخص في خطاب لفظي قوامه كلمات أو جمل أو حتى نصوص، وآية ذلك أننا نسمع أحدهم يقول :

" عجزت لك بالتعبير بلساني عن ذات نفسي".

الأمر الذي جعل أصحاب اللسان يعتبرون اللغة مجرد رموز وإشارات تعبر عن حقيقة نفسية وشعورية أوسع نطاقا وأعمق غورا.

وفي الأخير يمكن القول أن الكلام يأتي لإبانة مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أ قلّ، وهو إمّا حديث يدور بين الناس، وهدفه إصلاح شؤون المعيشية، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع، وذلك ما يسمى (المحادثة)، أو لغة (التخاطبِ)، وإما خطاب من فصيح نابه يلقيه على جماعة في أمر ذي بال وهو ما يسمى (الخطابة)، وإما كلام نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ به أو لحفظه الخلف، أو لبعد الشُقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمى (الكتابة).

وعلى ذلك، فإما أن يكون كلاما موزونا مقفى يطلق عليه النظم، أو يكون كلاما خاليا من التزام التقفية في أواخر عباراته ويسمى النثر

(1) ينظر إدريس حمادي : الخطاب الشرعي ،ص 24.

المرسل، وإما أن يكون حروفا ملزمة في آخر كل فقرتين منها أو أكثر، فيسمى السجع ، ويحسن وقعه في الأسماع وتأثيره في الطباع[(1)] .

كما أن الخطاب قد يتنوع على حسب الحال أو الظرف الذي يقع فيه الكلام أو الموضوع الذي يدور حوله، فيكون تارة إخبارا عن أمر ما،أو يأتي على شكل نهي أو طلب أو استفهام وغيرها، وهذا ما يدخل في أقسام الخطاب، فما هي أقسامه؟ وما هي خصائصه؟

المطلب الثاني: أقسام الخطاب

ذهب البلاغيون إلى أن الخطاب ضربان: هما الأمر وما في معناه، والخبر وما في معناه أو بتعبير آخر الخبر والإنشاء[(2)] .

فأما الإنشاء: فهو ما دلُ على أمر، أو نهي، أو سؤال، أو دعاء، أو استفهام، أو نداء، أو تمني، أو ترجي، أو عرض، أو حض، أو نفيّ، فكان الإنشاء من أضرب الأمر، لأنهم رأوا أن النهي والاستفهام والاستخبار فيما معناها طلب في معنى الأمر وكذا النداء والعرض وغيره. وهو ما لا يحتمل الصدق والكذب[(3)].

وأمّا الخبر: مشتق من الخبار، و هي الأرض الرخوة، لأن الخبر يثير الفائدة، كما أن الأرض الخبار تثير الغبار عند إثارتها حافر أو غيره.

اصطلاحا : هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، وهذا القول مخرج للإنشاء.

---

(1) السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج2 ، مؤسسة المعارف ، د/ط ، د/ت .
(2) إدريس حمادي، المرجع السابق، ص 27.
(3) محمد حسن هيتو : الوجيز في أصول التشريع الإسلامي- مؤسسة الرسالة - ط1/ 1421هـ -2000 م - ص 285.

والقول لذاته: مخرج لخبر الله والرسول صلى الله وعليه وسلم،المقطوع بصدقهما، ولكن لا لذات الخبر، وإنما لأمر عارض، وهو استحالة الكذب على الله والعصمة لرسول الله صلى الله وعليه وسلم.

فالكلام هو المشتمل على نسبة، المحتمل للصدق والكذب، وذلك كقولنا: زيد قائم، فإن هذا الكلام مشتمل على نسبة القيام إلى زيد، محتمل للصدق،بأن يكون مطابقا للواقع ومحتمل للكذب بأن لا يكون مطابق للواقع[(1)].

وصدق الخبر أو كذبه عند النظام هو في مطابقته لاعتقاد المخبر أو عدم مطابقته ، فالخبر عنده يكون صادقا بشرط مطابقته لاعتقاد المخبر حتى ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ في الواقع، وكذلك يكون الخبر عنده كاذبا بشرط عدم مطابقته لاعتقاد المخبر، حتى ولو كان ذلك الاعتقاد صوابا في الواقع، نحو: قول القائل : البحر ماؤه عذب -معتقدا ذلك- صدق، ويكون قوله : البحر ماؤه ملح - غير معتقد ذلك- كذب.

والجاحظ لم يقف عند حد الصدق والكذب،بل يزعم أن الخبر ثلاثة أقسام:صادق، وكاذب، وغير صادق لا كاذب.

فالصادق : مطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق، والكاذب لا يطابق الواقع، مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.

أما الخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب فليس نوعا واحدا، وإنما هو أربعة أنواع :

(1) محمد حسن هيتو: الوجيز في أصول التشريع الإسلامي- ص: 286.

1-الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق

2-الخبر المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.

3-الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق .

4-الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا[1].

أما ابن قتيبة فيرى أن الكلام: " أربعة : أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب، وهو الخبر"[2].

وعند غيره من البلاغيين يعرف الخبر على أنه: "الخطاب لغيره، إما أن يفيد حال نفسه فيدخل فيه الأمر والنهي، لأن الأمر ينبئ عن إرادة الأمر والنهي ينبئ عن كراهته، وإما أن ينبئ عن حال غيره فيكون الخبر"[3].

وهذا التقسيم ليس تقسيم تمايز أو تقابل، بمعنى أن كلا منهما مفصولا عن الآخر، بل الذي يوجد هو التداخل، لأن الإنسان قد ينبئ عن حال نفسه بالخبر، وينبئ عن حال غيره بالأمر والنهي[4].

الأمر: هو القول الطالب للفعل : بلا علو ولا استعلاء.

النهي هو القول الطالب للترك بلا علو ولا استعلاء[5] .

وقد ميز الإمام القرافي في كتابه الفروق بين قسمين للخطاب :

1) أنّ الإنشاء سبب لمدلوله، والخبر ليس سبب لمدلوله، أي أن سبب إيجاد الفعل المقصود هي الأوامر الواردة في الخطاب.

(1) عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية –علم المعاني- البيان-البديع-دار النهضة العربية ، بيروت ،ص 39.
(2) عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أدب الكاتب- تحقيق: محمد الدالي- مؤسسة الرسالة بيروت- ط2- 1417هـ1996م، ص:7.
(3) محمد هيتو: الوجيز في أصول التشريع- ص-ص: 131-149.
(4) إدريس حمادي : المرجع السابق ،ص 28.
(5) محمد هيتو: الوجيز في أصول التشريع- ص ص : 131-149.

2) أن الإنشاءات يتبعها مدلولها والأخبار تتبع مدلولاتها، مثلا قولك: قال زيد، وهو قائم وسيقوم الساعة، فإن الخبر تبع لتقرُر القيام في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وقولك : قم يا زيد ، فإن الفعل حصل بعد الأمر.

3) أن الإنشاء لا يقبل التصديق أو التكذيب، بخلاف الخبر فإنه قابل للتصديق والتكذيب[1].

أغراض الخبر: له غرضان :

الأول : فائدة الخبر : يقوم في الأصل على أساس أن يلقى إليه الخبر، أو من يوجه إليه الكلام بجهل حكمه أي مضمونه ويراد إعلامه أو تعريفه به.

الثاني: لازم الفائدة : ما يقصد المتكلم من ورائه فائدة، أي أن يكون عالم بحكم الخبر، أي مضمونه مثل : إنك لتكظم الغيض، وتحلم عند الغضب، وتعفو مع القدرة، وتصفح عن الزلة، فالمتكلم لا يقصد أن يفيد من يخاطبه شيئا مما تضمنه الكلام من الأحكام التي أسندها لأن ذلك يعلمه المخاطب عن نفسه قبل أن يعلمه المتكلم، وإنما يريد أن يبين له أنه –أي المتكلم- عالم بما تضمنه هذا الكلام .

أضرب الخبر : المخاطب بالنسبة لحكم الخبر له ثلاث حالات هي :

1- أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم وفي هذه الحال يلقي إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد ويسمى هذا " **ابتدائيا**".

(1) القرافي: الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق ومعه إدرار الشروق على أنواء الفروق لابن الشاط- وبحاشية الكتابين: تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية للحسن المكي- ضبطه: خليل المنصور- دار الكتب العلمية بيروت، ط1: 1418هـ1998م، مج1، ص.ص 41-42

2- أن يكون المخاطب مترددا في الحكم شاكا فيه وينبغي الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده ويسمى هذا الضرب "**طلبيا**".

3- أن يكون المخاطب منكرا لحكم الخبر، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد[1] أو أكثر على حسب درجة إنكاره ويسمى هذا الضرب " **إنكاريا**"[2].

على الرغم من أن الخطاب القرآني يندرج معظمة في الصنف الخبري- لأنه صادر عن الله تعالى ومقاصده إخبار بما كان وبما سيكون، و وعض الناس وتوجيههم - فإنه منزه عن الكذب لأنه خطاب قدسي مُسَّلم بمصداقيته .

أما الخطاب الذي يحتمل الكذب هو الذي يكون بين الأفراد،بين البشر فهم يتعايشون ويتواصلون، الرابط الذي يجمعهم قد يكون مجموعة من العادات في البيئة الواحدة، وعليه يكون كلامهم على حسب الحال و العقول، والمناسبة، إذ تعتبر عناصر للخطاب، فما هي عناصره؟ وما هو معناها؟

المطلب الثالث :عناصر الخطاب

البلاغيون حين درسوا الخطاب وحاولوا أن يلموا بجميع جوانبه، فنظروا إلى عناصره ومكوناته، من مخاطب ومخاطب والكلام المستعمل، وغيرها من الأمور التي لها علاقة بهذا الأخير، فأبانوا عن :

(1) مؤكدات الخبر نذكر منها : إن لام الابتداء ، أما الشرطية ، قد ، القسم ، نون التوكيد ، وغيرها...."
(2) عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية ،ص 49.

مقتضى الحال :ما يدعو إليه الأمر في الواقع، أي ما يستدعيه مقام الكلام وحال المخاطب، من كلام على وجه مخصوص، ولا يمكن أن يطابق الكلام الحال، إلا إذا لاءم أذهان المخاطبين، أو (المخاطب) وأخذ في الاعتبار مستواهم البلاغي وثقافتهم، فلعامة من الناس كلام لا يجوز أن يخاطب به سواهم، ولعلية القوم كلام، لا يجوز أن يكون للسوقة.

الكلام البليغ ويسمى المقال: هو كل كلام يصوره المتكلم بصورة مناسبة تناسب أحوال المتكلمين فإذا حدّث الأمير جاءت ألفاظه وعباراته ملائمة، وإذا حدّث السوقي حدّثه بلغة تساير سوقيته وتناسب حاله.

حال المخاطب: ويسمى المقام، فهو السبب الذي من أجله يورد المتكلم عباراته على الوجه الذي أوردها عليه دون سواه[1]. أي مراعاة أحوال المخاطبين الطبيعية والمعرفية عند إرسال الخطاب وتوجيهه ، وعلى القائل أن يكيفه وفق مقتضى حال المخاطبين لإحراز المنفعة بأسلوب منبه يعمل على إثارة المتلقي بعناصره البارزة في الخطاب لأن الإخلال بهذه العناصر هو في حد ذاته إخلال بجمالية التلقي وبالتالي إخلال بعنصر الاستجابة المقصودة في بلاغة الخطاب، إذ العلاقة بين الخطاب والمتلقي تتمثل في كون الخطاب يشير إلى مقاصد، والمتلقي يرد الفعل بالاستجابة وعليه يتضح وجود علاقة بين البنية النفسية العميقة التي تسوس الخطاب وبين البنية اللسانية التي تشكل الخطاب، وباختصار بين الفكرة والتعبير[2].

المقتضى : ويسمى **" الاعتبار المناسب "** وهو الصورة التي و رد ت عليها العبارة ونمثل على كل هذا بشخص يمدح آخر فالمادح مضطر

(1) ديزيرة سقال : علم ا لبيان بين النظريات والأصول - دار الفكر العربي - ط 1997/1 ،ص 142.
(2) مختار حبار : مذاهب علم الأسلوب – جامعة وهران – كلية الأدب ، اللغات والفنون – قسم اللغة العربية وآدابها – ص : 17.

إلى إيراد كلامه بصورة الإيجاز تارة ، وبالإطناب تارة أخرى، فإذا استدعى الكلام ذكاء المتكلم ألمح وأوجز، وإذا استدعى الكلام تحسيسه بالمعنى وترسيخ هذا المعنى أطال وأطناب، وهكذا فإن كلا من المدح والذكاء حال ومقام، وكل من الإيجاز والإطناب مقتضى وإيراد الكلام موجزا أو مطنبا مطابقة للمقتضى، وأيضا الوعيد والزجر والتهديد يقتضي ضخامة الكلام وجزالته بينما البشارة بالوعد والاستمالة فتتطلب رقيق الكلام ولطيفه والوعظ مقام يوجب البسط والإطناب للتوضيح[1].

فهذا الكلام هدفه التوجيه أو التحويل وطريقته الإقناع، وهو كلام برهاني يعتمد على الأدلة العلمية، كما يعتمد على العاطفة والخيال بوسائل البيان والبديع.

فكانت تلك طريقة العربي في كلامه التي استمدها من بيئته التي عاشها، والتي كتب لها البقاء حتى عصرنا الحاضر، إذ أبدع فيها وتفنن، فكان كلامه تارة موزونا مقفى، وتارة أخرى سجعا متقنا، فما هي خصائص الخطاب الجاهلي؟ وما طبيعته؟ وكيف لعبت البيئة دورها في إنتاجه؟ وغيرها من التساؤلات التي سنقف عندها في المبحث الموالي.

(1) ربيعي محمد عبد الخالق : البلاغة العربية وسائلها وغايتها في التصوير البياني – دار المعرفة الجامعية- د / ط – 1989 – ص 03.

المبحث الثاني: الخطاب الجاهلي

لسان العرب وكلامهم مبني على الشعر المنظوم: وهو الكلام الموزون المقفى، وعلى النثر: وهو الكلام غير الموزون، وكل واحد من القسمين يشتمل على فنون ومذاهب، فأما الشعر فمنه: المدح، والهجاء والرثاء، وأما النثر فمنه: السجع الذي يؤتى به قطعا، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم[(1)]، ويرجع سبب تنوع هذا اللسان وهذا الكلام إلى البيئة التي كانت تسود العرب في ذلك الوقت، فالبقعة غالبا ما تلعب دورا كبيرا للتأثير في الخطاب.

المطلب الأول: البيئة العربية ومدى تأثيرها في اللغة

لقد انقسمت اللغة منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض، واختصت كل قبيلة بلهجة، كما أتيح لهذه اللهجات الاحتكاك ببعضها بفضل التجارة وتبادل المنافع ، ونتج عن ذلك الاحتكاك الاشتباك، وكان النصر للهجة قريش حيث طغت على جميع اللهجات وأصبح العربي - أيا كانت قبيلته- يؤلف شعره وخطابته ونثره بلهجة قريش[(2)].

وزيادة على ذلك النصر الذي مكن لهجة قريش من التغلب على قرينتها، هناك عوامل أخرى ساعدتها على الانتشار والذيوع بين القبائل .

(1) عبد الرحمان ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون " هي مقدمة الكتاب المسمى كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبر " – دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان – ط1 – 1413 هـ - 1993 م – ص 486.
(2) علي عبد الواحد وافى : فقه اللغة ، دار نهضة مصر الفجالة ، ط7 ، ص 108.

العوامل المساعدة على تغلب لهجة قريش :

1. **عامل ديني** : كانت قريش جيرة البيت ، يقيمون حوله ، وكان البيت حرما مقدسا في نظر معظم القبائل العربية، يحجون إليه ليؤدوا مناسكهم ، ويزوروا أصنامهم ، ويقدموا لها القرابين - فكان بذلك السلطان الديني على بقية القبائل العربية[1] .

2. **عامل اقتصادي**: كان المقدار الكبير من التجارة بيد القرشيين ، فقد كانوا ينتقلون في مختلف بقاع الجزيرة العربية من الشام شمالا إلى أقصى اليمن جنوبا، ويقومون في مختلف الفصول برحلات تجارية منظمة ، أشهرها رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام[2].

الأسواق: كان للعرب أسواق للتجارة والأدب، فكانوا يجتمعون في دومة الجندل في أول ربيع الأول، ثم ينتقلون منها إلى سوق هجر بالبحرين في شهر ربيع الآخر، ثم إلى سوق عمان حيث يظلون حتى أواخر جمادى الأولى، ومن سوق عمان ينزلون إلى المشقر فتقوم سوقهم به أول يوم من جمادى الآخرة، ثم يفيدون على صحاري فيقمون بها بضعة أيام من رجب، وتقوم سوقهم بالشحر في النصف من شعبان، وينقضون من سوق صنعاء في آخر رمضان ،وتأخذ جميع القبائل خلال شوال في الاستعداد لأكبر سوق عربية وهي عكاظ وتعمر في العشرين من ذي القعدة، وكانت هذه الأسواق هي الملتقى، فيشهدون منافعهم ويتبارون في إجادة القول: خطابة

(1) علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص:109.
(2) ينظر علي عبد الواحد وافي: المصدر نفسه- ص:109.

وشعرا ونثرا، وفيها يتحاكم في الخصومات ويتفاخر في الأنساب ويتباهى بالفضائل ويتغنى بالحب والجمال وكانت كلها بلغة قريش[1].

3. عامل سياسي : بفضل نفوذها الديني والاقتصادي وبفضل موقع بلادها، وامتيازها بحضارة ونعيم تحقق لها هذا النفوذ، وكانت تعقد اجتماعات للمذاكرة والمشاورة في مختلف شؤونهم والفصل في المنازعات

.

الحروب: كثيرا ما كانت حياة العرب في الجاهلية مبنية على الحروب والغزوات، وكان من أسبابها : إيلافهم، النجعة لارتياد مواقع الغيث والكلأ، وما كان فيهم من الحمية، أو الوفاء بالعهود وحماية الجار أو ما يسمى بالعصبية، وأشهر أيامها "حرب البسوس" بين بكر وتغلب وهم بنو عمومة ، وحرب "الداحس والغبراء" بين عبس وذبيان، و"حرب الفجار" بين قريش وحلفاءها من كنانة ضد هوازن وغيرها ، وحرب يوم "ذي قار" بين العرب والفرس. [2]

واللغة العربية تلعب دورا عظيما في هذه الحروب، فبالكلام البليغ يلجأ إليه قوادهم للتفاخر وتعداد المآثر واستنفار الهمم[3].

4.وعليه أصبحت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقاها أسلوبا، ما جعلها تتميز بخصائص فنية عظيمة، وقد تم لها ذلك بفضل وسائل الثقافة والنهوض والعوامل الأخرى ولقد ترتب على تغلبها على بقية اللهجات أن أصبحت لغة الآداب [4] .

(1) ينظر علي عبد الواحد وافى: المصدر نفسه- ص:116.
(2) ينظر علي عبد الواحد وافى: فقه اللغة- ص117.
(3) علي عبد الواحد وافى : المصدر نفسه– ص 117.
(4) علي عبد الواحد وافى: المصدر نفسه- ص 110.

ـ أثر احتكاك لغة قريش باللهجات العربية :

إن طول الاحتكاك ترك آثارا كثيرة ، فقد نقلت إليها مفردات وأساليب عديدة من تلك اللهجات، وقويت بذلك مقوماتها واتسع نطاقها، وكمل ما كان فيها من نقص، وزادت مرونة وقدرة على التعبير في مختلف فنون القول، ولم يتوقف الاقتباس عند الأمور التي كانت تعوزها، بل انتقلت إليها المفردات والصيغ التي لم تكن في حاجة إليها لوجود نظائرها في متنها الأصلي ، فكان ما نتج عنه غزارة مفردات هذه اللغة وكثرة مترادفاتها، وورود جمع الكلمة الواحدة فيها على صيغ متعددة وقبولها أوزانا كثيرة ، ولكن لا يمكن التمييز بين ما هو أصلي وبين ما انتقل إليها[1].

الألفاظ الأعجمية : لقد استعمل فصحاء العرب أنفسهم في جاهليتهم مفردات أعجمية دعت إليها عوامل الاحتكاك اللغوي، فمن ذلك مثلا ألفاظ : الورد، والنرجس، والياسمين، والمسك ، والباذنجان، والإبريق، وغيرها، فمن الفارسية انتقل إليها من الألفاظ كالديباج، والسندس، والإستبرق، والياقوت، والبلورة، وغيرها، وفي اليونانية انتقل إليها من الألفاظ مثلا : القنطرة، والفردوس، والقسطاس، والترياق، ومن العبرية : اليم، والطور، الربانيون، وإبراهيم وغيرها، ومن الحبشة : المشكاة، والكفل، والمنبر، وغيرها[2] .

إضافة إلى استعمالهم مفردات أعجمية، فقد كانت لهم طريقتهم في الكلام، وأسلوبهم الخاص في المحاورة والتخاطب فيما بينهم، فمثلا يذكر

(1) علي عبد الواحد وافى: فقه اللغة- ص111.
(2) علي عبد الواحد وافى ، فقه اللغة : ص : 206-207.

الواحد ويقصد به الجمع، وعكس ذلك أيضا، وغيرها، وهذا ما يطلق عليه سنن الخطاب، فما هي هاته السنن؟

المطلب الثاني:سنن الخطاب عند العرب :

- ذكر الواحد والمراد به الجمع، كقولهم للجماعة : ضيف وعدو، قال تعالى: **(هؤلاء ضيفي فلا تفضحون)**[1].
- ذكر الجمع والمراد واحد واثنان قال تعالى: **(فقدْ صغت قلوبكما)**[2] . وهما قلبان.
- وصفة الجمع بصفة الواحد قال تعالى: **(وان كُنْتُم جَنْبًا)**[3] .
- صفة الواحد أو الاثنين بصفة الجمع نحو: برمة أعشار، ثوب أهدام وحبل أحذاق قال: "جاء الشتاء وقميصي أخلاق" [4] .

ومن سنن العربي مخاطبة الواحد بلفظ الجمع، فيقال للرجل العظيم : أنظروا في أمري، ويقال: إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا هذا.

ومن السنن أن تذكر الجماعة والجماعة، أو جماعة وواحد ثم تخبر عنهما بلفظ الاثنين كقوله:[5]

إن المنية والحنوف كلاهما   يوفى المخارم يرقبان سوادي

(1) سورة الحجر، الآية 68.
(2) سورة النحريم، الآية 4.
(3) سورة المائدة، الآية 6.
(4) تكملة البيت : شراذم يضحك منه التواق .
(5) السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها – تعليق : محمد جاد المولى بك – محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد اليجادي – المكتبة العصرية – ج1 – ط : 1408 هـ - 1987م-ص : 333-344.

كما يكثر استخدام الألفاظ والتراكيب في غير ما وضعت له من أجل توضيح المعنى والمبالغة في تقريره منها :

1.استخدام اللفظ في غير ما وضع له لتشبيه أمر في صفة ما [(1)]، والتشبيه أول طريقة لعلم البيـان، هـو في اللغـة التمثيل، وعند علماء البيان: مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة -كقولك- العلم كالنور في الهداية، فالعلم مشبه، والنور مشبه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه وهي أركانه [(2)].

2. وتطلـق العبارة أحيانا ويراد بها ما يترتب على مدلولها ويلزمه ويسـمى" الكناية"[(3)]: فالكناية لغة: ما يتكلم به الإنسان ويريد غيره، واصطلاحا : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة للمعنى الأصلي نحو : " زيد طويل النجاد" فيراد به شجاع عظيم حيث عدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها، وكقولك عن الترف "نؤوم الضحى"[(4)].

3. وقد يغلب استعمال اللفظ في غير ما وضع له وله حالات :

أ- : يغلب استعمال اللفظ في المعنى على سبيل المجاز، لعلاقة متشابهة بينهما، فيصير المعنى المجازي هو الغالـب ككلمة "فصاحة"، الأصل فيها صفاء اللبن، ثم شاع استعماله في صفاء القول[(5)].

---

(1) علي عبد الواحد وافى : فقه اللغة ،ص 226
(2) السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع –دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، ص 200.
(3) علي عبد الواحد، فقه اللغة، المصدر السابق :ص 226.
(4) السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني -ص:273
(5) علي عبد الواحد، المصدر السابق ، ص 228.

ومن ثم فالمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تتهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع، ولأجل هذا عمدت العرب استعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيها من الدقة في التعبير فيحصل للنفس به السرور [(1)].

ب: أن يغلب استعمال اللفظ الدال على معنى خاص في مدلول عام عن طريق التوسع ، حتى يصير هذا المعنى العام هو المتبادر كلفظ "البأس" معناه الأصلي الحرب، ثم غلب استعماله في كل شدة .

4. كما تتحول الجمل عن أبوابها الأصلية لأغراض بلاغية، فستخدم الجمل الإخبارية في أمور أخرى، كالإلتماس أو الأمر، نحو: "تجيء غدا": وتتحول الجمل الدعائية عن بابها فتستخدم للدلالة على التعجب، أو زيادة التنبيه، أو توكيد الكلام، نحو: "قاتله الله ما أشعره" "ثكلتك أمك، وهل يكبُ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"، فكانت لهذه الحالات فضل في سمو الأساليب العربية وشدة تأثيرها في النفوس ومطالبتها لمقتضيات الأحوال [(2)].

ضف إلى ذلك الاستعارة: إن النفس البشرية وما يصدر عنها من إحساس هو خير ما تقوم عليه دراسة فنية، إذ تبينت حاجة البلاغة إلى لون من ألوانها المعتمدة على دراسات الجمال، فكان الاستعمال اللغوي الاستعاري هو الأنسب، لما فيه من أثر في المفردات والجمل، وهذا ما أشار إليه العالم اللغوي الأمريكي **"إدوارد سابير"** في قوله: "إن لكل لغة

---

(1) جواهر البلاغة ،ص 231 .
(2) علي عبد الواحد: فقه اللغة، المصدر السابق، ص 229.

عبقرية خاصية، وأبرزها يظهر في عبقرية تركيب الجملة" [1]، لأن هذا العلم هو جزء من النفوس، وهذه النصوص الثرية بهذه الدراسات الفنية تهذب الوجدان وتنمي عاطفة محبة للجمال.

الإيجاز : كان المجتمع العربي آنذاك تنتشر فيه الأمية وتقل فيه الكتابة، ولهذا وجب عليهم الاعتماد على ذاكرتهم للإبقاء على أدبهم، وعلى تناقله عن طريق الرواية جيلا بعد جيل، لهذا السبب كانت الحاجة الملحة إلى استعمال الإيجاز، فما هي حقيقته؟ وما هي خصائصه؟.

يعرفه أبو هلال العسكري بأنه " قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل"[2]، أما ابن رشيق فيرى: الإيجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف[3].

قال معاوية بن أبي سفيان : الإيجاز أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ، والإيجاز لا يعني به الاختصار، وليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ، وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه ولا لترداده ، وهو يكتفي من الإفهام بشطره، فما فضل على المقدار فهو الخطل[4].

ولكن هذا لا يعني أن الناس كانوا لا يطيلون الكلام إذا استلزم الأمر، فنجدهم مثلا إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر في

---

(1) ينظر سامي منبر عامر : مدخل أمين الخولي : الدراسة الجمالية البلاغية ، ملامحه ، آثاره ، دار الشهاب، بيروت ،ص 14.
(2) عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، علم المعاني ، البيان والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 167-169.
(3) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده- تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج1-2- دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ1983م، ص173.
(4) أبي عثمان عمرو بن بحرين محبوب الملقب بالجاحظ : الحيوان- شرح وتحقيق : يحي الشامي، دار مكتبة الهلال / مج1،ج1و3، ط3: 1990، ص 58.

مديح الملوك أطالوا، وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع و ليس من ذلك من عجز.

بالإضافة إلى ذلك فالعرب كانوا معروفين بالفطانة والفهم والكنايات، فقد روى الأصمعي قصة تتضح فيها تلك الصفات التي عرف بها العرب، عن امرأة متنحية من الحي وتحب العزلة، وكان لها غنم، فطرقها اللصوص، فقالت لابنتها، أخرجي ! من ههما ! قالت : هاهنا حيان، والحمارس، والحارث، ورأس عنز، وبارق، وراعينا يهمنا، فلما سمعوا ذلك، ظنوا أن عندها بنيها، وكانت أسماء تيوس لها[(1)]، وهذه القصة دليلا عن فطانة وذهاء القوم.

وكان ما يقابل الإيجاز، الإطناب : فالإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وإذا لم تكن في الزيادة فائدة يسمى : "تطويل"، وإن كانت الزيادة غير متعينة يسمى: "حشوا" وفوائد الإطناب كثيرة منها : تثبيت المعنى، وتوضيح المراد وتوكيد الكلام ورفع الإبهام [(2)].

(1) الجاحظ : الحيوان ، مج1 ، ج: 1، ص :
(2) أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص : 181-182 .

المطلب الثالث: النثر الجاهلي

لقد قيل عن النثر أنه كان زهيدا في الجاهلية، وسبب ذلك أن العربي له من قوة المخيلة، والحس ما يفسح له المجال للتعبير عن عواطفه وتصرفاته دون الحاجة للكتابة[1] .

ومن ثم بقي هذا النوع من الفن موضوع خلاف شديد بين علماء العرب، وحتى المستشرقين منهم، وهذا ما أشار إليه "ريجيس بلاشير" حيث قال بوجود نثر جاهلي يدور حول الخطابة والأسمار فقط، أما العرب فقد أجمعوا على وجود نثر جاهلي لكنهم اختلفوا في موضوعه، فدونوا بعضه بالأساليب نفسها التي دعتهم لتدوين بعض الشعر، إلا أن حظه من الحفظ أقل منــه من الشعر [2].

ومنه نشأت مسألة أسبقية الوجود النثر أم الشعر : فهناك من يقول أن النثر أسبق أنواع الكلام لقرب تناوله، وعدم تقيده وضرورة استعماله، ومن هؤلاء الباقلاني الذي يرى أن العرب بدأوا بالنثر وتوصلوا منه إلى الشعر، فلما استحسنوه واستطابوه، ورأوا الأسماع تألفه، والنفوس تقبله تتبعوه وتعلموه .

أما طه حسين فقد كان له رأي مخالف جاء فيه أن : "كل شيء في تاريخ الأدب العربي يدل على أن قد كان للعربي نثر ما، بل يدل على أن قد كان له قبل الإسلام نثر وصل إلى حد من الرقي لا بأس به....كانوا يتخذون الكتابة في أغراضهم التجارية والاقتصادية، وكانوا على حظ غير قليل من

(1) بطرس البنتاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام – ط-1989-دذ الدار – ص 253.
(2) ريجيس بلاشير: تاريخ الأدب العربي- ترجمة إبراهيم الكيلاني- ج1- دار التونسية للنشر- ط1- 1986م- ص 94.

الاتصال باليهود والنصارى...فكان من المعقول أن يدعهوهم هذا كله إلى التفكير والروية، ثم إلى الكتابة واستحداث النثر..." [1] .

وقال ابن رشيق: "كان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعرافها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد ... فجعلوا موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم شعروا به أي : فطنوا " [2] .

وقد حاول الأدباء التفريق بين ما هو بشعر وما هو بنثر، فقال في ذلك :ابن رشيق القيرواني بينهما بقوله: " وكلام العرب نوعان : منظوم ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة ومتوسطة، وردية فإذا اتفقت الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لأحدهما فضل على الآخر، كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة "[3].

وفي الأخير لا يمكن أن نزيد على ما قاله ريجيس بلاشير :" وينبغي قبل كل شيء أن نرثي لتلك الفكرة التعسفية التي تميز بين النتاجين الشعري والنثري، ففي الواقع إن النتاجين عاشا على اتصال وثيق في أغلب الأحيان، فهناك نثر نابض بالحياة ألا وهو النثر الموزون المسجع الذي يشارك الشعر والنثر معا " [4].

وبعد أن تطرقنا لنقطة كانت موضوع خلاف بين العلماء عن النثر نتحدث الآن عن مفهومه؛ فالنثر أدب إنشائي وهو نوعان : الأول : النثر

(1) طه حسين: في الأدب الجاهلي- دار المعارف المصرية- ط:10، 1969، ص329.
(2) ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده- ص16.
(3) المصدر نفسه، ص15.
(4) ريجيس بلاشير : تاريخ الأدب العربي – ترجمة : إبراهيم الكلاني – ج1 – دار التونسية للنشر – ط1 / 1986 – ص 99.

العادي الذي يدور في كلام الناس أثناء المعاملة، أو هو الذي يعرف بلغة التخاطب والتفاهم بين الناس، أو بعبارة أخرى الكلام اليومي العادي الذي يتحدثه الناس، والثاني : النثر الفني الذي يخضع لنظرية الفن ويحتوي على عناصر: الأفكار، وحسن الصياغة، وجودة السبك، ومراعاة قواعد اللغة (1)

.

ومن خلال هذه التعاريف يمكن استخلاص القول بأن النثر كلام مرسل لا يقيده قيد، في الترتيب أو التقييم إلا قيود الفصاحة والبلاغة، والشعر على عكسه بقيوده الترتيب، والتقسيم، والوزن، والقافية.

خصائص النثر الجاهلي :

من خلال ما وصلنا من النثر الجاهلي في المصادر التي يمكن اعتبارها سجلا يدون مظاهر الحياة العربية، إذ يعتبر مرآة صادقة تعكس البيئات بشتى أنواعها، حيث مثلت النصوص النثرية الصفحة المشرقة عند العرب، فوضحت مكارم أخلاقهم، وعفتهم، وتواضعهم، وكرمهم، وتبينت لنا مجموعة من الخصائص المعنوية واللفظية.

1- الخصائص المعنوية :

- كان النثر يرتكز على الموضوع مباشرة دون مقدمات، أو الانتقال من موضوع إلى موضوع كما هو معهود في القصائد.

- توظيف الشعر في النصوص النثرية التي تعطي للسامع فرصة الانتقال من أسلوب إلى أسلوب مما يساعد على جذب انتباهه.

---

(1) هاشم صالح مناع :النثر في العصر الجاهلي ،ص 22.

- القوة على ارتجال الموضوع، وقوة الفطرة، والموهبة التي تقوم على الطبيعة البدائية البدوية.

- التلميح لا التصريح، لما فيه من القوة والبلاغة والملائمة باعتماده على الكناية.

- كثرة استخدام الحجج الدامغة والبراهين القاطعة والطريقة المنطقية.

- كثرة استخدام الحِكَم والأحكام فهي تنبثق كالسيل المنهمر في عذوبة ورقة[1].

- سهولة المعاني ووضوحها وسلاستها ورقتها وعذوبتها، وعدم تعقيدها، فهي عميقة في مدلولاتها شديدة في تأثيرها.

- استخدام السجع دون تكلف، فأوردوه في سياق سهل ممتنع.

2- خصائص لفظية :

قال القلقشندى في صبح الأعشى:"الكلام المنثور ألفاظه تابعة لمعانيه "وقال: "النثر من الخطب والترسل وكلاهما شريف الموضع حسن التعلق""[2] .

وقال ابن رشيق :"اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر، وكذلك ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك"[3].

(1) ينظر عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن- ص63.
(2) أبو العباس القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الهيأة الرسمية العامة للكتاب، 1405هـ1985م، ج1، ص60.
(3) ابن رشيق: العمدة، ص91.

- ولهذا كان اللفظ كاملا في صياغته، تاما في تراكيبه، خاليا من الحشو، بعيدا عن الإطناب، عميقا في مدلوله، مع تخيير للألفاظ وحياكتها بأسلوب بسيط سهل التناول.

- قصر جمله مع توازنه في الطول والقصر وهذا واضح بشكل عام في الخطب والوصايا.

- الأسلوب موجز محكم مركز لا مجال فيه للحشو والإطناب[1].

يقول بعض العلماء: تجتمع في النثر أربعة أمور لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه ،وجودة الكتابة ، فذلك نهاية البلاغة[2].

أما فنونه فمرجعها إلى: الوصف والقصة والرسالة، والتاريخ، والخطابة، التي هي حديث الإقناع يوجه إلى السامع ليستميل عقله وقلبه بما فيه من بلاغة.

فأما الوصف فكثير ولكنه ضعيف في مجمله، لم تراع فيه قوانين الفن، ولم يسيره الذوق السليم الذي يؤثر الواقع والطبع ولا يستسلم للصنعة التي تقيم الأصباغ وتراكم الصور مقام اللون المحلي والنعومة والرشاقة.

وأما القصة فلم يتعرض الأدب العربي إلا لما قصر منها كالأقصوصة والخبر.

وأما الرسالة فبعد أن كانت في بدء أمرها تلزم جانب الرصانة والطبع ما عتمت إن صارت ميدانا للصنعة والزخرف والترصيع تجود فيها أقلام الأدباء، فقد قيل: الخطابة عمادها اللسان، وعماد الرسائل القلم[3].

---

(1) هاشم صالح مناع : النثر في العصر الجاهلي، ص 183.
(2) عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن- ص 190.
(3) هاشم صلاح مناع: النثر في العصر الجاهلي- ص 153.

أما الخطابة فقد جال فيها العرب جولات موفقة وبرهنوا فيها على بلاغة فريدة.

والخطابة هي القيام بالتعبير عن مجموعة الأفكار المتصلة ببعضها البعض، في موضوع ما عن طريق إلقاءها، وبمعنى أشمل هي فن المخاطبة بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة، ويجب أن يكون الحديث مقنعا بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الحديث، ويتوفر بها عنصر الاستمالة، وهذا يعني توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعو له.

وعليه يمكن تصنيف الخطب إلى صنفين: صنف على أساس صياغي ويضم أنواع منها: التفاخر، العنيفة، اللاذعة، المادحة وغيرها، وصنف على أساس موضوعي وتضم: الدينية، السياسية، الاجتماعية وغيرها[1].

هذا ما كان عن النثر الجاهلي ومكانته بين الألسن البليغة، فكيف كانت مكانة الشعر بينهم؟و ما هي خصائصه ومميزاته؟

المطلب الرابع: الشعر الجاهلي

لقد كان الشعر مقصدا مطولا، له من نضج الأسلوب والموسيقى والمعنى والتصوير ما جعل الشعراء يبذلون جهدا في إنشاء قصائدهم من وزن واحد، وقافية واحدة، ويطبعونها بطابع أسلوبي من خصائصه التركيز والإيجاز والموسيقى، وبطابع معنوي من خصائصه الخيال والتصوير[2] لأن

(1) فاروق سعد : فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي - دار الكتاب اللبناني ، ط1 /1407 هـ -1987 م ،ص : 28-30.
(2) أحمد محمد الحوف : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة ،مصر : ط4 ،ص 164.

العرب أمة شاعرة، ولا نقصد أن كل عربي شاعر وإنما نريد أن الشاعرية هبة شائعة فيهم على تفاوت في عظمتها وضآلتها.

ثم أن اللغة العربية شعرية غنائية، لأنها حافلة بمترادفاتها التي تسعف المعبر، وتواتيه بالقافية، وهي دقيقة في دلالتها، غنية بأساليبها ومجازاتها ثرية بمفرداتها ومشتقاتها، وفي كلماتها رنين وجرس يلائم الشعر والموسيقى .والعربي حساس يأسره الجمال، وليس هناك فن جميل يودعه أحلامه وآماله ويجلي عبقريته إلا الشعر، فالشعر لم يكن في ذلك العصر ترفا بل كان الوسيلة الوحيدة للتعبير والتخاطب [1] .

تعريف الشعر :

الشعر: قول موزون مقفى يدل على معنى، **قول:** دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، **موزون**: يفصله مما ليس بموزون، **مقفى**: فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف، وبين مالا قوافي له ولا مقاطع ، **يدل على معنى** : دلالة على معنى مما جرى على ذلك فهي من أساسياته.

والشعراء شأنهم شأن الرسامين الذين من أساس موادهم الألوان والخطوط وهم متفقون على هذا المبدأ ومختلفون في طريقة تعبيرهم ، فالشاعر إنسان والإنسان بطبيعته يميل إلى نمط في حياته دون الآخر[2]، وللشعر خصائص تميزها عن النثر وهذا ما سنحاول تفصيله في العنصر الموالي.

الخصائص :

(1) أحمد محمد الحوف، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ص 167.
(2) هاشم صالح مناع ، روائع من الأدب العربي : العصر الجاهلي ، الإسلامي ، الأموي ، العباسي ، ،ص 20.

من أجل التوغل في هذا النوع لابد من تبيان أمر ليسهل علينا فهم الفكرة وهي أن الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا، بالخروج على الحقيقة قلت : خروج زيد، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة وغيرها [(1)].

واستنادا إلى ما سبق فإن الشاعر كان يتخير الألفاظ على حسب طبيعة الموضوع، ويقوم بحياكتها بأسلوب بسيط سهل التناول، ومعرفة أوقات الإسهاب والتطويل، والإيجاز والتخفيف[(2)]، فقد قال الجرجاني عن الألفاظ والمعاني التي بني بها الخطاب العربي –وقد كان موفقا فيه- : "...فهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها ، أو يجعلون المعاني كالجواري والألفاظ كالمعارض لها والحواشي واللباس الفاخر والكسوة الرائعة" [(3)].

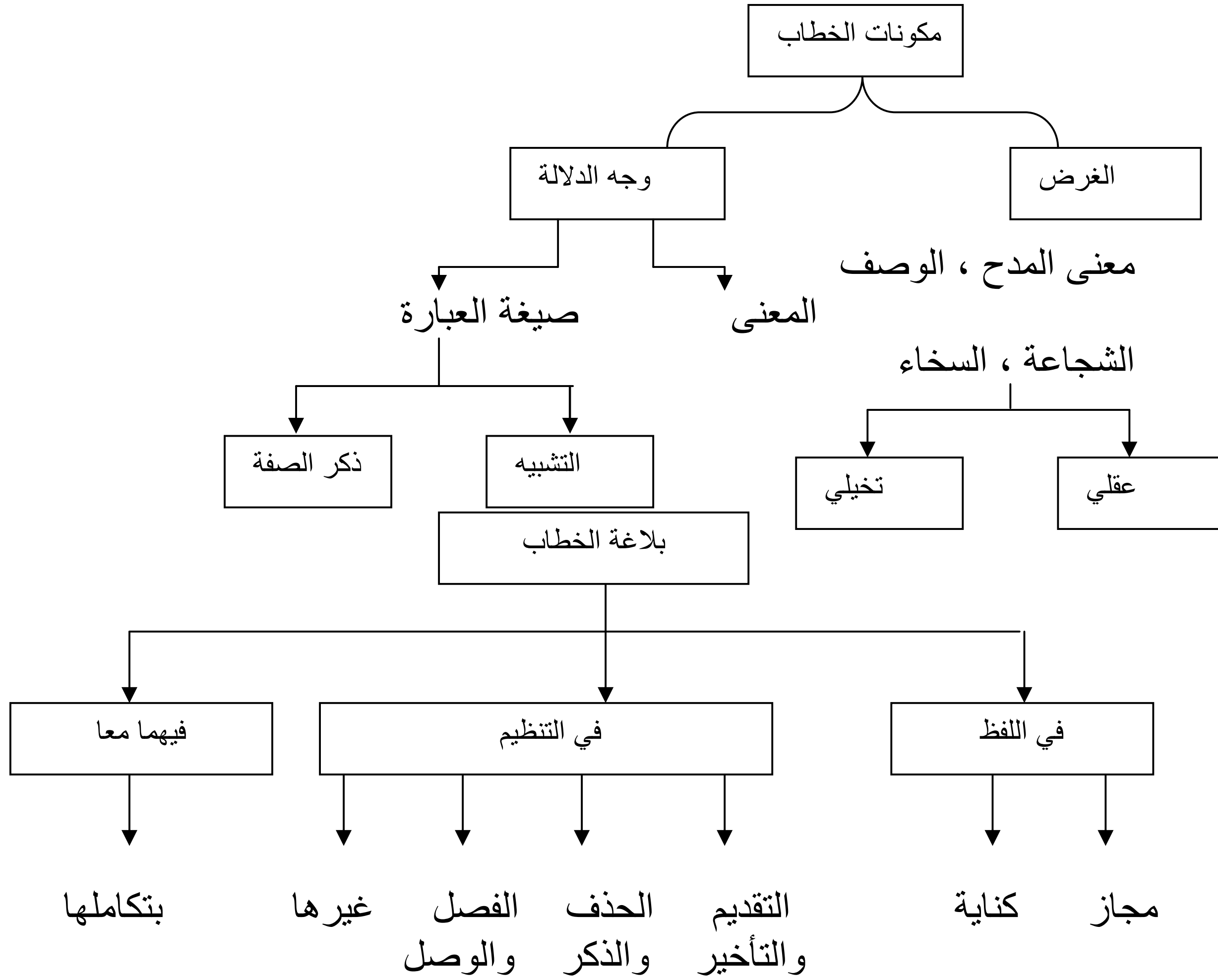
لكن الملاحظ على فحول البلاغة في ذلك الوقت أنهم لا يبرزون إلا في فن واحد، فكان من يبرع في النثر لا يبرع في الشعر، ومن يجيد الرجز لا يجيد القصيد فضربوا المثل بامرئ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب، والنابغة إذا وهب[(4)] .

(1) عبد القاهر الجرجان ، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية،فايز الداية، دار الفكر قتيبة، ط1: 1403هـ، 1993 م، ص 184.
(2) المرجع نفسه، ص 57.
(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعان- علق عليه: محمد رشيد رضا- دار المعرفة بيروت- 1415هـ1994م، ص178
(4) ينظر السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – مؤسسة المعارف – ج2 ، ص 16.

والسبب في ذلك أنهم نظروا إلى المعنى قبل اللفظ ونلمس ذلك في قولهم "بيت القصيد" فهم يحاولون الجمع بين المضمون الراقي والشكل الأفضل[1].

(1) عبد المالك مرتاض : بنية الخطاب الشعري – دراسة تشريحية لقصيدة " أشجان يمانية " – ديوان المطبوعات الجامعية ،ص : 3-8.

وباختصار شديد العرب كانت تعتمد في كتاباتها على هذا المخطط[1]



وفي الأخير يمكن القول أن عناصر الأدب أربعة: العاطفة والفكر (المعنى)، والأسلوب والخيال، ويشترط في كل أدب أن يشتمل على هذه العناصر، فإذا جاز أن نميّز بين الشعر والنثر فنقول: إن الشعر منبعث على عاطفة وخيال، والنثر منبعث عن فكر ورأي وهذا لا يعني أن كل واحد منهما يخلو من خصائص الثاني ولكن بمقدار تفاوتهما نستطيع التمييز بينهما[2].

(1) محمد العمري : البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها – إفريقيا الشرق – المغرب ، بيروت ، لبنان – ص : 334-357.
(2) هاشم صالح مناع : النثر في العصر الجاهلي - ص 25.

المبحث الثالث: الخطاب القرآني

إن الخطاب القرآني من جملة المسانيد الروحية والمعنوية التي أمد بها البشرية، واخرج بها بنية الشعر المضغوطة بهمومها الاعتيادية المملة المغلقة الآفاق، وفتح في وجه الإنسانية أبواب الطمأنينة الوجودية، فتحديده لمصير أخروي، ولديمومة حياتية في عالم الآخرة، ولأحوال سماوية من العدل والجزاء، كل ذلك بث في النفس الإنسانية حب الوجود، بعد أن كان الوجود عبثا يبرز تحته الكائن.

"سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا من لا أبا له يسام[(1)]"

فضلا عن هذا فإن الخطاب القرآني أرسى أسس العدالة والتكافل بين عالمين، مزيلا بشريعته أسباب التأخر، وأسباب البغي والعدوان، إلا أن الإنسانية لم تحقق هذا لأنها لم تلتفت لتعاليم القرآن، هذا في المجال الالتقائي،أما إذا قومنا المدد المعنوي الذي توفر في نصوص الخطاب القرآني من حيث تربية الإنسان وصقله وتزكية نفسه ومعنوياته نجده أرسى أرقى المبادئ وأفضلها.

فإشكالية النص القرآني تقوم على مفارقة مرتبطة بهوية الكتاب القرآني ذاته، فهو من جهة نص ناطق بلغة بشرية، وجار في كلامه على سنن العربي، في أروع بيان، ومن جهة أخرى تكون مرجعيته ذهن بشري محدود، فيعتبر النص القرآني كيان متفرد، لأن المصدرية المحال عليها هي الله تعالى[(2)] .

(1) ديوان زهير ابن أبي سلمى ـ دار صادر بيروت ـ د ط/د ت ـ ص : 86
(2) ينظر سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي-ديوان المطبوعات الجامعية د.ذ/ط-دذ/ت-ص3.

والنص القرآني وحي سماوي ذو منحى تعبيري إنساني له خصوصياته المتفردة التي تتماشى مع القيم الإنسانية، " فلا يمكن أن يكون في النص القرآني مادة غير واعية" يجلي حركتها الخطاب القرآني.

كما يزداد الاستيعاب أكثر كلما كان البناء التبليغي يعتمد على مقومات خطابية تواصلية، من سرد وتحاور واستفهام وتعارض وإصغاء، فتتفاعل العقول والعواطف.

والخطاب القرآني خص المتلقي بعناية بعيدة عن اغتصاب القناعة، فهو خطاب مهيأ للتوصيل، إذ يباشر ضمير المتلقي برسالة متكاملة، تحرر الفرد من الأسطورة واللامعقول الخرافي وتربط النفوس بالخالق(2).

لكن الإشكالية التي وقع فيها المسلم هي أنه صار يقر بإعجازية الخطاب القرآني عن قناعة سماعية اتباعية، بسبب فساد الملكة البيانية مع مرور الزمن، فصار مجردا من بعده التذوقي الذي كانت تجده النفوس في التعبير القرآني.

وعلى الرغم من هذا، فإننا نجد بلاغيون عرفوا هذا الكتاب العزيز وبذلوا فيه لينفضوا الغبار عن عيون الجاهلين، وتحدثوا عن خصائص أسلوب القرآن من جميع النواحي، مقرين بإعجازيته وهذا ما سنحاول تبيانه، ولكن قبل التطرق لأقوال البلاغيين فيه لابد من إلقاء نظرة عن التفاعل الذي وقع بين الخطاب الجاهلي والخطاب القرآني وكيف تأثر الخطاب الجاهلي بالقرآن الكريم.

---

(2) ينظر سليمان عشراتي: خطاب القرآني –ص:9

المطلب الأول : أثر القرآن على الخطاب العربي

لقد كان للقرآن الكريم الأثر الكبير في اللغة العربية من حيث تنقيتها وتهذيبها من أمور عدة:

1. تقوية سلطان اللغة القرشية، فهو دعامة لها إذ اعتنقه معظم قبائل العرب.

2. تهذيب اللغة وتنقيحها، ويبدو هذا الأثر في النواحي اللغوية :في الأغراض والمعاني والأساليب والألفاظ، حيث عولجت أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها كمسائل القوانين والتشريع، والقصص والتاريخ والعقائد الدينية والجدل فيما وراء الطبيعة والإصلاح الاجتماعي، والنظم والسياسة والأسرة والقضاء والطبيعة وغيرها.

حيث نجم عن اتساعها من ناحية الأغراض اتساع المعاني والأخيلة والأساليب، فاستخدمت الحجج العقلية والبراهين وتهذبت أساليبها وتشكلت أساليب علمية.

أما المفردات ودلالتها فقد تجردت الألفاظ من معانيها العامة القديمة، وأصبحت تدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر، والإدارة ومصطلحات العلوم، ومن ذلك الألفاظ: الصلاة، والصوم، والزكاة والحج ...، والخليفة والإمام وأمير المؤمنين والوالي والقاضي، والشرطة ...والتعزير والحد.

ومن آثار القرآن أيضا قضاءه على كثير من الألفاظ العربية الجاهلية التي تدل على حرمتها كأسماء الأصنام، والأنصبة التي كانت لرئيس الحرب (المرباع والصفايا والنشيط والفضول) -المرباع : ربع الغنيمة -

الصفايا : ما يصطفيه الرئيس ويختاره لنفسه قبل القسمة كالسيف والجارية - النشيط : مايغنمه الغزاة في الطريق قبل أن يصلوا إلى الجبهة - الفضول : ما يبقى من الغنيمة بعد قسمتها (1).

وهذا لا يعني أن الشريعة الإسلامية لم تأت بما هو متعارف عند العرب من أجل فهم أحكامها وقواعدها، فكان لابد من فهم عرف لسانهم، وهذا جاري في المعاني والألفاظ والأساليب، كما أن القرآن جاء أيضا بالمعاني المشتركة لجميع العرب ، ولهذا أنزل القرآن على سبعة أحرف.

وردا على من قال أن الشرعية الإسلامية جاء فيها من الألفاظ الأعجمية قوله تعالى: **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** (2)، فهذا الأمر لا يحتاج إلى توضيح لأن العرب قد تكلمت به وأصبح من عرف خطابها(3)، لأن ذلك كان ناتجا عن الاحتكاك الذي كان بينها والمناطق المجاورة حتى صارت تلك الألفاظ الأعجمية يسري عليها حكم أنها عربية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن القرآن الكريم يتسم ببلاغة عظيمة لا تجاريها أفصح اللهجات، وهذا ما سنحاول تبيانه في المطلب الموالي.

المطلب الثاني : بلاغة القرآن

لقد استوفى القرآن الكريم أحسن ما في اللهجات، وائتلفت لغته على وجه يستطيع العرب أن يقرؤوه (4) ، ففهموه وأدركوا بلاغته العظيمة .

---

(1) ينظر: علي عبد الواحد وافى : فقه اللغة ،ص 119-121.
(2) سورة يوسف ، الآية 2.
(3) أبي إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الفقه – شرحه : عبد الله دراز –وضع تراجمه : محمد عبد الله دراز ، خرج آياته : عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 : 2004م – 1425 هـ ،ص 255-268.
(4) مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - راجعه : درويش الجويدي - الدار النموذجية بيروت - دط/1426هـ - 2005م - ص:56.

قال الرماني[1] في النكت: "...فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات:منها ماهو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في الوسط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن..."[2].

ولقد تعرض الخطابي لذكر إشكالية وقع فيها أناس عن بلاغة القرآن فقال:[3] "...وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة... وفي كيفيتها يعرض لهم الإشكال ويصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن...قالوا إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام- وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده...وقالوا: وقد يخفى سببه عند البحث ويظهر آثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به".

وعلى غرار هذه الأقوال بني الخطابي رده بأنه كلام غير مقنع ولا يقف على علة: "...وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، وإنما هو إشكال أحيل به على إبهام ..." فأراد البحث عن باطن العلة في بلاغة خطاب القرآن فقال: "...إن الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حس السامع، والهشاشة في نفسه، وما يتجلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب والتأثير في النفوس..أمر لابد له من سبب..." فرجح السبب بقوله: "والعلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في

(1) الرماني :هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (296هـ 386م)
(2) محمد خلف الله ـ محمد زغلول سلام : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني- دار المعارف مصر ـ ط 2- 1387هـ 1968م ـ ص: 75.
(3) أبو سليمان محمد بن إبراهيم الخطابي (319هـ 388م).

البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين الجزل. ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيئا منه البتة فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده والقسم الثالث أدناه وقربه فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين الفخامة والعذوبة وهما متضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة تعالجان نوعا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين مع بنو كل واحد منها على الآخر فضيلة خص بها القران[1]" .

ففي حديث الخطابي عن أنواع الكلام وذكره القسم الثالث، أنه أدنى المراتب، وما هو في الأسفل، في العرف يعد من المذموم، فكيف يقال أن القرآن الكريم قد أخذ منه، والمعلوم أن القرآن أرفع وأعلى درجة من ذلك والله أعلم .

وتحدث القاضي عياض عن إعجاز القرآن في أربعة أوجه: أولها: حسن تأليفه والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة، وثانيها: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها، وثالثها: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات، ورابعها: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة[1].

(1) ينظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 24-25-26.
(1) أبي بكر محمد بن الطيب الياقلاني: إعجاز القران الكريم –تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل بيروت ط1411/1 هـ-1991م-ص21.

يقول عبد القاهر الجرجاني:" أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيته ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل وسياق كل خبر، ويبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة وعشرا وعشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبئ مكانها بل وجدوا اتساقا بهر العقول واعجز الجمهور" [1] واستنادا إلى هذا يتضح أن القرآن قد وصل من الإعجاز في البلاغة أن استنطق ألسنة الجاحدين بالتلفظ ببراعته فقد قال الوليد بن المغيرة بعد أن سمُع القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم: "والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي نقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة، وانه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه".

وكان أيضا من أقوالهم لما سمعوا بلاغته المتدفقة، ورأوا هدايته النادرة وفصاحته الباهرة: أي والله إنه لشعر شاعر وسحر ساحر، إن هذا لا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر، كلا والقمر والليل إذا أدبر، والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر، وما هو بقول بشر، إن هو وحي يوحى، ومعجزة تتحدى وبلاغة تتخلى وتروى [2]، فهي تنبئ عن مجموعة من السمات الفنية التي اختزلها القرآن لنفسه وترك العقول شاخصة أمامه وأمام فنيته.

المطلب الثالث : السمات الفنية للقرآن الكريم:

ويستخلص مما سبق من أقوال العلماء في الإعجاز القرآني أن الخطاب القرآني يمتاز بـ:

(1) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ـ علق عليه محمد رشيد رضا، ص:44.
(2) الباقلاني: إعجاز القرآن ـ ص :18- 20.

1-روعة الخطاب وأخذه بالأفئدة والأسماع والمشاعر والعواطف والنفوس.

2-عظمة تصويره للحياة والنفس البشرية في سلمها وحربها، لهوها وجدها، أملها وآلمها، وللمثل العليا في الحياة المهذبة.

3-إنه ليس كتاب قصص أو تسلية أو آداب أو حكمة أو فلسفة وغيرها، إنما هو منهاج الحياة الروحية والاجتماعية الصحيحة.

4-بساطة أسلوبه ووضوحه وجماله وقوته وجزا لته وعذوبته.

5-شرف معانيه وسمو حكمه،وجلال دعوته، وصدق حجته، وعمق منزعه وعلو تصويره

6-عظمة أغراضه ومقاصده، ورفعة مراميه ومناحيه[1].

خطابه جمع بين الجزالة والسلاسة، والقوة والعذوبة، وتدفق البلاغة وحرارة الإيمان، لا هو سجع، ولا هو مزاوجة ولا هو نثر، أسلوب صيغ من حكمة ومزج بالهداية، أداء خارج عن المعهود من نظام كلام العرب، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، فليس لهم كلام مشتمل على كل المعاني والفصاحة، إنما تنسب إلى حكيمهم كلمات موردة وألفاظ محدودة وإلى شاعرهم قصائد محصورة، على خلاف ما جاء في كالقرآن: **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)**[2] معنى ذلك أنه غير متعاص على الأسماع ولا ملتو على الإفهام ولا مستكره من اللفظ، وأما

(1) الباقلاني :إعجاز القرآن ـ ص :24.
(2) سورة الزمر ـ الآية : 23.

كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال. على عكس القرآن إن طال أو كثر زاد شوقا وإعجازا.

أما نظمه فقد قيل : الكلام يقوم على أشياء ثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، والخطاب القرآني لهذه الأمور أفصح وأعذب، فألفاظه متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، ولكن لكل نوع من الألفاظ موضعه الذي لا يبدل مكانه غيره، كالحمد والشكر، والبخل والشح، مثل قوله تعالى:**(مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**[1]، والشح في الآية ليس البخيل وإنما من أكل مال أخيه ظلما، ومثله أيضا: بلى ونعم، فان بلى جواب عن استفهام بحرف النفي، ونعم جواب عن استفهام، كقوله تعالى: **(أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى)**[2] وقوله تعالى: **(فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَم)**[3].

كما أن معظم كلام القرآن مبنيا ومؤلفا من ألفاظ مبتذلة في مخاطبات العرب مستعملة في محاوراتهم[4]. إنه مبهر في جرس ألفاظه وأصوات كلماته فيحس بها من له أذن تصغي ولو كان أعجميا [5].

إن القرآن الكريم وعلى اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة، يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة يقول الباقلاني عن ألفاظ القرآن: "...اعلم أن تخير

(1) سورة الحشر ـ الآية : 9
(2) سورة الأعراف ـ الآية :172
(3) سورة الأعراف – الآية: 44
- ينظر محمد عبد الله دراز ـ النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن ـ دار القلم ـ ط 4: 1394هـ 1977م ـ ص : 117
(4) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ ص :52
(5) ينظر محمد عبد الخالق عضيمة ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ دار الحديث القاهرة ـ د ط /د ت ـ ص:6

الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة والأسباب الدائرة بين الناس، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة، فلو برع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول والمتكرر... ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لا يفصل أحدهما عن الآخر، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم"[1] فتلك هي قيمة البلاغة، وفي هذا الصدد يقول سليمان عشراتي :" إن الألفاظ القرآنية قد وضعت وضعا بحيث أن لكل كلام بل لكل كلمة، بل لكل حرف، بل حتى لسكون أحيانا وجوها كثيرة جدا، تمنح كل مخاطب حظه ونصيبه من أبواب مختلفة"[2].

ولتتضح الصورة أكثر سنأخذ مجموعة من الأمثلة عن البلاغة لتبيان المعنى، وليكون له وقع على النفوس أكبر، فالبلاغة على عشرة أقسام :الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلائم، والفواصل، والتجانس، والتصريف والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

1- **الإيجاز**: تقليل كلام من غير إخلال المعنى وهو نوعين حذف، وقصر[3]، فمن الحذف قوله تعالى: (**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**..) واستعمل الحذف في الخطاب القرآني لأن النفس تذهب فيه كل مذهب.

وأما القصر: في قوله تعالى: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)**[4]. فهو نظير "القتل أنفى للقتل" فالثاني فيه أربعة عشر حرفا والأول عشرة أحرف[1].

(1) الباقلاني :إعجاز القرآن ـ ص: 94
(2) عشراتي سليمان :جمالية التشكيل الفني في رسائل النور ـ دار النيل للطباعة وانشر ،ط1426:1هـ 2005م ـ ص:264
(3) الحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال- أما القصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف.
(4) سورة البقرة- الآية 179

2- **التشبيه**: وهذا باب يتفاضل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء، وذلك أنه يكسب الكلام بيانا عجيبا، وهو على طبقات في الحسن، فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين، بمعنى يجمعهما يكسبه بيانا فيهما، مثل قوله تعالى : (**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**)(2) وقوله: (**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ**)(3).

3- **الاستعارة**: قوله تعالى: (**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**)(4) ، وقوله: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**)(5) .

4- **التلائم**: تعديل الحروف في التأليف، وهو على ثلاثة أوجه: متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى- وهذا قول الشعراء-، ومتلائم في الطبقة العليا وهذا الأخير هو القرآن كله، وذلك لمن تأمله، ومن الناس من هو اشد إحساسا بذلك وفطنة له والفائدة منه حسن الكلام في السمع وسهولة في اللفظ، وتقبل المعنى في النفس، والتلاؤم في التعديل من غير قرب شديد حيث يظهر بسهولته على اللسان وحسنه في الأسماع(6).

5- **الفواصل**: حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني وهي البلاغة، والفواصل تابعة للمعاني، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذا كان الغرض من تلك الحكمة، الإبانة عن المعاني التي تكون الحاجة إليها ماسة، فإن كانت المشاكلة واصلة إليها فهي بلاغة، وإن كانت

---

(1) محمود السيد شيخون : الإعجاز في نظم القرآن –مكتبة الكليات الأزهرية – ط1: 1398هـ-1978م ، ص 35.
(2) سورة الرحمن- الآية 24.
(3) سورة الصافات- الآية 49.
(4) سورة الاسراء - الآية :24
(5) سورة مريم - الآية :04
(6) ينظر ثلاث رسائل في الإعجاز، ص82.

على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة، وهي في القرآن طريق إلى إفهام المعاني التي تحتاج إليها في أحسن صورة لها، والفواصل على وجهين: إحداهما على الحروف المتجانسة كقوله تعالى: **(طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)**[1]، والمتقاربة كالميم من النون نحو قوله تعالى: **(الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)** [2].

6- **التجانس**: نوع من أنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة، وهو نوعان: المزاوجة، وتقع في الجزاء كقوله تعالى: **(فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ)**[3]، فقد استعير الأول للثاني للتأكيد على المساواة، فجاء على مزاوجة الكلام الحسن للبيان، والمناسبة تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد كقوله تعالى: **(ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم)**[4]، فجونس فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير[5].

7- **التصريف:** تصريف المعنى إلى دلالات مختلفة منها قصة سيدنا موسى عليه السلام على أوجه عديدة في القرآن وقد تصرف فيها.

8- **التضمين:** حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه.

9- **المبالغة** : هي الدلالة على كبر المعنى.

(1) سورة طه ـ الآية 01
(2) سوة الفاتحة – الآية 2.
(3) سورة البقرة ـ الآية 193
(4) سورة التوبة ـ الآية 127
(5) ثلاث رسائل في الإعجاز ـ ص ص :81 - 100

10- البيان: هو تميز الشيء من غيره في الإدراك، ولقد مدحه الله تعالى واعتد به فقال: **(الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**[(1)] .

وأعلى مراتب البيان ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان وتتقبله النفس وهذا كله في القرآن نحو قوله تعالى:**(لوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)**[(2)] وهذا أبلغ ما يكون من البرهان، وهو الأصل الذي عليه الاعتماد في صحة التوحيد لأنه لو كان آخر، لبطل الخلق بالتمانع بوجودهما دون أفعالهما[(3)].

أوجه الخطاب في القرآن الكريم:

الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها، قال ابن الجوزي في النفيس[(4)]: وزاد غيره على أكثر من ثلاثين وجها:

أحدها:خطاب العام والمراد به العموم: لقوله تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)**[(5)].

الثاني:خطاب الخاص والمراد به الخصوص: كقوله تعالى: **(أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)**[(6)].

الثالث:خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ)**[(7)] لم يدخل فيه الأطفال والمجانين، وقد اختلف فيه

(1) سورة الرحمن – الآية 1-4.
(2) سورة الأنبياء- الآية 22.
(3) ثلاث وسائل في الإعجاز ص 81-109.
(4) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن –ج2- دار الكتب العلمية د.ط- دت –ص: 71
(5) سورة الروم- الآية 40
(6) سورة آل عمران- الآية 106.
(7) سورة البقرة- الآية 21

العلماء فأنكره بعضهم، لأن الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الاستثناء المتصل بالجملة.

الرابع: خطاب الخاص والمراد به العموم، كقوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء**)[1] افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق.

الخامس: خطاب الجنس: كقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...**) [2] .

السادس: خطاب النوع: كقوله تعالى: (**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...**) [3].

السابع: خطاب العين : كقوله تعالى : (**يَا آدَمُ اسْكُنْ...**) [4]، (**يَا نُوحُ اهْبِطْ...**) [5] (**أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ...**) [6] ولم يقع في القرآن الخطاب يا يا محمد، بل (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ...**) [7] (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...**) ، تعظيما له وتشريفا وتخصيصا بذلك عما سواه وتعليما للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه.

الثامن: خطاب المدح نحو قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ...**) [8] وقع الخطاب لأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا.

التاسع: خطاب الذم نحو(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ**)[9]، ((**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**)[10] ، ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين، وكثير الخطاب بـ: يا أيها الذين آمنوا على المواجهة،

(1) سورة الطلاق – الآية 1
(2) سورة التحريم، الآية 1.
(3) سورة البقرة، الآية 40
(4) سورة البقرة، الآية 35.
(5) سورة هود، الآية 48
(6) سورة الصافات، الآية 104-105.
(7) سورة المائدة، الآية 41.
(8) سورة المائدة، الآية 1.
(9) سورة التحريم، الآية7
(10) سورة الكافرون – الآية 1.

وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضا عنهم[1] كقوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ)**[2].

العاشر: خطاب الكرامة (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**) ، (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**) قال بعضهم: نجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه في الأمر بالتشريع العام لقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)**[3] وفي المقام الخاص يقول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)** قال : وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام، ولكن مع قرينة إرادة العموم كقوله تعالى:**(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ)** .

الحادي عشر: خطاب الإهانة نحو قوله تعالى: **(فَإِنَّكَ رَجِيمٌ)**[4] .

الثاني عشر: خطاب التهكم نحو قوله تعالى: **(ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)**[5] .

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ[6] واحد نحو قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا)**[7].

الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الواحد نحو قوله تعالى:**(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ)**[8]، وقوله: **(فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ)**[9] فهو خطاب خطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، إذ لا نبي معه ولا بعده،

(1) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص72.
(2) سورة البقرة، الآية 6.
(3) سورة المائدة، الآية 67.
(4) سورة ص، الآية 77.
(5) سورة المائدة، الآية 49.
(6) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص:72
(7) سورة الانشقاق، الآية 6.
(8) سورة المؤمنون، الآية 51.
(9) سورة المؤمنون، الآية 54.

وكذلك قوله تعالى:(**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ**)[1] فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده[2] بدليل قوله: (**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ**)[3].

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو قوله تعالى: (**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ**)[4]، والخطاب لمالك خازن النار، وقيل: خزنتها النار والزبانية، فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين، وقيل للملكين الموكلين به في قوله تعالى: (**وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**)[5] وجعل من هذا النوع قوله تعالى: (**قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا**)[6] قيل أن: الخطاب لموسى وحده لأنه الداعي، وقيل لهما لأن هارون أمنَّ على دعائه والمؤمنّ أحد الداعيين.

السادس عشر: خطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله تعالى: **(قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى)**[7] أي ويا هارون وفيه وجهين: أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية، والآخر لأنه صاحب الرسالة، والآيات، وهارون تبع له، ذكره ابن عطية، ومثله قوله تعالى: (**فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**)[8]، أفرده بالشقاء لأنه المخاطب أولا والمقصود في الكلام، وقيل لأن الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب الرجال، وقيل إغضاء عن ذكر المرأة، كما قيل من الكرم ستر الحرم.

(1) سورة النحل، الآية 126.
(2) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص:73
(3) سورة النحل، الآية 127.
(4) سورة ق، الآية 26.
(5) سورة ق، الآية 19.
(6) سورة يونس، الآية 89.
(7) سورة طه، الآية 49.
(8) سورة طه، الآية 117.

السابع عشر: خطاب الاثنين بلفظ الجمع كقوله: (**أن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا**) وكقوله :(**وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً**)[1].

الثامن عشر: خطاب الجمع بلفظ الاثنين في قوله تعالى: (**وَأَلْفَيَا**)[2] .

.

التاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد كقوله تعالى: (**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ**)، وقوله: (**وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ**)، وقوله: (**وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ**)[3] ، قال ابن الانباري: جمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم.

العشرون: عكسه نحو قوله تعالى: (**وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**)[4] .

الحادي والعشرون: خطاب الاثنين بعد الواحد نحو قوله تعالى: (**قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ**)[5].)[5].

الثاني وعشرون: عكسه نحو قوله تعالى: (**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى**).

الثالث وعشرون: خطاب العين، والمراد به الغير نحو قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ**)[6] الخطاب له والمراد أمته لأنه صلى الله عليه وسلم كان تقيا، وحاشاه من طاعة الكفار، ومنه قوله تعالى:

(1) سورة يونس، الآية 87.
(2) سورة يوسف، الآية 25.
(3) سورة يونس، الآية 61
(4) سورة يونس، الآية 87.
(5) سورة يونس، الآية 78.
(6) الأحزاب، الآية 1.

(فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ)[1]، حاشاه صلى الله عليه وسلم من الشك، وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية قال: لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل، ومثله قوله تعالى:**(وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا)**[2].

الرابع والعشرون: خطاب الغير، والمراد به العين نحو قوله تعالى: **(لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)**[3] **.**

الخامس والعشرون: الخطاب ا&لعام الذي لم يقصد به مخاطب معين كقوله تعالى: **(وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ)**[4]، وقوله: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ)**[5]، وقوله: **(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ)**[6]**.** ولم يقصد بذلك خطاب معين، بل كل أحد، وأخرج في صورة الخطاب لقصد العموم.

السادس والعشرون: خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره نحو قوله تعالى: **(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ)** خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للكفار : **(فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ)** بدليل: **(فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)**.

السابع والعشرون: خطاب التكوين، وهو الالتفات.

الثامن والعشرون: خطاب الجمادات، خطاب من يعقل نحو قوله تعالى: **(فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)**[7]**.**

(1) سورة يونس، الآية 94.
(2) سورة الزخرف، الآية 45.
(3) سورة الأنبياء، الآية 10.
(4) سورة الأنعام، الآية 27.
(5) سورة الحج، الآية 18.
(6) سورة السجدة، الآية 12.
(7) سورة فصلت، الآية 11.

التاسع والعشرون: خطاب التهييج نحو قوله تعالى:(**وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**)[1].

الثلاثون:خطاب التحنن والاستعطاف[2] نحو قوله تعالى :(**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا**)[3].

الحادي والثلاثون: خطاب التحبب نحو قوله تعالى: (**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ**)[4]، وقوله: (**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ**)[5] ، وقوله تعالى: (**يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي**)[6] .

الثاني والثلاثون: خطاب التشريف، وهو كل ما في القرآن مخاطبة "بقل" فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة، بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة.

الثالث والثلاثون: خطاب المعدوم، ويصح ذلك تبعا لموجود نحو قوله تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ**)[7] فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم[8].

كما يوجد تقسيم آخر للخطاب القرآني يصب في نفس المعنى وجاء على حسب تفاوت الاستعدادات الفكرية والإيمانية للإنسان وهو كالتالي :

1. **خطاب العام** : شامل يتناول الجنس البشري ، فهو خطاب جاوز مرحلة الأمين ليهتدوا ويؤمنوا، ويعالج مشكلاتهم فيستريحوا ،وللعلماء وللفلاسفة وللعرب ولغير العرب[9].

(1) سورة يونس، الآية 84.
(2) الإتقان في علوم القرآن ـ ص: 74
(3) سورة الزمر، الآية 53.
(4) سورة مريم، الآية 42.
(5) سورة لقمان، الآية16.
(6) سورة طه، الآية94.
(7) سورة الأعراف، الآية 31.
(8)الإتقان في علوم القرآن، ،ص 74.
(9) محمد أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية ، ص 11.

ومعنى ذلك أنك إن خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذي تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم، ولو خاطبت العامة باللمحة والإشارة لجئتهم بما لا تطيقه عقولهم ، فتعطي لكل صنف حظه وتخاطب الرجال بغير ما تخاطب الأطفال ، ولكن بأن تخاطبهم جملة واحدة فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فهذا لا نجده إلا في القرآن الكريم فهو متعة العامة والخاصة ميسر لكل من أراد[1] .

2. **خطاب المؤمنين** : موجه إلى الذين آمنو فعلا نحو قوله تعالى: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ)**[2] والهدف تصعيد وتيرة الإيمان لأنهم ظفروا بهذه النعمة قبل الخطاب .

3. **خطاب أهل العلم** : موجه لحملة العلم نحو قوله تعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)**[3].

4. **خطاب المتقين** :أي أولئك الذين يحرصون على تنفيذ أحكام الله تعالى، ويعملون على تجنب الشبهات أي الأتقياء نحو قوله تعالى: **(إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ)**[4] .

---

(1) محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، دار القلم ، ط4: 1397هـ-1977م ،ص 113 .
(2) سورة آل عمران، الآية 190.
(3) سورة الروم، الآية 22.
(4) سورة يونس، الآية 6.

5. **في خطاب أهل اليقين** : إنهم صفوة من أهل الإيمان، أهل تصديق لا يتزعزع نحو قوله تعالى: **(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ)**[1] .

6. **خطاب الله للكافرين** [2]نحو قوله تعالى: **(أولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[3].

وصفوة القول أن أقوَمَ وجوه التحدي هو ما يمكن أن يفهمه العربي في تلك البيئة التي أوحي فيها القرآن، وما كان متناسبا مع مقتضى الحال، وهو أن يأتوا بما هو مثل القرآن في كل شئ كما يستفاد من لفظ المماثلة، ويشمل ما في القرآن مع بيان، وأسلوب، وفكرة، وعاطفة، متأججة وخيال، وحسن معرفة في مخاطبة النفس.[4].

فالرافعي يرى أن القرآن معجز بهذه الروح المستشفة من نظم القرآن، والتي تخاطب الروح، وهي ليست ألفاظا ذات معنى فقط ، بل هي حياة تضطرم وهي خلق روحي.

أما آمين الخولي فيرى الجانب النفسي للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في التعاليم التي تناولها [5] .

وهذه التعاليم هي المميزات الرفيعة والقيم الخلقية التي تسعى لتنظيم الكون على بسطتها، وفي هذه البساطة سر من أسرار جمالها، وتظهر في

---

(1) سورة الذاريات، الآية 20.
(2) غالب حسن : نظرية العلم في القرآن ، قضايا إسلامية معاصرة ، دار الهدى ، ط1 : 1421هـ -2001م .
(3) سورة البقرة، الآية 174.
(4) ينظر مجلة الأصالة – ملتقى القرآن الكريم – ملتقى الفكر الخامس عشر – ج2 – من 2 إلى 8 ذو العقدة 1401 هـ - 1 إلى 7 سبتمبر 1981 – دار البحث قسنطينة الجزائر – ص 289.
(5) نعيم الحمصي : فكرة الإعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر – قدم له محمد بهجة البيطار – مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان – ط2 : 1400هـ -1980م ،ص : 135-139.

الخيال الخصب الذي يصور الندم وعذاب الضمير، وآلام النفس وأفراحها وتعاطف البشر، ويصور الجنة والنار ويسير من مضى وقضى من الأمم، وتظهر في أسلوبه العظيم الذي أدى ما يراد بلاغة إلى الناس بأجمل موسيقى وخير آداء، فترى المعنى ينساب إلى النفس مع انسياب الألفاظ إلى السمع، وكأن الكلام يقع في القلب لا في الأذن، وترى الروح تخاطبه وتدرك منه معرفة منشئها بالنفس البشرية وحسن التأتي في مخاطبتها.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية المرجوة لابد من اتباع وسائل في ذلك، فكان القرآن الكريم حكيم في أساليبه، متبع لمنهج عظيم ، فما هي أساليب القرآن الكريم في خطابه للنفس البشرية ؟ وما مدى تأثيرها عليها؟

تمهيد:

من أجل الوصول بالإنسان إلى أسمى الغايات وكبرى الأهداف، والمقاصد التشريعية، تولى القرآن الكريم تربيته باللين والحكمة والموعظة الحسنة وتنبيه العقل وإيقاظ النفس البشرية وتخليصه من التقليد وإعمال فكره للإفادة والاستفادة، فكان ذلك مرة بالمعاملة والترغيب والمجاهدة للأهواء، والشهوات ، وتارة باللوم والتعنيف وتارة أخرى بالترهيب والإنذار.

وعليه فإن المتدبر للقرآن الكريم يدرك أن الترغيب والترهيب سمة المنهج القرآني لقوله تعالى :(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا 1 قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا 2مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا**)[1].

والمتدبر للقرآن الكريم أيضا يدرك أنه يتماشى مع طبيعة النفس البشرية التي تحتاج دائما إلى هذين العنصرين، ومن أجل ذلك جاءت رسالات الأنبياء[2] لقوله تعالى: (**رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**)[3].

فمرد سعادة الإنسان إلى الجسم والروح معا، ومرد شقاءه أيضا إلى الجسم والروح معا، وهذا ما تجسده الآيات القرآنية في وصف ذلك وبيان جزئياته المادية المنثورة لقوله تعالى: (**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاء مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ**

(1) سورة الكهف ، الآية 1-3.
(2) محمد السيد يوسف : منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع – دار السلام – ط1 : 1412 هـ - 2002 م – ص : 447.
(3) سورة النساء ، الآية 165.

لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا)[1]، وقوله تعالى :**(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ)**[2] فهذا البيان القرآني ينطلق في أجلى وسائل التعبير القاطعة، بأن ما توعدون به من نعيم، أو تتوعدون به من عذاب، ليس شيئا روحانيا مجردا يطوف بمشاعر روحية أو وهمية مجردة، بل هي الحقيقة المادية المحسوسة [3].

ومنه فالترغيب والترهيب من أهم الأساليب القرآنية التي توجه للنفس البشرية وهذا ما سنحاول تبيانه فيما سيأتي.

(1) سورة الواقعة ، الآية : 27-37.
(2) سورة الواقعة ، الآية 41-44..
(3) محمد سعيد رمضان البوطي : من الفكر والقلب ، فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب– ص : 91.

المبحث الأول: أسلوب الترغيب والترهيب

للترغيب والترهيب أهمية عظيمة في حياة كل إنسان،فهو منهج المسلمين والبشرية جمعاء، والإنسان بطبعه يرتقي إن كان هناك ما يشجعه في حياته،ويدفع به إلى الخير، وينفر مما يوقعه في المضرة،فغريزة حب الإنسان لنفسه تحمله على الركض وراء مصالحه سواء كان ذلك عاجلا أم آجلا،دنيويا أو أخرويا.

إلا أن قناعة الإنسان بهذا الأسلوب تتفاوت بين شخص لآخر بحسب علمه وفهمه لأسلوب الترغيب والترهيب فما هو هذا الأسلوب؟

المطلب الأول: مفهوم الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب فياض في القرآن الكريم والسنة النبوية بفنونه المتعددة ، من الوعد والوعيد، التبشير والإنذار، وعلى وجوه مختلفة واعتبارات متنوعة[1] .

وكلمة **"رغب"** ذكرت في مواضع من القرآن الكريم، وعلى لسان النبي صلى الله عليه وسلم، فال الله تعالى: **(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ)**[2]، وقوله تعالى: **(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ)**[3]، وفي قوله تعالى: **(وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)**[4].

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ـ دار الفكر ـ ط1:1424هـ ـ2004م ـ ج1ـص:214

(2) سورة مريم ـ الآية:46

(3) سورة البقرة ـ الآية :130

(4) سورة الشرح ـ الآية :8

أما كلمة **"رهب"** فجاءت في مواطن منها قوله تعالى: (**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ**)(1)، قوله تعالى: (**لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ**)(2).

ومن ثم **فالترغيب** وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة، أو متعة مؤكدة، خالصة من الشوائب مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضات الله، وذلك رحمة من الله لعباده.

والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم وذنب مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله بها، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي .

التشويق : استثارة ما في النفس من الميول المختلفة لتتوجه إلى الاهتمام بما يعرض عليها من أنواع الخيرات حتى تستفيد منها، فالشيء يكون شائقا إذا كان يسد حاجة من حاجات النفس ورغباتها الطبيعية، فالتشويق هو ربط موضوع ما بميل أو أكثر من ميول الإنسان الفطرية أو المكتسبة.

إذن هو حافز يقدم قبل السلوك المرغوب فيه عادة ، ترغيبا في القيام به بحيث يثير الاهتمام به في نفس الفرد ويبعث على مباشرته وذلك إما بتقديم الحافز فعلا، أو بربطه بالقيام بالسلوك على سبيل الاشتراط(3) .

(1) سورة الأنفال ـ الآية :60
(2) سورة الحشر ـ الآية :13
(3) داود بورقيبة :رسالة ماجستير : التعزير والتشويق وأساليبها في القرآن الكريم ـــ إشراف : مصطفى تسوي – سبتمبر : 1993 – جامعة الجزائر ، المعهد الوطني العالي لأصول الدين .

ونجد في القرآن الكريم، إذا ورد الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه أو سوابقه، لأن النفوس تطلب عادة النتائج والمآلات، والمآلات في الشرع من جنس العمل، فإن خير فخير، وإن شر فشر، وكان المقصد الأصلي للشرع في مخاطبة الناس المزاوجة بين الترغيب والترهيب والترجية والتخويف[1] ومثال ذلك قوله تعالى :(**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**)[2] .

وكما نلمس الترجية مع التخويف ،ومن مثله كذلك ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار والعكس، لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجية وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفا[3] .

ولكن قد يغلب أحد الطرفين على الآخر، وذلك بحسب مقتضى الحال، فقد يرد التخويف ويتسع مجاله ويجاوره الترجية، كما ورد في سورة الأنعام، حيث جاءت مقرر ة للخلق منكرة من أنكر وخاصم وصد، وهذا يقتضي التخويف والتأنيب والتعنيف، ولذلك كثر هذا النوع من الأسلوب، إلا أن هذا لا ينف تخلل الترجية.

(1) إدريس أوهنا : أسلوب الحوار في القرآن الكريم – الموضوعات والمناهج والخصائص – ط1 : 1426 هـ - 2005م – منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية،ص 134.
(2) سورة الإنسان ، الآية : 5-11.
(3) أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الفقه – شرح وخرج أحاديثه : عبد الله دراز – وضع تراجمه : محمد عبد الله دراز – خرج آياته : عبد السلام الشافي محمد – دار الكتب العلمية بيروت لبنا ن – ط1 : 1425 هـ - 2004 م ،ص : 683.

كما قد ترد الترجية ويتسع مجالها، مثل مواطن القنوط[1] قال تعالى: (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**)[2] .

ولأن الخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به، فالخوف أفضل، وإن كان الغالب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل، ويبقى الرجاء أفضل لأنه مستقى من رحمة الله، ومستقى الخوف من الغضب[3] .

يقول يوسف القرضاوي عن الترغيب والترهيب : "إن فكرة الترغيب والترهيب فكرة أساسية في الدين وهي مبنية على أساسين :

أولها : أساس ديني : وأعني به عقيدة الثواب والعقاب : ثواب الله لمن آمن به وعمل بطاعته، وعقابه لمن أعرض عنه وعصاه.

ثانيها: أساس نفسي : فمما لا ريب فيه أن الرغبة والرهبة نزعتان خطيرتان في الإنسان، فهو بطبيعته يرغب فيما يحب ، ويخاف مما يكره، فلا عجب أن يستفيد المنهج التربوي في الإسلام من هاتين النزعتين، لدفع الإنسان إلى فعل الخيرات والطاعات، واجتناب الشرور والآثام "[4].

ولقد أدرك الباحثون في الأديان قيمة هذا الأسلوب في الدين، وفائدته في حمل الناس على السلوك السوي، وخصوصا إذا تعلق الأمر بالترهيب أو التخويف، فالإخافة المعبر عنها في الأديان السماوية، ليست الإخافة

(1) الشاطبي : الموافقات – ص : 684.
(2) سورة الزمر : الآية 53.
(3) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين – دار المعرفة بيروت – ج4 – دذ / ط- دذ / ت – ص : 147.
(4) إدريس أوهنا: كتاب أسلوب الحوار في القرآن الكريم – ص : 135 .

الناجمة من القوى الطبيعية، التي تأتي دون سابق إنذار، بل هي بمثابة تحذير وتنبيه من أجل المصلحة الغائبة للإنسان، وهي تتجه للمنحرف الذي يريد إفساد قانون الحياة.

فكانت ثمرة هذه البحوث ظهور نظريات تتكلم عن الشعور، فمثلا هناك النظرية القائلة بأن الخوف هو منبع الدين، و هذه الأخيرة تنتمي إلى ما يسمى**"التفسير الذوقي أو الجمالي"**،فترى أن المواظبة على فعل التكاليف هي الحيلة التي لجأ إليها الإنسان لكي يحمي نفسه[1].

وإذا كانت النظرية الأولى تعتبر أساس الدين هو الشعور بالخوف،فإن هناك نظرية أخرى ترى أنه مادام الأمر مرده للشعور،فالشعور اللائق في هذا الصدد هو الشعور بالحب والرغبة،ولا يكون في أمور محسوسة، و إنما الرغبة في التشبه بالله وحب رؤيته[2]، استنادا إلى من يرى أن النفس من ذات الله تعالى، فقد قيل أحدهم في هذا الصدد:"إن الرغبة الأولى للإنسان هو أن يتشبه بالله...وإن المخالفة أو المعصية متناقضة تماما مع الحب الطبيعي الذي نكنه لله"[3] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الأسلوب لا يقتصر في خطابه على النفس فقط، بل يتعداه إلى الالتزام العقلي، لأنه مبني على الحجج العقلية، نحو قوله تعالى: (**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) [4] وقوله أيضا: (**هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) [5]، وقوله تعالى: (**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**)[6].

(1) ينظر محمد كمال جعفر:الإنسان والأديان ـ دراسة و مقارنة ـ دار الثقافة ـ قطر ـ ص ص :68- 71.
(2) إن القرآن الكريم قد جعل رؤية الله تعالى من المرغبات، وهذا ما سنراه في طرق الترغيب والترهيب .
(3) محمد كمال جعفر، الإنسان والأديان- ص:73.
(4) سورة الطور : الآية 16.
(5) سورة الطور : الآية 19.
(6) سورة الطور : الآية 21.

أنواع الترغيب والترهيب:للترغيب والترهيب أربعة أنواع هي :

1- ترغيب عام : ويكون بالترغيب في نيل ثواب الله تعالى في الدنيا والآخرة، وصورته تكون في ذكر الجنة وما أعده الله فيها من الخير والنعيم ، نحو قوله تعالى : (**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً**)[1] .

ومن أمثلة الترغيب العام في الدنيا[2] قوله تعالى : (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ**)[3] .

(**كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)[4].

2- ترهيب عام : ويكون بالترهيب من بطش الله تعالى أو عذابه والتخويف من التعرض لغضبه وعقابه مثل قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**)[5] .

3- ترغيب في فعل شيء معين : وذلك كالترغيب في الإيمان بالله تعالى، والصدقة نحو قوله تعالى **: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ**

(1) سورة النساء : الآية 57.
(2) محمد السيد يوسف : منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع – ص : 448.
(3) سورة النور : الآية 55.
(4) سورة النور : الآية 55.
(5) سورة التحريم : الآية 6.

يُتْبِعُونَ مَا أنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [1].

4- ترهيب من فعل شيء معين : وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : ينحصر فيه على الجزاء الأخروي فقط، وليس عليه عقوبة دنيوية ، وذلك كالترهيب من أكل الربا بقوله تعالى: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**[2]، وكالترهيب من البخل وكنز الأموال والذهب والفضة وعدم إنفاقها في قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 34 يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)** [3]، والترهيب من الغيبة، لقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)** [4]، والترهيب من التطفيف في الكيل والميزان في قوله تعالى : **(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا**

(1) سورة البقرة : الآية 261-262.
(2) سورة البقرة : الآية 275.
(3) سورة التوبة : الآية 34-35.
(4) سورة الحجرات : الآية 12.

اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[1] .

القسم الثاني :يجمع الترهيب فيه بين الجزاء الأخروي والعقوبة الدنيوية، كالترهيب من القتل العمد لقوله تعالى :(**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)**[2]، هذا هو الجزاء الأخروي، أما الجزاء الدنيوي فهو القصاص بقتل القاتل، إلا أن يعفوا أولياء الدم، وكالترهيب من الزنا في قوله تعالى :(**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً)**[3]، وأما الجزاء الدنيوي فهو جلد مائة جلدة لغير المحصن والرجم حتى الموت للمحصن، وأيضا كالترهيب من قذف المحصنات[4] في قوله تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**)[5] .

ومن خلال هذه العناصر، يمكن القول أن القرآن الكريم كانت له جوانب عديدة في ترهيب العباد وترغيبهم، فيعتمد مثلا على التهديد، والإنذار، والزجر، واللعن وغيرها، إذ يظهر التهديد مثلا في قوله تعالى :(**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)**[6]، والإنذار في قوله تعالى :(**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا)**[7] ، والزجر في قوله بقوله : (**كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا**) [1]،

(1) سورة المطففين : الآية 1-6.
(2) سورة النساء : الآية 93.
(3) سورة الإسراء : الآية 32.
(4) محمد السيد يوسف : منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، ص 451.
(5) سورة النور : الآية 23-25.
(6) سورة المدثر : الآية 11.
(7) سورة المدثر : الآية 17.

واللعن كلعنه للخراصين في قوله تعالى:(**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ،الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ**)[2] .

كما يكشف عما يلقاه أهل الكفر والضلال من العذاب في الآخرة، ويعبر عنهم أنهم أهل جنايات في قوله تعالى : (**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**)[3] ، ويستفهم بالسخرية في قو له تعالى: (**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**) [4]، ويوعد المتلاعبين بالكيل والوزن فيغشون[5] في قوله تعالى : (**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**)[6] .

إلا أننا نجد ما يقابل الترهيب والترغيب معتمدا على التأديب والتهذيب، ليلفت الأنظار إلى نعمة الإسلام، ونعمة تأليف القلوب، فيدعوا إلى الاعتصام بحبل الله في قوله تعالى :(**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**)[7]، وبالنصح تارة أخرى كالتخلي عن بقايا الجاهلية ومساوئها[8] في قوله تعالى :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ**

(1) سورة المدثر : الآية 16.
(2) سورة الذاريات : الآية 10.
(3) سورة الزخرف : الآية 74-75.
(4) سورة النحل : الآية 58.
(5) ينظر محمد صالح الصديق: البيان في علوم القرآن ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ د ط / د ت ـ ص:254
(6) سورة المطففين: الآية 1-2.
(7) سورة آل عمران : الآية 103.
(8) محمد صالح الصديق: البيان في علوم القرآن ـ ص:257.

خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[1] .

من خلال هذه الإطلالة على أنواع الترغيب والترهيب أنتقل للحديث عن أقسامه فيما يلي:

أقسام الترغيب والترهيب:

1-**الترغيب:**وهذا القسم على نوعين:

أ.**الترغيب المادي:**ونعني به ما كان محسوسا مرغوبا لدى النفس البشرية من الأموال والأولاد والنساء، والذهب والفضة، وغيرها من المحسوسات، كما أننا لا نجد من أحسن استخدام هذا الأسلوب وإتقانه إلا القرآن الكريم[2].

ب. **الترغيب المعنوي:** وهو تلك الغايات الكبرى التي يطمح لها كل إنسان في هذا الوجود، كالسعادة والاطمئنان والراحة والخلود والسمعة الحسنة ومحبة الآخرين واحترامهم وكسب ثقتهم، إلى غيرها من المبادئ والقيم والغايات السامية [3].

2- **الترهيب:** وهو أيضا نوعان :

أ.**الترهيب المادي:**قد ذكر القرآن الكريم كيف استخدم فرعون هذا النوع مع بني إسرائيل لفرض جبروته عليهم، بقتله الأولاد، وسبي النساء، واستعباد الرجال، وعندما أمر أيضا بصلب السحرة أمام الجمع، وتقطيع أعضائهم، من أجل تخويف الناس.

---

(1) سورة الحجرات: الآية 11.
(2) محمد السبعاوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي - ص:111
(3) المرجع السابق - ص:115

والقرآن الكريم استخدم هذا النوع بالشكل الذي يصلح البشرية، ويقوم أخلاقها، من الفساد، كحد الزنا، والقصاص في القتل وغيرها.

ب. الترهيب المعنوي:وهو ما فيه أذى للنفس و السمعة والكرامة، أو الكراهية وبغض الناس وعدم الاحترام،أو التغريب والنفي عن الأهل والوطن، فيظهر بمظهر قبيح أمام أهله وأولاده، وذلك لمن سولت له نفسه فعل السوء وغيرها من الأفعال الذميمة[1].

وهذه الأقسام تكون إما دنيوية أو أخروية، على حسب المقصد المراد الوصول له من خلال الخطاب، فقد تعددت طرق الترغيب والترهيب في القرآن، فتارة تكون بضرب الأمثال، وتارة بتعظيم للمرغب فيه وتهويل من المرهب عنه، وتارة أخرى بالوعد بالجنة والوعيد من النار، وهذه الأخيرة نلمس بروزها في القرآن الكريم بشكل واضح، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهميتها في الإسلام، فكيف كان ذكرهما –الجنة والنار- في القرآن الكريم.

المطلب الثاني :طرق الترغيب والترهيب

من الملاحظ – كما سبق – أن الترغيب والترهيب ينقسم إلى أربعة أنواع :

اثنان منها جاء مخصص لشيء معين ويكون عادة دنيوي ، واثنان منها جاء عام، ويقصد به الجزاء الأكبر الأخروي، فيكون إما الفوز ويفلح صاحبه بالجنة، وإما الخسارة ويقع صاحبها في النار .

(1)محمد السبعاوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ص :119- 122

وبناء على ذلك ، فإن من أهم طرقه على سبيل المثال لا الحصر، الترغيب في الجنة وما أعده الله لعباده المخلصين فيها من مأكل ومشرب، ولباس وغرف وحال أصحابها ، والترهيب من النار، وما أعده الله تعالى للكفار والعصاة من مأكل أيضا ومشرب ولباس وحال، لأنه عادة مايكون الترغيب والترهيب مرهونا بالجنة والنار، وهذا ما يراه محمد الغزالي [1]، فقد أكثر القرآن الكريم الحديث عن الدار الآخرة وما أعده من نعيم مقيم وعذاب دائم، وتكرر ذلك حتى لا تكاد تخلو منه سورة، لأن أغلب الناس لا يتخذ الأهبة للقاء الله تعالى، ولهذا جاءت صور الثواب والعقاب -أي الجنة والنار- لإيقاظ مشاعر الرغبة والرهبة، وإيقاظ الفكر الإنساني، ولأنه أيضا يهذب الغرائز، ويكفكف الأطماع.

إلا أننا نجد من يدعي أن الآخرة وهم وأن النعيم والجحيم في الدنيا لا وجود له بعد الموت[2]، هناك من يرى أن الجزاء الأخروي روحاني ليس له علاقة بالجسد، وفي هذا الصدد يرد محمد الغزالي بأن الإنسان معرض للامتحان الإلهي روحا وجسدا، فالحظ الروحي في هذا الامتحان قسيم لحظ البدن، والبدن هو المتحمل، مستندا لقوله تعالى :(**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**)[3] ، فهل تتحقق هذه العودة بقيام الناس صورا لا أرواحا فيها، أو بقيامهم أرواحا لا أجسادا لها، وبهذا أبطل القول الذي يرى أن الثواب والعقاب معنوي يشبه تأنيب الضمير أو راحته [4] .

(1) ينظر محمد الغزالي : المحاور الخمسة للقرآن الكريم – دار الهدى للطباعة والنشر – الجزائر – ص : 152.
(2) ومرجع تفكيرهم إلى الفلسفات المادية .
(3) سورة الأنبياء : الآية 104.
(4) محمد الغزالي ، المحاور الخمسة للقرآن الكريم – ص 172.

فقضية الجنة والنار تعد من أكبر الحقائق بعد وجود الله تعالى،إذ تعتبر الفرع الأساسي لرسالة الرسل[1] .

والآن وبعد هذه النظرة الخاطفة عن شبهة الماديين يأخذنا الحديث إلى أسمى الأماكن وأحبها إلى قلب كل إنسان، وهي الجنة وما أعده الله للمتقين فيها.

الجنة :

قال ابن قيم الجوزية فيها وهو يخاطب النفس الإنسانية التي تتطلع إلى كل ما هو جميل[2] :

يا خاطب الحور الحسان وطالبـــا لوصالهن جنة الحيـــوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـ ت بذلت ما تحوي من الأثمـان
أو كنت تعرف أين مسكنها جعلـ ت السعي منك لها على الأجفان
أسرع وحث السير جهدك إنمـــا مسراك هذا ساعة لزمـــان

فالجنة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهي سلعة الله تعالى لعباده، يقول تعالى في إخباره عن هذا العقد (**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ**

(1) سعيد حوى :الإسلام ـ شركة الشهاب الجزائر ـ ط2 :1408هـ ـ1988م ـ ص:758
(2) ابن قيم الجوزية : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـضبط وتعليق :محمد خالد العطار ـدار الفكر للطباعة : بيروت لبنان – ط1 : 1422هـ - 2002م – ص 09.

الْعَظِيمُ)[1]،وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزلة، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة)[2]، فذكرها ضرب من التشويق للعاملين في الدنيا ، فلا توجد في القرآن الكريم سورة إلا عرضت مناظرا أو تلتقط صورا عن وصف الجنة والتطرق لأسمائها [3]، باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات، فتكون مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فتكون متباينة من وجه آخر ونذكر منها :

الجنة : قال تعالى: **(قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا)** [4] وقال تعالى: **(وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ)**[5]، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وأصل هذه الكلمة من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن .

دار الآخرة : قال تعالى: **(قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)**[6]، وقال تعالى: **(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)** [7] .

---

(1) سورة التوبة : الآية 111.
(2) زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذر : الترغيب والترهيب في الحديث الشريف – ضبط أحاديثه : مصطفى عمارة – دار الريان للتراث – دار الحديث القاهرة ، ط: دذ / ط : 1407 – 1987- ج4 – كتاب التوبة والزهد – ص 262 .
(3) محمد نايف معروف : المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم – دار النفائس ، بيروت ، لبنان – ط1 : 1420 هـ - 2000م – ص 217.
(4) سورة الفرقان : الآية 15.
(5) سورة الشعراء :الآية 85.
(6) سورة البقرة : الآية 94.
(7) سورة الأنعام : الآية 32.

دار السلام : قال تعالى: (**لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**)[1] وقال تعالى: (**وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)[2]، فهي دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار الله فاسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم من عقلها.

دار الخلد :لأن أهلها لا يخرجون منها أبدا، لقوله تعالى: (**لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**) [3].

دار المقامة : قال تعالى حكاية عن أهلها (**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**)[4]، قال الفراء والزجاج : والزجاج : المقامة مثل الإقامة .

دار الحيوان : فهي دار الحياة التي لا موت فيها، قال تعالى: (**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)[5].

الجنات: قال تعالى: (**تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ**) [6] .

جنة المأوى :قال تعالى: (**عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**) [7]، والمأوى المكان الذي ينضم إليه ويستقر فيه.

(1) سورة الأنعام : الآية 127.
(2) سورة يونس : الآية 25.
(3) سورة الحجر : الآية 48.
(4) سورة فاطر : الآية 35.
(5) سورة العنكبوت : الآية 64.
(6) سورة الشورى : ألآية 22.
(7) سورة النجم : الآية 15.

جنة عدن : قيل اسم لجنة من الجنان قال تعالى: **(جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا 61)**(1).

جنات النعيم : فيها من التمتع بالمأكل والمشرب والملبس، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ)**(2).

الفردوس: هو اسم يقال على أفضلها، قال تعالى: **(الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**(3) .

المقام الأمين : أمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، قال تعالى: **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)**(4).

مقعد صدق وقدم صدق :قال تعالى: **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ)**(5)، وذلك لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن (6) .

وصف الجنة :

عرضها : قال تعالى: **(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)**(7) وهذا يقودونا إلى التحدث عن أبوابها .

(1) سورة مريم : الآية 61.
(2) سورة لقمان : الآية 8.
(3) سورة المؤمنون : الآية 10.
(4) سورة الدخان : الآية 51.
(5) سورة القمر : الآية 54-55.
(6) ابن قيم الجوزية : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – ص 77.
(7) سورة الحديد : الآية 21.

أبوابها : قال تعالى : **(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)**(1).

فلما كانت الجنة دار الله، ودار المقامة، ومحل خواصه وأوليائه، فإن أهلها يساقون إليها مستبشرين أقوياء القلوب، يؤنس بعضهم ببعض، ويفرح بعضهم ببعض، فيقول خزنة أهل الحنة لأهلها: "سلام عليكم"، وكانت البداية بالسلام لما فيه آمان من كل شر ومكروه، وقولهم: "طبتم فادخلوها خالدين" فدخولهم إليها بطيبهم فهي محرمة إلا على الطيبين، وفيه بشارة لهم بالطيب والخلود(2) .

أما عدد أبوابها: فقد ورد عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(في الجنة ثمانية أبواب،فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون)(3)، بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر في حديث الشفاعة سعة أبوابها وهو حديث طويل جاء فيه:(والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة و بصرى) (4)

مساكنها: قال تعالى: **(وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** (5) .

(1) سورة الزمر : الآية 73.
(2) ابن القيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح- ص:50
(3) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب :بدء الخلق – باب: صفة أبواب الجنة-ج2- ص:656
(4) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – باب"ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا"- ج:3- ص:950
(5) سورة التوبة : ألآية 72.

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي محمد بيده لأحدكم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا) [(1)].

غرفها: قال تعالى: **(أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا)**[(2)] والغرفة من الجنس كالجنة، فكانت جزاء لمن صبر على سوء خطاب الجاهلين، قال تعالى: **(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ)**[(3)] ، روي عن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها،وبطونها من ظهورها) فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال:(لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام) [(4)] ، وعن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب للتفاضل ما بينهم) قالوا: يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) [(5)].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه-ج4 – كتاب الرقاق- باب القصاص- يوم القيامة- ص1302.
(2) سورة الفرقان : ألآية 75.
(3) سورة سبأ : ألآية 37.
(4) ينظر المنذري: الترغيب والتهريب-ج4- كتاب البعث وأهوال يوم القيامة-ص:510
(5) أخرجه البخاري في صحيحه- ج2 – كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – ص : 656 /أخرجه مسلم كتاب:الجنة وصفة نعيمه وأهلها - باب ترائي أهل الجنة،أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء - ج17/ص:171.

خيامها : قال تعالى: (**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**) (1) ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون) (2) .

أنهارها : قال تعالى: (**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ**)(3)، قال تعالى: (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**)(4) ، ذكر الله تعالى الأجناس الأربعة الماء واللبن والخمر والعسل، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة، كما أنها تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة أو أعلى الجنة وفوقه عرش الرحمان ومنه تفجر أنهار الجنة) (5)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بينما أنا أسير في

(1) سورة الرحمن : الآية 72.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه- ج2 – كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – ص :654/أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها - باب "صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين" - ج17ص:175.
(3) سورة محمد : الآية 15.
(4) سورة الكوثر : ألآية 1.
(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح- كتاب التوحيد- ينظر فتح الباري لابن حجر-ج13- ص:404.

الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الذر المجوف، قلت مال هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أتقن شك هدبة) (1)

عيونها : قال تعالى: (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**) (2).

أشجارها : قال تعالى: (**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاء مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ**)(3)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرءوا إن شئتم [وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ]) (4) .

ثمارها وفاكهتها : قال تعالى: (**فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**) (5)، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نخل الجنة جذورها من زمرد خضر وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل وألين من الزبد ، ليس فيها عجم) (6) .

نساؤها :قال تعالى: (**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**)(7)، قال تعالى: (**وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ**) (8)،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه- ج4- كتاب الرقاق- باب في الحوص وقول الله تعالى "إنا أعطيناك الكوثر"، ص1309.
(2) سورة الحجر : الآية 45.
(3) سورة الواقعة : الآية 27-33.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه،ج2 -كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ص 656./ وينظر المنذري : الترغيب والترهيب،ج 4 كتاب صفة الجنة والنار، ص519 /مسلم باب"عن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها"،ج 17، ص:167.
(5) سورة المؤمنون : الآية 19.
(6) المنذر : في الترغيب والترهيب –ج2 – ص : 523.
(7) سورة النساء : الآية 57

[1]، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيه)[2]

وعن أبي هريرة رضي الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(... ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سواقيهما من وراء اللحم من الحسن) [3] .

فرشها ووسائدها ومناديلها : قال تعالى: (**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ)**[4]، وقال تعالى: (**عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ)**[5]، عن أنس رضي الله عنه قال : أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس وكان ينهى عن الحرير ، فعجب الناس منها فقال:(والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا) [6].

آنيتها وأكوابها وأباريقها: قال تعالى: (**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**) [7]، وقال تعالى: (**يُطَافُ عَلَيْهِم**

(1) سورة الصافات: الآية 48.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه – ج2 – كتاب الجهاد والسير – باب حور العين وصفاتهم – ص :567/مسلم كتاب الإمارة ـ باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله .
(3) أخرجه البخاري في صحيحه – ج2 – كتاب بدء الخلق – باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – ص : 655/نسلم كتاب:الحنة وصفة أهلها ـ باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة قمر ـ ج17 ـ ص:173.
(4) سورة الرحمن: الآية 54.
(5) سورة الوقعة 15-16.
(6) أخرجه البخاري في صحيحه – ج2 – كتاب بدء الخلق – باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – ص :655/مسلم:كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ ج16ـ ص:23
(7) سورة الواقعة 17.

بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أول زمرة تدخل الجنة ...آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقودهم مجامرهم الألوة قال أبو اليمان : يعني العود ، وَرَشْحُهُمُ المسك)[2].

لباس المؤمنين : قال تعالى: (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ**)[3]، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**)[4] ، قال النبي صلى الله عليه وسلم:(من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة :" تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) [5].

حال المؤمنين: قال تعالى: (**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**)[6] .قال تعالى: (**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ**

(1) سورة الإنسان 15
(2) أخرجه البخاري في صحيحه – ج2 – كتاب بدء الخلق – باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – ص :655/مسلم:كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب: صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا ـ 17ص:171
(3) سورة الدخان 51-53
(4) سورة الكهف 30-31
(5) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب 77- باب 25- فتح الباري- ج10- ص284.
(6) سورة فاطر 34.

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليم وسلم : (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون) [2] .

رؤية الله تعالى : قال تعالى: (**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[3]، وقال تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**)[4] ، وعن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه منه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقول لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعد أبد)[5]

النار : قال ابن قيم الجوزيه عنها [6] :

ويرى مصارع أهلها من حوله	وقلوبهم كمراجل النيران
حسراتها هن الوقود فإن خبث	زادت سعيرا بالوقود الثاني
جاءوا فردى مثل ما خلقوا بلا	مال ولا أهل ولا إخوان

(1) سورة يونس 10.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه – ج2 – كتاب بدء الخلق – باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – ص :655 / مسلم :كتاب :الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب:أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر- ج17 - ص:173.
(3) سورة يونس 26- ق 35.
(4) سورة القيامة 22.
(5) أخرجه البخاري في صحيحه ، ج4 ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ، ص1484.
(6) محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري : فأنذرتكم نارا تلظي ، أخبار الهاوية وعذاب الزبانية ، عالم الكتب بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422 ، 2002 م ،ص 220.

فالنار : هي الدار التي أعدها الله للكافرين الملاحدة الذين شاقوا الرسل، وعادوا الدين كله، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وسخروا مما وراءها [1].

وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين، وهي الخزي الأكبر ، والخسران الأعظم ، وقد أنذر الله تبارك وتعالى عباده بالنار وخوفهم منها [2]، بالامتثال لأوامره وتأديب نفوسهم، وذلك بإنذارهم وترهيبهم من عذابها، ولهذا نجد القرآن الكريم قد ذكر النار بأسماء مختلفة من أجل الزيادة في اقرار هذه الحقيقة وترسيخها في الأذهان فمنها: [3]

اسم الدار : قال تعالى: (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**) [4]: فوردت باسم "دار الفاسقين"، وجاءت باسم "دار البوار" في قوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**)[5] : وباسم " دار الخلد" في قوله تعالى: (**ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللَّهِ النَّارُ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**)[6] ، و "سوء الدار" في قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**) [7] .

---

(1) محمد الغزالي : المحاور ر الخمسة للقرآن الكريم - دار الهدى، الجزائر- ص:179
(2) أحمد السلفي الأثري: فأنذرتكم نارا تلظى ، ص 7.
(3) محمد نايت معروف : المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم ،ص 607.
(4) سورة الأعرف : الآية 145
(5) سورة إبراهيم : الآية 28
(6) سورة فصلت : الآية 28
(7) سورة الرعد: الآية 25

اسم يوصفا بـ: "بئس" قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**)[1] فجاءت بئس المصير ووردت ببئس المهاد في قوله تعالى: (**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**)[2] وببئس الورد المورود في قوله تعالى: (**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**)[3]، وببئس الرفد المرفود في قوله تعالى: (**وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**)[4] وبئس القرار في قوله تعالى: (**جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**)[5]

الجحيم : قال تعالى: (**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**)[6].

السعير: قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**) [7] .

جهنم: قال تعالى: (**فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا**)[8] .

عذاب السموم:قال تعالى: (**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ**)[9].

السَّمُومِ)[9].

(1) سورة البقرة : الآية 126
(2) سورة آل عمران : الآية 12
(3) سورة هود : الآية 98
(4) سورة هود: الآية 99
(5) سورة إبراهيم : الآية 29
(6)سورة البقرة : الآية 119
(7) سورة النساء: الآية 10
(8) سورة النساء : الآية 55
(9) سورة الطور: الآية 27

سقر :قال تعالى: (**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**)(1).

لظى: قال تعالى: (**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى**)(2) .

الهاويـة: قال تعالى: (**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ**) (3) .

الحطمة: قال تعالى: (**كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**) (4).

وصف النار(5) : أما عرضها فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**)**(6). فهذه صفة الكافر الواحد فكيف هي سعة النار ؟. أما قعرها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا عند النبي فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أتدرون ماهذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا ، فالآن حين انتهى إلى قعرها) (7).

أبوابها : قال تعالى: (**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**] (8)، وقال تعالى: (**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى**

---

(1) سورة القمر: الآية 48
(2) سورة المعارج: الآية 15
(3) سورة القارعة: الآية 9
(4) سورة الهمزة : الآية 4
(5) محمد نايت معروف : المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم ،ص 607.
(6) أخرجه البخاري- كتاب الرقاق- باب صفة الجنة والنار- رقم الحديث 6551، فتح الباري ج11-ص415، أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها.
(7) المنذري : الترتيب والترهيب ، ج4 ، كتاب صفة الجنة والنار ،ص 471.
(8) سورة الحجر : الآية 43-44

جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ](1) فالمتأمل لآية الزمر في قول خزنة النار لأهلها : "أدخلوا أبواب جهنم، يجد دار العقوبة، أبوابها أفضع شيء وأشد حر ويلقى فيها الداخل وجه للعذاب ما هو أشد منها ويدنو من الغم والكرب بدخول الأبواب فقيل : "أدخلوا أبوابها" إصغارا لهم وإذلالا للخلود في النار(2)، وتغلق هذه الأبواب إغلاقا محكما فلا مطمع للخروج منها، قال تعالى: (**إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ**)(3).

وقودها : قال تعالى: (**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**) (4) .

شدة حرها : قال تعالى: (**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ**) (5) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(ناركم هذه ما يوقد بنو آدم واحد من سبعين جزء ا من نار جهنم ، قالوا والله إن كانت لكافية قال : أنها فضلت عليها بتسعة وستين جزاءا كلهن مثل حرها) (6).

طعام أهل النار وشرابهم : قال تعالى: (**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن**

(1) سورة الزمر 71: الآية -72
(2) ابن قيم الجوزية : حادي الأرواح إلى الجنة الاقراح ،ص 50.
(3) سورة الهمزة : الآية 4 -9.
(4) سورة البقرة : الآية 24
(5) سورة الواقعة : الآية 41-42
(6) المنذري : الترغيب والترهيب ، ج4 ، كتاب صفة الجنة والنار ،ص 462.

يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا) [1]، وقال تعالى: (**مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ**) [2]، عن أبي عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية :(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف لمن يكون طعامه ؟) [3].

لباسهم :قال تعالى: (**هذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**)[4] ، وقال تعالى: (**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ**) [5].

قيودهم وأغلالهم: قال تعالى: (**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**)[6]، وقال تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[7].

(1) سورة الكهف: الآية 29
(2) سورة إبراهيم : الآية 16
(3) المنذري : الترغيب والترهيب، ج4 ، كتاب صفة الجنة والنار ،ص 480.
(4) سورة الحج : الآية 1
(5) سورة إبراهيم : الآية 49-50
(6) سورة الإنسان : الآية 4.
(7) سورة سبأ : الآية 33.

حال الكافرين في النار :قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)**[1]، وقال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)** [2].

مواقف مخزية للكافر في النار قال تعالى: **(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [3]، وقال تعالى: **(قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ)**[4].

محاولات للشفاعة قال تعالى: **(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)**[5]، وقال تعالى: **(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)** [6].

[6]
.

(1) سورة النساء : الآية 56.
(2) سورة سبأ : الآية 33.
(3) سورة إبراهيم : الآية 22..
(4) سورة الأعراف : الآية 38.
(5) سورة المؤمنون : الآية 107-108.
(6) سورة فاطر : الآية 37.

توبيخ الله والملائكة والمؤمنين للكافرين : قال تعالى: **(وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)**(1)، وقال تعالى: (**ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ**)(2).

المطلب الثالث : الصور البلاغية للترغيب والترهيب

استنادا إلى ما قال "عبد القاهر الجرجاني"بأن منزلة الصور البلاغية للغة من منزلة الحلي للجواري، وهذا ما نلمسه مجسدا في القرآن الكريم حين تطرق لمواضعه، فجعل من هذه الصور البلاغية وسيلة وأداة لإيصال الفكرة إلى عقل ونفس الإنسان، بأتم معانيها وأسمى قيمها، حيث نجده قد صور الجنة والنار أحسن تصوير، لغاية إقرار الحقائق والقيم، فالتصوير القرآني يتدرج في مظاهر متعددة و بوسائل مختلفة ، وهي :

1- إخراج مدلول اللفظي من دائرة المعنى المجرد إلى الصورة المحسوسة والمتخيلة .
2- تحويل الصور من شكل صامت إلى مظهر متحرك حي .
3- تضخيم المنظر وتجسيمه حينما يكون الجو والمشهد يقتضيان ذلك.

والوسيلة لذلك تكمن في الاستعارة أو المجاز أو التشبيه أو الكناية ، أما الوسيلة الثانية تتمثل في الكيفية التي تتألف الكلمات على منوالها

(1) سورة الأعراف : الآية 44.
(2) سورة يونس : الآية 52.

وتتناسق الحروف والحركات وما يتبعها من مدود وشدات فتخرج الكلمة والجملة في قالب من اللفظ وطريقة الأداء، يبث في الإحساس والخيال صورة مجسمة حية للمعنى [(1)].

وللتمثيل للترغيب والترهيب سنتناول بالدراسة ثلاثة أصناف من العباد :"مؤمنون، منافقون، كافرون "، وقبل عرض الأمثلة نقول ما قاله السيد قطب :

"و الأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله حيثما تعرض لغرض من الأغراض وحيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد أو حالة نفسية، أو صفة معنوية أو نموذج إنساني أو حادثة واقعة، أو قصة ماضية أو مشهد من مشاهد القيامة أو حالة من حالات النعيم العذاب... "[(2)].

1- الكافرون : قال تعالى :(**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**)[(3)]، فهذه صورة حسية جاءت بمعنى ذهني تقرر أن الكفار لن ينالوا القبول عند الله تعالى واستحالة دخول الجنة ، فهذا التصوير المتقن يدع الإنسان يرسم بخياله تفتح أبواب السماء ، وولوج الجمل في سم الخياط، ولقد اختار من الأسماء الحبل الغليظ اسم "الجمل" خاصة في هذا المقام، ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال، ليستقر في النهاية معنى القبول ومعنى الاستحالة في أعماق النفس[(4)] .

(1) ينظر محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل – مؤسسة الرسالة ، بيروت – ط : 1416 – 1996 – ص : 171.
(2) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن - دار الشروق ، بيروت - ط:8 - 1403هـ/1983م - ص:37
(3) سورة الأعراف : الآية 40.
(4) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ص:38.

قال تعالى مصورا لمشهد من مشاهد القيامة المرعبة : (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**)(1) ففي الآية أربع صور أو مشاهد متتابعة لموقف واحد، فيه من الاستعراض الذي تتم فيه صورة شاخصة في الخيال تتضمن الفزع والخجل والرهبة والاستسلام تسودها الكآبة والرعب (2)، فالله تعالى يبين عقاب الظالمين، الذي تشخص فيه الأبصار،فمن شدة أهوال ذلك اليوم تظل الأبصار فيه مفتوحة لا تطرف ولا تغمض، من شدة الفزع والحيرة والدهشة، ثم يصف كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر، فقال:" **مُهْطِعِينَ** ":أي أنهم يأتون من قبورهم إلى المحشر مسرعين بالذل والمهانة،" **مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ** ":أي رافعي رؤوسهم ينظرون في ذل وخشوع ولا يلتفتون إلى شيء ،" **لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ**":أي لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم،بل تظل أبصارهم شاخصة مفتوحة تديم النظر،لا يطرفون ولا يغمضون، لكثرة ما هم فيه من شدة الهول والفزع والمراد من هذه الصفة دوام الشخوص" **وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**" أي قلوبهم خاوية خالية مضطربة لكثرة الخوف(3).

فهذا التناسق في التصوير القرآني الذي بلغ ذروته في تخيير الألفاظ، كمقابلة الأحياء بالأحياء والجماد بالجماد والغيبي بالغيبي، هذا الأخير المشبع بالسجع والفاصلة لأهميتهما في الإيقاع الموسيقي والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض فمثلا قوله تعالى : (**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا**

(1) سورة إبراهيم : الآية 42-43.
(2) عدنان زرزور : القرآن ونصوصه – مطبعة خالد بن الوليد – ط: 1400 هـ -1980 – ص : 301.
(3) وهبة الزحيلي :التفسير المنير في العقيدة الإسلامية والمنهج: دار الفكر ـ دمشق ـ دار المعاصر بيروت ـ ط 2 :1418هـ /1998م ـ ج13 ـ ص: 273

مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)(1) ، إن هذه البشرية تخضع لقوانين ثابتة في نشوئها ودثورها، وضعفها وقوتها،والقرآن الكريم ينبه إلى ثبات هذه القوانين، واطراد تلك السنن، ويتخذ من مصارع القرون وآثار الماضين دراسة الخربة، أو الباقية بعد سكانها موحشة، فيتخذ منها عبرة، من أجل إيقاظ القلوب، وإثارة الحساسية، والخوف من بطش الله، وإن للآثار الخاوية لحديثا رهيبا عميقا للقلب من الشعور، والحس المبصر، وإن له لرجفة في الأوصال ورعشة في الضمائر وهزة في القلوب، ويستنكر عليهم كيف يمشون في مساكن هؤلاء الأقوام ثم لا يستجيش هذا قلوبهم، ولا يهز مشاعرهم، ثم يعطيهم عبرة بالأرض الميتة البور فيرون أن يد الله تسوق إليها الماء المحي، فإذا هي خضراء ممرعة بالزرع النابض بالحياة، الزرع الذي تأكل منه أنعامهم، وتأكل منه أنفسهم، إن هذا المشهد ليفتح نوافذ القلب المغلقة لاستجلاء هذه الحياة النامية، والشعور بحلاوة الحياة، والإحساس بواهب الحياة الجميلة الناضرة،إحساس حب وقربى وانعطاف مع الشعور بالقدرة المبدعة ويد الصانع، وهكذا يطوف القرآن بالقلب البشري في مجالي الحياة والنماء(2).

قال تعالى : (**وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**) (3)، في هذه الآية أوضح الله تعالى

(1) سورة السجدة : الآية 26-27.
(2) سيد قطب : في ظلال القرآن- دار الشروق- ط35- 1425هـ2005م - مج 5 - ج21 - ص:2815.
(3) سورة الأنعام : الآية 35.

لرسوله الكريم أنه لا جدوى من ضيق صدره بكفر الكافرين، فقد صور أولا التألم من إعراضهم في صورة "قد كبر" وضخم حجمه، ثم صور الجهد الذي لن يأت منه بطائل إن هو أجهد نفسه بصورة من يريد أن يتخلص من كل الثقل العالق به فهو ينبعث نحو كل الجهات ليعثر على ما قد ينشط به من هذا العقال المتشبث به، حيث أخرجت الآية هذا المعنى الفكري في مظهر محسوس، ثم بثت فيه الحركة والحياة ثم حسمت الفكرة نفسها في هذه الصورة المتحركة وخاطبت بذلك كله الخيال قبل أن تخاطب مجرد الفكر والذهن [(1)].

قال طاهر بن عاشور في تفسيره:استعمل المجاز في الأمور العظيمة الثقيلة، واستعمل مجازا في معنى "شق" لأن الثقيل يشق حمله، والسلم آلة للارتقاء، تتخذ من حبلين غليظين متوازيين، تصل بينهما أعواد أو حبال متفرقة في عرض الفضاء الذي بين الحبلين من مساحة ما بين كل تلك الأعواد، بمقدار ما يرفع المرتقي إحدى رجليه إلى العود الذي فوق ذلك، ونفقا: أي متغلغلا، عميقا، لإفادة المبالغة في العمق مع استحضار الحالة، وتصوير حالة الاستطاعة إذ من المعلوم أن النفق لا يكون إلا في الأرض، واستعملا مجازا في التأييس من إيمانهم وإقناعهم، لأن الله جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا[(2)] .

قال تعالى: (**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**)[(3)]: يشخص القرآن الكريم هيئة الكفار الخارجية المضحكة، تثير السخرية والعجب،ومشهد حمر الوحش، وهي مستنفرة تفر في كل اتجاه، حين تسمع

---

(1) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن – ص : 172 .
(2) محمد طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير - دار ابن سحنون تونس - مج7/6 :1997م - ص:205
(3) سورة المدثر - الآية :50 - 51

زئير الأسد وتخشاه، وهو مشهد عنيف الحركة، إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في صلب الكون، تتملاه النفوس، فتخجل وتستنكف أن تكون فيه، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل، ويطامنون من الإعراض و النفار مخافة هذا التصوير الحي العنيف[1] .

قال تعالى: (**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**)[2]، قدم الجباه، ثم الجنوب، ثم الظهور، لأن مانع الصدقة في الدنيا، كان يصرف وجهه أولا عن السائل، ثم ينوء بجانبه، ثم يتولى بظهره[3]، ولقد أضاف النار إلى جهنم علما أن المحمي هو نار جهنم التي هي أشد نار في الحرارة، فجاء تركيبا بديعا من البلاغة البالغة في الإيجاز، والكي أن يوضع على الجلد جمر أو شيء مشتعل، **والجباه**: جمع جبهة و هي أعلى الوجه، **والجنوب:** هو جانب الجسد من اليمين واليسار، **الظهور**: ما بين العنفقة إلى منتهى فقار العظم: تعميم جهات الأجساد بالكي فإن تلك الجهات متفاوتة ومختلفة بالإحساس في آلام الكي، **"فَذُوقُواْ "**: توبيخ و تنديم[4] .

قال تعالى: (**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ* فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**)[5]، أي أفضع هول على الكافرين يوم الحساب، حين يدعون إلى

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن ـ مج6 ـ ج29 ـ ص:3762
(2) سورة التوبة ـ الآية :35
(3) محمود السيد شيخون : أسرار التقديم والأخير في لغة القرآن الكريم ـ مكتبة الكليات الأزهرية ، ط 1: 1400هـ 1983م ـ ص : 94.
(4) طاهر بن عاشور :مج 5 ـ ج12/11/10ـ ص: 179
(5) سورة القلم ـ الآية :42 ـ 44

السجود فلا يستطيعون تعجيزا وتحسيرا وتقريعا لهم[1]، وعبر سبحانه وتعالى عن الصلاة بالسجود لأنه من أركانها، بل هو أعظم الأركان وغايتها[2]، لتزيد من حسرتهم وعذابهم النفسي، والله سبحانه وتعالى يوقفهم أمام هذا المشهد كأنه حاضر اللحظة، وكأنه يتحداهم فيه بأن يأتوا بشركائهم المزعومين، وهذه اليوم حقيقة حاضرة، واستحضارها للمخاطبين على هذا النحو يجعل وقعها عميقا حيا في النفوس على طريقة القرآن، والكشف عن الساق كناية عن الشدة والكرب فهو يوم القيامة الذي يشمر فيه عن الساعد ويكشف فيه عن الساق، ويشتد الكرب والضيق ويدعى هؤلاء المتكبرون إلى السجود فلا يملكونه ثم يكمل **"خَاشِعَةً.."** فالأبصار الخاشعة والذلة المرهقة هما المقابلان للهامات الشامخة والكبرياء المنفوخة فهي تذكرهم بالتهديد حيث كانوا يدعون للسجود وهم سالمون فأبوا واستكبروا [3].

2. **المنافقون** : والنفاق صور مختلفة، تبدو كل صورة منه في الوضع النفسي الذي يلائمها من الحدث أو الواقعة قال تعالى :(**لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**)[4] ، وصف الله تعالى المنافقين بالجبن، وبين أن ما يتظاهرون به من الشجاعة كذب، وأن الرعب سرعان ما يستولي على قلوبهم، فينهزمون، فأنظر كيف بسط معنى الهزيمة والجبن والقلق النفسي، إذا أخرج المعنى الفكري في صورة جماعات من الناس تائهة زائغة العين، لما سيطر عليها الرعب فهي

---

(1) عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ :التفسير البياني للقرآن الكريم - دار المعارف القاهرة، ط 5 : 1388هـ 1968م، ج 2، ص:67

(2) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي :أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها - من غرائب آي التنزيل -1236 سؤال وجواب - راجعه:نجيب ماجدي - المكتبة العصرية بيروت ، الدار النموذجية - دط/1425هـ 2004م - ص:333

(3) سيد قطب : في ظلال القرآن - دار الشروق - ط35 : 1425هـ /2005م - مج 6- ج29 - ص: 3668

(4) سورة التوبة : الآية 57.

تبحث عن مأمن ومهرب، في حركات عجيبة فالكلمات الثلاث : **ملجأ، مغارات** ، **مدخل،** هي ليست مترادفة، فكل واحدة منها لها شكل معين للمكان : الذي يبحث عنه المنهزم والخائف، بدءا من الشكل الطبيعي المألوف وهو الملجأ العادي من دار أو غرفة أو جماعة من الناس، إلى الشكل الذي لا يألفه ويرضاه إلا من اشتد خوفه وهو المغارة في باطن الأرض أو بطن الجبل، إلى الشكل الذي هو أبعد في القبول والإلف من كليهما وهو : المدخل، أي المكان الضيق الذي لا يستطيع هذا الخائف أن يقتحمه إلا بجهد ولا يكاد أن يستقر فيه إلا تضاؤلا والتصاقا، فكلمة **"مدخلا"** تؤدي الصورة وتجسمها ثم كلمة " **يجمحون** " ما تتركه من الصورة الضاحكة الساخرة [1]، فهم يسرعون إسراعا في ذهابهم على نحو لا يقاوم، مع أن تلك المواضع شر الأمكنة[2] .

قال تعالى: (**هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**)[3]: إن هذه الصورة كاملة السمات، ناطقة بدخائل النفوس، وشواهد الملامح، تسجل المشاعر الباطنة، والانفعالات الظاهرة، والحركة الذاهبة الآيبة، وتسجل بذلك نموذجا مكرورا في كل زمان،يتظاهرون بالمودة فتكذبهم كل خالجة وكل جارحة، وينخدع المسلمون بهم فيمنحونهم الود والثقة وترسم صورة للغيظ الكظيم الذي كانوا يضمرونه[4] .

---

(1) رمضان البوطي: من روائع القرآن،ص 174.
(2) وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة الإسلامية والمنهج - ج9 - ص:255 .
(3) سورة آل عمران - الآية :119.
(4) سيد قطب : في ظلال القرآن - مج 1- ج 4 - ص:452.

قال تعالى: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً*مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)**[1]: هذه لمسة من لمسات المنهج للقلوب المؤمنة، فهي تشمئز من قوم يخادعون الله، ويقرر عقب هذه اللمسة أن الله خادعهم،أي مستدرجهم وتاركهم في غيهم، ثم يستمر السياق، ليرسم لهم صورا شائنة،فهم لا يقومون إلى الصلاة بحرارة الشوق إلى لقاء الله، والاتصال به، إنما يراءون الناس، ومن ثم يقومون كسالى، كالذي يؤدي عملا ثقيلا،وموقف الذبذبة والأرجحة ، والاهتزاز وعدم الاستقرار والثبات[2].

قال تعالى: **(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ*وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)**[3] **:** لقد كان المنافقون يعتمدون على إتقانهم فن النفاق، على خفاء أمرهم في الغالب، والقرآن يسفه ظنهم، ويهددهم بكشف حالهم وإظهار أضغانهم وأحقادهم[4].

قال تعالى: **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ*أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)**[5]**:** أولئك الذين يظلون في مرضهم، ونفاقهم حتى يتولوا عن هذا الأمر، الذي دخلوا فيه بظاهرهم، ولم يصدقوا

(1) سورة النساء ـ الآية :142 - 143.
(2) سيد قطب : في ظلال القرآن ـ مج 2 - ج 5 ـ ص:784.
(3) سورة محمد ـ الآية :29 -30
(4) سيد قطب:قي ظلال القرآن ـ مج 6 - ج 26 ـ ص: 3298
(5) سورة محمد ـ الآية :23

فيه، ولم يستيقنوه، فكان جزاؤهم أن طردهم وحجبهم عن الهدى، فعطلوا السمع، وعطلوا البصر وعطلوا قوة الإدراك، وصارت عليهم غشاوة[1].

قال تعالى: (**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**)[2] : الحرج على الذين يستأذنون في القعود، وهم أغنياء قادرون،ليس لهم عذر حقيقي، فاختار الله لهم هذا الوصف، لما فيه من سقوط الهمة، وضعف العزيمة، والرضا بأن يكونوا مع النساء والأطفال والعجزة،فطبع الله على قلوبهم، وأغلق منافذ الشعور والعلم، وعطل فيهم أجهزة الاستقبال والإدراك[3].

قال تعالى: (**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ*ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**)[4] **:**مشهد مفزع مهين، وهم يحتضرون، ولا حول ولا قوة لهم، وفي نهاية حياتهم وفي مستهل حياتهم الأخرى،هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار، في لحظة الوفاة، لحظة الضيق والكرب والمخافة، فهم أرادوا لأنفسهم هذا المصير[5].

3- **المؤمنون** : المؤمن لن يكون في وضع نفسي ثابت كيفما تطورت ظروف الدعوة بل الإيمان يقوى ويشتد ويضعف ويتضاءل ولكل موقف وضعه النفسي قال تعالى :(**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ**

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن ـ مج 6 ـ ج26 ـ ص: 3297
(2) سورة التوبة ـ الآية :93
(3) المصدر نفسه : مج 3 ـ ج 11 ـ ص:1694.
(4) سورة محمد ـ الآية :27-28.
(5) سيد قطب في ضلال القرآن، المصدر السابق، مج 6 ـ ج26 ـ ص:3298

لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[1] ، فالله تعالى في هذه الآية يرغب المؤمنين في بذل المال للمستضعفين من عباده، فيعبر عنه بأحسن أنواع الطلب ويتخير أرقى أسلوب في الترغيب، حيث استهل الآية بالاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر، فسمى هذا الإنفاق قرضا حثا للنفوس وبعثا لها على البذل، لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه طوعت له نفسه وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيّ محسن كان أبلغ في طيب فعله ، وإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجرا آخر، وأن ذلك العطاء عظيم وكريم ، فلا يتخلف عن قرضه، وهذه الأمور كلها تحت ألفاظ تلك الآية ، فما ألين خطاب الله تعال لأوليائه ، وما أرق تعبيره لأحبائه[2].

قال تعالى :(**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)**[3] ، فإن هذه الصورة تثير في الخيال حركة تخيلية سريعة هي : حركة الاشتعال التي تواجهها، وكل صورة لها واقعتها وخلفيتها والعوامل الداخلية المحركة لها [4]،التي تتناول الرأس في لحظة، وهي حركة جميلة تلمس الحس وتثير الخيال وتشرك النظر والمخيلة في تذوق ما فيها من جمال ، إن جمالها يتجلى في أنها منحت حركة الاشتعال للرأس، وليست له في الحقيقة، ففي التعبير

(1) سورة البقرة : الآية 245.
(2) عبد الفتاح لاشين:ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن الكريم ـ دار الرائد العربي بيروت ـ ط140202هـ/1982م ـ ص ص:191-192.
(3) سورة مريم: الآية 4.
(4) عبد الكريم غلاب:صراع المذهب والعقيدة في القرآن، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 4 : 1425هـ2004م، ص:49

بالاشتعال جمال وإسناد الاشتعال إلى الرأس جمال آخر يكمل أحدهما الأخر [1] .

قال تعالى:(**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**)[2]، تحديدا للصورة العامة جاءت لفظة "السكينة" لتدل على الهدوء خلافا للاضطراب والحركة، و تدل أيضا على الوقار والأمن والطمأنينة، تنسكب منها وداعة نفسية لتحل في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فتسكن نفوسهم، وتتم الدقة بتكرار "على" ، وقد كان في الإمكان الاستغناء عنها،إلا أن ذكرها يفيد التأكيد والدقة في أداء المعنى بأن المؤمنين حقا هم نسخة من الرسول صلى الله عليه وسلم[3] ، إن هذه الآيات لتبعث في النفس الراحة، وتثلج الفؤاد، فتنساب العاطفة منه انسيابا، فما أعظم هذا الكتاب.

قال تعالى:" (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**)"[4]، اختيرت **"لَنُبَوِّئَنَّهُم"** لما تحتويه هذه الصيغة من تشديد وتأكيد، وما تحدثه من جرس، وضغط وثقل في النطق، ووقع على النفس، فهي تؤدي المعنى بطريقة مختارة مقبولة في النفس، فتشع في الحملة نوعا خاصا من رونق

(1) صالح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، دار الشهاب ، الجزائر ، / ط ، 1988 ،ص 132.
(2) سورة الفتح ـ الآية :26
(3) عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن ـ ص: 74
(4) سوة العنكبوت ـ الآية 58

العرض[1]، وهي لمسة التثبيت والتشجيع لهذه القلوب،في موقف الخوف والحاجة إلى تشجيع النفس والجبر بخاطرها[2].

قال تعالى: (**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)** [3] ،فقد شبههم الله تعالى بالزرع لما فيه من النماء فيزيدون قوة،وفي الكثرة والقوة غيظ للكفار[4] ، هي صورة عجيبة يرسمها القرآن بأسلوبه البديع، صورة مؤلفة من عدة لقطات لإبراز مظاهر هذه الجماعة المختارة، حالاتها الظاهرة والمضمرة، فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم، ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم، وأخرى تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها، ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسحنتهم، ولقطات متتابعة تصورهم كما هم في الإنجيل، وكلها لقطات وضيئة رائعة[5].

قال تعالى: (لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ)[6] **:**إنه رسم دقيق للنفس البشرية، رسم يصور تقلبها وضعفها، ومراءها وحبها للخير، وجحودها للنعمة، واغترارها بالسراء وجزعها من

(1) ينظر عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن - ص : 77
(2) سيد قطب : في ظلال القرآن - مج 5 - ج 21 - ص: 2749
(3) سورة الفتح - الآية :29
(4) ينظر الرازي : أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها - ص: 297
(5) سيد قطب : قي ظلال القرآن - مج 6 - ج26 - ص: 3331
(6) سورة فصلت - الآية 49

الضراء، والإنسان لا يسأم من دعاء الخير، فهو ملح فيه بطلب الخير لنفسه ولا يمل طلبه،وإن مسه الشر، فقد الأمل والرجاء وظن أن لا مخرج له ولا فرج وضاق صدره وكبر همه، وييئس من رحمة الله وقنط، وإذا أذاقه الله رحمة بعد الضر استخفته النعمة فنسي الشكر[1].

كما نجده يخاطب العقول قال تعالى : (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[2].

قال تعالى :(**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**)[3] ، إن الخيال يرسم الحركة المتخيلة حركة الزحزحة، وينظر إلى اليد التي تمسك بالإنسان وتزحزحه معها بجهد وثقل، وجسمه يكاد يفلت من هذه اليد،وهي تمسك به في جهد وهو إذا أفلت منها فسيهوي في النار، كل هذا تركه التعبير القرآني للخيال يتخيله [4]، فالله يصور معناه بجرسه، ويرسم هيئته، هيئته، وكأن للنار جاذبية تشد إليها ويقترب منها، فالمعصية جاذبية والنفس بحاجة إلى من يزحزحها من هذه الجاذبية[5] .

قال تعالى: (**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**)[6] ، يخبر الله سبحانه وتعالى بأنه

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن ـ مج 5 ـ ج 24 ـ ص: 3129
(2) سورة فصلت ـ الآية :39
(3) سورة آل عمران : الآية 185.
(4) صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ـ ص:141.
(5) سيد قطب / في ظلال القرآن ـ مج 1 ـ ج 4 ـ ص :539
(6) سورة النساء- الآية 57.

سيدخل المؤمنين الصادقين في إيمانهم جنات، وهذا الوعد من الله تأكد "بالسين" في **"سَنُدْخِلُهُمْ "**[1].

وعليه فإن لهذا الأسلوب أهمية في حياة كل إنسان، وفي مختلف الأحوال فهو منهاج المسلمين ودستور حياتهم وحياة البشرية أجمعين، فقد كثر استعمال هذا الأسلوب البليغ في أوامره ونواهيه وفي إرشاداته وتوجيهاته والله تعال هو خالق الكون والبشر، وهو أعلم بما يصلح حالهم ومآلهم وما يقنع نفوسهم ويطمئن قلوبهم [2]، (**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ14)**[3].

ولكن الله تعالى لم يقتصر في خطابه للإنسان على هذا الأسلوب وإنما من حكمة القرآن الكريم كما عهدناه ، تنوع أساليبه وطرقه ، فنجده استعمل أسلوب القصة التي يكون الغرض منها أخذ العبرة ، فما هي القصة القرآنية ، وما هي أغراضها ، وأي القصص وردت في القرآن وما كان أسلوب القرآن فيها ؟ .

(1) عبد الرحمان المطردي: أساليب التوكيد في القرآن الكريم ـ الدار الجماهيرية للنشر ـ طرابلس ـ ط1 : 1986م ـ ص :52
(2) طه عبد الله محمد السبعاوي : أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1426 هـ ، 2005 م ،ص 110.
(3) سورة الملك : الآية 14.

المبحث الثاني: أسلوب القصة

إن الذي يطالع سور القرآن الكريم، يجد كلمة "قصص"وردت في أكثر من سبع وعشرين موضعا، كما يجد عنوان سورة منها تسمى"القصص"، وسورة أخرى بتمامها دارت حول سيرة أو قصة نبي[1]، والمتأمل للقصة القرآنية أيضا يجدها تشكل حيزا شاسعا من كتاب الله، لأن هذا القصص، يهز النفس هزا عميقا، ويبرز المعاني الدقيقة الخفية، ويجسد مواضع الاتعاظ والاعتبار على نحو حي متحرك يتمثل في حوادث وأحداث، لأن ما يقع تحت الحس أعمق أثرا وأبلغ تأثيرا من الكلمة المجردة والنصيحة المثالية[2]، ومن خلال هذا التقديم سنحاول الغوص في أعماق هذا الموضوع والبحث عن معانيهم.

المطلب الأول : مفهوم القصة القرآنية

القصص لغة : تتبع الأثر، قال تعالى :(**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**)[3]، أي تتبعي أثره، والقصص كذلك الأخبار المتتابعة والقصة الأمر والشأن والحال .

القصص القرآني : هو إخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، كما اشتمل القصص القرآني على كثير من أخبار البلاد والديار وتتبع آثار الأقوام، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا

(1) مجلة الأصالة : العدد 79- 81/80- ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية - رجب - 1400هـ / مارس/ أفريل/ ماي/ جوان -1980 - ص:147

(2) محمد بن لطفي الصباغ : بحوث في أصول التفسير - المكتب الإسلامي - ط1: 1408هـ /1988م - ص: 181.

(3) سورة القصص : الآية 11.

عليه [1]، وهي متميزة بموضوعها الديني وطريقتها الفنية في عرض أحداثها وشخصياتها [2] .

وبناء على ذلك فإن القصص القرآني متنوع نجد منه:

- **قصص الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام** : يتطرق إلى دعواتهم ومعجزاتهم وموقف أقوامهم منهم والمراحل التي مرت بها دعواتهم وتطورها وعواقب المؤمنين بهم والمكذبين لهم ،كقصة إبراهيم ، نوح، موسى وغيرهم

- **قصص الأحداث الغابرة وأشخاص** لم تثبت نبوءتهم كقصة طالوت وجالوت وأهل الكهف وذي القرنين وقارون وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل .

- **قصص السيرة النبوية** : يراد به ما يعرضه القرآن الكريم من الأحداث التي وقعت زمن نبينا محمد صلى الله وعليه وسلم كغزوة بدر وأحد والخندق وتبوك والهجرة والإسراء والمعراج ونحو ذلك من المواقف والمعجزات [3].

والقصص القرآني صدق كله، لا ينبغي أن يرتاب فيه مرتاب ، لأنه إنما ذكر في هذا الكتاب الذي لا ريب فيه قال تعالى: (**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ**

---

(1) موسى إبراهيم الإبراهيمي: تأملات قرآنية ، بحيث منهجي في علوم القرآن الكريم، دار الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 156.
(2) عبد السلام أحمد الراغب الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق ، نصوص قرآنية ، دار الرفاعي للنشر ، دار حلب ، سوريا ، القلم الغربي، حلب، سوريا، ط1 : 1425 هـ -2005 م ،ص 92.
(3) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة : بيرو ت ، لبنان ، ط 35 : 1418 هـ ، 1998 م ، ص : 270.

يُؤْمِنُونَ)[1] وقوله تعالى: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**)[2] وليس كما يدعى المتخيلون الذين رأوا عنصر الواقعية [3]، بعيدا تمام البعد عن الأحداث التاريخية، ولا يرى مثل هذا القول إلا مفتري أو من ضعف إيمانه، إذ يقول بعض النفر:" إن القرآن يأتي بالقصة لكونها جارية عند العرب وهي غير مطابقة للواقع إنما يريدها الموعظة والاعتبار"[4] إضافة إلى ما يزعمه خلف الله أن القصص القرآني أسطورة حيث قال:"إننا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير لأننا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن"[5]، ومن مآخذهم حديث النملة مع سيدنا سليمان عيه السلام، وحديث الهدهد عن ملكة سبأ، إذ سألوا مشككين : كيف يمكن لهدهد أن يحمل رسالة سليمان إلى ملكة سبأ ويعود بالرد، وكيف يمكن لملك مثل سليمان أن يغيب عنه أمر ملكة سبأ [6]، وغيرها من الأمور المشككة .

ولا يسعنا إلا أن نقول أن الإنسان يلجأ إلى الخيال، لنسج القصص حين يعجز عن ذلك في واقعه، والله سبحانه وتعالى قادر وقدرته لا يعجزها شيء لقوله تعالى: (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**)[7] ، فإرادته لا يخالطها وهم، ولا يطوف بها خيال، ولا تعللها الأماني [8].

---

(1) سورة يوسف- الآية 111.
(2) سورة الكهف- الآية 13.
(3) فضل حسن عباس : القصص القرآني إ يجاؤه ونفحاته ، دار الشهاب ، الجزائر ، دط/ د ت – ص : 22.
(4) محمد الخضر حسين: بلاغة القرآن - جمعه وحققه: علي الرضا التونسي - 1391هـ /1971م - ص : 8.
(5) محمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن - مكتبة النهضة المصرية - ط2: 1957
(6) ينظر خالد أبو جندي : الجانب الفني في القصة القرآنية ، منهجها ، وأسس بناءها،دار الشهاب ، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 85.
(7) سورة النحل: الآية 40.
(8) ينظر محمد الدالي : الوحدة الفنية في القصة القرآنية – ط1 : 1414 هـ -1993 م – ص 151.

والحقيقة أن الحياة كلها بأزمنتها وأمكنتها وأشخاصها وأحداثها حاضرة بين يدي الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء لقوله تعالى:(**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)[1].

ومما لا شك فيه أيضا أن الأحداث التي يحكيها القرآن الكريم من شريط الحياة هي الحقيقة والصدق الخالص لقوله تعالى: (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**)[2] فالقصص القرآني قد نقى هذه الأحداث وغربلها، وحسن عرضها وخلصها من الزوائد والحواشي التي تفيد شيئا في تصوير الأحداث [3] .

أما قصة الهدهد مع سيدنا سليمان عليه السلام لا تقل روعة عن قصة النملة التي نادت جنودها حرصا على حياتهم، حيث خافت عليهم من جنود سليمان عندما حشرهم ـ أن يدوسهم أو يحطموهم ساعة العرض والحشر ـ فتسارع النمل نحو جحورهم

قال تعالى: (**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**)[4]،

(1) سورة الجاثية : الآية 37.
(2) سورة فصلت : الآية 42.
(3) ينظر محمد الدالي ، الوحدة الفنية في القصة القرآنية ،ص 152 – وينظر موسى إبراهيم الإبراهيم : تأملات قرآنية ،ص 156.
(4) سورة النمل : الآية 18-19.

والهدد الذي أجاب سليمان[1] في قوله تعالى: (**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**) [2] فقد كان هذا نموذجا واحدا فقط من النماذج التي يزخر بها القرآن الكريم، وهذا الأخير يرينا بصورة واضحة هذا الترتيب والتناسق في أحداث هذه القصة ومراحلها وشخصياتها، فكيف يمكن أن تكون من نسيج الخيال والهم، وكيف يمكن لهذا العقل البسيط والمحدود الآفاق الجاهل للغيب وما تضمنه من أزمنة (الماضي والمستقبل) أن يدرك ويستعيب ويحكم بأن هذا القصص من صنع الخيال، فسبحان الله .

ويقول في هذا الصدد محمد الغزالي :" وقصص القرآن الكريم جزء من التاريخ المهم، ومعرفتها حصانة للباحثين لا يستغني عنها ذو لب" لقوله تعالى: (**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا**)[3]، وقد لام سبحانه الغافلين عن هذا التاريخ بما وعى من مصارع الظلمة وهلاك المفسدين[4]قال تعالى: (**تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا**)[5]" ، ويقول سليمان عشراتي : "... فالصدق التاريخي معيار حرص القرآن على إثباته وتأكيده..." . "وحديث مثل هذا يعوزه شرط الإيمان ، ليتحقق له شرط الموضوعية " [6]، فكانت هذه الأقوال ردا على ما قاله محمد خلف الله، ولعل فكره هذا راجع إلى دراسته لفن القصة وعناصرها المتضمنة للخيال، فعمد إلى قياسها على القصة في القرآن

(1) ينظر محمد الدالي:الوحدة الفنية في القصة القرآنية ـ ص:153
(2) سورة النمل: الآية 22-23.
(3) سورة طه : الآية 99.
(4) محمد الغزالي:مائة سؤال عن الإسلام ـ مكتبة الرحاب ـ الجزائر ـ ط1:1419هـ/1999م ـ ص:156.
(5) سورة الأعراف، الآية 101.
(6) سليمان عشراتي : الخطاب القرآني ، مقارنة توصيفيه لجمالية السرد الاعجازي – ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر – ص 67.

الكريم، فكان ما كان ، وقد نسى أو تناسى أن القرآن الكريم كلام الله المقدس الذي لا يحق أو يصح تنزيله منزلة الأدب [1].

وهناك ردا كان فيه من قوة الحجة ما جعلنا نورده، وهو رأي محمد سعيد رمضان البوطي[2]. جاء فيه " أكتب في البديهيات، حينما نعلم أن كثيرا من البديهيات أصبحت في عصرنا نظريات قابلة للجدل والبحث" وأضاف: "لو يعلم اسم واحد فقط من العرب وقف أو جلس في ناد من نوادي العرب يتحدث بكلمة واحدة من أي قصة جاء بها القرآن من القصص مثل عاد وثمود، ونوح وفرعون، ويوسف وأهل الكهف وغيرهم ويأتوا بها وبتلك التفاصيل [3]، ولو كانوا فعلا على علما بها لما سكتوا على قوله تعالى : (**مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ**)[4]، فهذا مقابل لقوله تعالى : (**يَأْتِيَ بِآيَةٍ**) [5]، فيه تحدي لهم وإعجاز لهم فما استطعوا أن يأتوا بآية، وما استطعوا أن يردوا على الآية: (**مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ**)[6] ، فلو فلو كانوا على علم بقصص الغابرين ولو قصة واحدة ما تركو ا الآية الكريمة تستفزهم ثم يسكتوا عليه، وأضف إلى ذلك أن العرب كانوا معروفين بالعصبية والحمية التي في معناها أن لا يسكتوا على ما فيه نحد لهم، فما بالك بالقرآن الكريم .

ويضيف رمضان البوطي أن القرآن الكريم هو أول وثيقة في جمع المعلومات عن التاريخ فيقول : "سل جميع مؤرخي الشرق والغرب عن

(1) ينظر مناع القطان : مباحث في علوم القرآن – ص 282.
(2) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن – ص 204.
(3) المرجع نفسه، ص 205.
(4) سورة هود : الآية 49.
(5) سورة الرعد : الآية 38.
(6) سورة هود : الآية 49.

أول مصدر يعتمدون عليه في مالهم من معلومات يجيبونك إنه : الكتب المقدسة، أ فتكون هذه الكتب مصدرا تاريخيا علميا نزيها، ثم لا يكون القرآن واحدا من هذه المصادر على الأقل ؟ فإن كان الجاحد يجحد كل ما يعود إلى العصر الجاهلي وصدر الإسلام فله شأنه، أما إن كان يجحد القرآن وحده ويعتمد على روايات الشعر الجاهلي فهذا من العجب والتناقض والعبث" [(1)] .

وخلاصة القول قوله تعالى في الآية القرآنية : (**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)[(2)]، وصدق رب العالمين .

وبهذا نكون قد عرفنا موقع القصة في القرآن الكريم وما هو مجالها ومدى حقيقتها والرد على المعارضين عليها، ولكن السؤال المطروح، ما هي عناصر القصة القرآنية ، وهل هي متشابهة مع القصة الأدبية، وكيف رسمت الشخصيات القرآنية، واختار الحدث ومدى توافقه مع المفاجأة، ودور الحوار فيه ، وهذا ما سنراه في المطلب الثاني .

المطلب الثاني : عناصر القصة القرآنية

من سمات القصص القرآني أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط مكاني وترتيب زماني وعقدة لا توجد مجتمعة في القصة القرآنية، ولا موزعة توزيعا يجعل لكل منها دورا يختل بانعدامه تواز ن القصة ، لأن المقصد هو الذي يتحكم في أسلوب العرض

(1) رمضان البوطي: من روائع القرآن - ص:207
(2) سورة يوسف : الآية 111.

وفي ترتيب الأحداث ، فيسلط الضوء على العنصر المراد إبرازه، فمثلا إذا كان المقصد تثبيت الرسول والمؤمنين(1) نجد عنصر الأشخاص وما ألم بهم (2) ، لأن القصص القرآني جاء فيه إخبار عن أمم ووقائع وأنبياء، وهو يصور الأشخاص والوقائع والمشاهد ، فإذا ذكر حال شخص صوره تصويرا واضحا كأنك تراه وتشاهده (3) ، وقد يكون المقصد الإنذار فيبرز عنصر الأحداث، وهكذا نجد القرآن الكريم قد نوع في دراسة هذه العناصر ، تصويره بأدوات بلاغية معجزة وأول ما أبد به رسم الشخصيات .

رسم الشخصيات :

ترتبط الشخصيات في القصة القرآنية بالحدث فتؤثر فيه وتتأثر به والقرآن الكريم لم يبرز هذا العنصر لذاته، وإنما للإقتداء بالشخصية الخيرة والتنفير من الشخصية الشريرة، لذلك لم يعن برسم الخطوط الشكلية لها، وإبراز ملاحمها الخارجية، وإنما جاءت شاملة ومتنوعة تشمل الرجال والنساء، والرجال إما يكونوا أنبياء أو ملوك أو وزراء، وإما أشخاص عاديين (4)، فنجده يهمل جانب "التصوير الحسي" فلا يذكر مثلا لون الشعر والعينين، ووصف الفم والأنف والجبين ، وتشبيه نبرات الصوت والمشية، وتفسير نظرات الفرح والحزن والغضب، وابتسامات البراءة والمكر

(1) سيكون التطرق للمقاصد وتفصيله في الفصل الثالث .
(2) التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، رسالة دكتوراه ، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر ، 1971- ص 93.
(3) محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن ، نزوله ، كتابته ، جمعه ، إعجازه ، جدله ، علومه ، تفسيره ، حكم الغناء به ، دار الفكر العربي، د ط / د ت ،ص 187.
(4) ينظر عبد السلام أحمد الراغب : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق ، دار الرفاعي للنشر ـ دار القلم العربي ن سوريا ، ط1 : 1425 هـ -2005 م – ص 92.

والسخرية، وغيرها من الأوصاف الفيزيولوجية لأن ذلك لا يخدم الغرض الديني [1] .

إلا أنه قد يرى إشارات خاطفة للجانب الحسي في الشخصية، إن كان يخدم الغرض من السرد، فمثلا ابنة شعيب قالت لأبيها في وصف موسى عليه السلام قال تعالى: (**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**)، فقد ركزت على صفتين فيه: صفة حسية وهي " القوة" والأخرى " الأمانة" وهي معنوية وقوله تعالى على لسان موسى (**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)** [2] ، إشارة إلى لكنة في لسانه ، كما أشار أيضا إلى قوة جسم طالوت [3] في قوله : (**قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**)[4]، ومن ناحية أخرى يمكن القول أن الشخصية في القرآن الكريم قد ترد على هذا النحو:

1. فرد معين باسمه : كإبراهيم وموسى عليهما السلام ، وفرعون وغيرهم.

2.جنس معين وحدث بين عناصره:مثل العصبية ، أو مجموعة من سجايا العرق مثل: بني إسرائيل .

3. الإنسان أيا كان، بما جبل عليه من غرائز وما ركب فيه من طباع

كما نجد في القرآن شخصيات من غير البشر، قامت بأدوار: كالملائكة في قصة إبراهيم ولوط ، والجن في قصة سليمان وإبليس في قصة آدم[5].

وتحدث الباحثون عن تحديد ملامح الشخصية فجعلوها في أمرين :

---

(1) التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ص 360.
(2) سورة طه : الآية 27-28.
(3) ينظر عبد السلام أحمد الراغب : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق – ص 93.
(4) سورة البقرة : الآية 275.
(5) التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن – ص 360-361.

1- الشخصية المفردة أو الجاهزة : وهي التي تلعب دورا ثابتا بمفردها أو مع الجماعة، وتبقى على صورة واحدة لا تتغير، أو تتبدل وأطلق عليها "الشخصية البسيطة" .

2- الشخصية المعقدة : وهي شخصية لا تبدو في الصفحات الأولى، بل تتكشف شيئا فشيئا، وتتطور بتطور الأحداث ونمو الفكرة العامة، ويكون التطور نتيجة تفاعل مع الحدث .

إلا أن الشخصية في القرآن تتمثل في التركيب والوضوح ، لأن التعقيد لا يعطي الشخصية الفائدة المرجوة من وجودها[1]، فمثلا عن وضوح الشخصية "السيارة" في أداء سلوكها، فهو لا يجاوز غاية، سوى نقل يوسف من غيابات الجب إلى بيت العزيز، فهي قافلة وطبيعة حركتها التنقل من مكان إلى مكان، وهنا لا نجد إخلال التوازن الفني بين هذه الشخصية وبين صفة الانتقال والمثال عن الشخصية المركبة سيدنا يوسف ويعقوب عليهما السلام .

كما أن القرآن الكريم اهتم بدراسة الجانب النفسي للشخصيات التي قامت بأدوارها، فمثلا حين رسمه لشخصية موسى عليه السلام ، جعلها تدور حول بأسه وشدته وقوته، وذلك من خلال الآيات الكريمة ، وكذا شخصية النبي نوح عليه السلام في قوة التحمل والصبر، فيظهر ذلك من خلال شدة تحمله أعباء الدعوة زمنا طويلا، إذ يقول بعد أن يئس من قومه قال تعالى: (**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ**

(1) خالد أحمد أبو جندي : الجانب الفني في القصة القرآنية ، منهجها وأسس بناءها ، دار الشهاب ، باتنة – ص 167.

إن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)[1] وشخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام التي تتسم بالحلم والهدوء، والتسامح وقوة المنطق والحجة ويتجلى ذلك في أسلوب دعوته لقومه ، وحواره مع أبيه [2].

هذا من ناحية ، أما من ناحية آخرى فكان تصويره لشخصية "المرأة" مثله مثل" الرجل" لم يعن بوصفها الحسي ، ولا بذكر اسمها ، ماعدا "السيدة مريم" لأن الغرض الديني يحتم ذلك ، من أجل نسبة عيسى عليه السلام إليها ، وبقية النساء يذكرن بأسماء أزواجهن مثل : امرأة نوح، وامرأة لوط ، وامرأة عمران ، وامرأة فرعون ، فنجد القرآن الكريم يصور مثلا امرأة العزيز بطيشها وانحرافها واندفاعها ، وفي المقابل يصور امرأة أخرى في قصة أخرى وهي"ابنة النبي شعيب عليه السلام " التي تميزت بحيائها وأدبها وهناك الشخصية المتدنية التي نذرت ما في بطنها وهي " امرأة عمران" وشخصية "مريم" اتسمت بالعفاف والطهر، والعبادة والتقوى ...وغير ذلك.

وهكذا تكون الشخصيات في القصة القرآنية متباينة في فكرها وشعورها وسلوكها وطبيعتها، إلا أن القرآن الكريم لا يسلط الأضواء على لحظات الضعف والانحراف إلا بمقدار ما يخدم الوظيفة الدينية للسرد القصصي [3].

ولن نكتفي بهذا القدر من الموضوع إنما سنأخذ نماذج من الشخصيات القرآنية لدراستها إثراءا للموضوع.

---

(1) سورة نوح، الآية 26-27.
(2) ينظر عبد السلام أحمد الر اغب : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق – ص 94.
(3) ينظر عبد السلام أحمد الراغب، الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق، – ص 95.

فمن هذه الشخصيات التي عني القرآن الكريم برسمها في القصة، شخصية موسى عليه السلام إذ اتضح أن بلسانه لكنة تعوقه عن الانطلاق في الكلام لقوله تعالى(**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**)[1] وقوله تعالى : (**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**)[2]، فهذه الواقعة تعكس عصبية موسى عليه السلام وسرعة غضبه، وإندفاعه لنصرة قومه، وبعد ذلك تسترسل القصة لتظهر طيبة قلبه وسرعة الندم [3] في قوله تعالى: (**قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**)[4]، وقال تعالى: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**)[5].

إضافة إلى ذلك فإننا نلمس الخوف في سيدنا موسى، وهو حقه كبشر[6]، ولكن الله تعالى قد ربط على قلبه في قوله : (**لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**)[7].

فلننظر إلى عمق هذه الآية الكريمة التي تأخذ بالقلوب والنفوس، حيث أن الله تعالى يربط على قلب الإنسان ويشجعه ويؤنسه ويآزره، إذ تسلل إلى النفس البشرية لتهذبها وتساندها، وتقويها، فهل نجد أفضل من هذا الكتاب الذي يخاطب النفس على هذا النحو من العظمة والرقي؟ ! ونأخذ نموذج

(1) سورة طه، الآية 27-28.
(2) سورة القصص : الآية 17.
(3) محمد كامل حسن : القرآن والقصة الحديثة ، دار البحوث العلمية ، د ذ /ط ، دذ / ت – ص 47.
(4) سورة القصص : الآية 15.
(5) سورة القصص، الآية 16.
(6) محمد محمد المدني:القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ أشرف على إصدارها:محمد توفيق عويصة ـ الكتاب الأول:1384هـ/1964م ـ ص:76
(7) سورة طه : الآية 46.

آخر للتبيان والتوضيح أكثر ليتجلى في شخصية النبي يعقوب عليه السلام المتميزة بالصبر وقوة الاحتمال ومشاعر الأبوة التي تعالت على أحزان النفس، إذ صبر على فراق أحب أبنائه إليه، فنجد في النبي يعقوب آية تحدد معنى الصبر، وأثره على النفس البشرية، وفيه من الدروس ما يثبتها فيقتحم أعماقها، ويأتي الحدث المفاجئ السعيد على النفس في قوله :(**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**)[1].

وهنا تتضح الدروس للناس، لأثر الصبر الحقيقي على الإنسان المؤمن، كما نجد سلوك النبي يعقوب مع بنيه درس تربوي للحياة الأسرية، وبعد هذا تبقى شخصية هذا النبي في حيز الأداء الفني والحبك الفني للقصة القرآنية التي جسدها على أتم وجه [2].

وهناك شخصية أخرى تمثل النفس المريضة ، والقلب الحاقد وتبدو الطبيعة الخبيثة، المتمثلة في شخصية إبليس الذي أخذته العزة بالإثم، فاستكبر واستنكف، وجحد الفضل، وحسد آدم عليه السلام على ما أتاه الله من نعمة في الأرض فأبى أن يسجد له استكبارا وعلوا قال تعالى : (**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) [3]، فهذه الآية تشخص نفسية هذا اللعين وعناده وإصراره [4] .

[4] .

(1) سورة يوسف، الآية 93.
(2) خالد أحمد أبو جندي : الجانب الفني في القصة القرآنية – ص 174.
(3) سورة البقرة ، الآية 34.
(4) ينظر محمد الدالي : الوحدة الفنية في القصة القرآنية – ص 26.

نهيك على ذلك امرأة العزيز ، فهي شخصية فريدة، وهي نموذج لسيطرة الغريزة على النفس البشرية ، وخضوع هذه النفس لما يمليه عليها إحساسها الصادر من يقظة الضمير، فهي باختصار امرأة فيها من وحشية الغريزة، من خلال قوله تعالى :(**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ**)(1)، فهي امرأة داهيـة تدفع الشبهة عن نفسها بمكر ودهاء عظميين، قال تعالى: (**قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا... إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**)(2)، وبعد كل هذا نراها امرأة موادعة زاهدة في كل شيء سوى إرضاء نداء الضمير ، فهذه هي النفس البشرية وما يعتري سلوكها من تباين نتيجة لما يصيبها من الضلالة و الهداية (3).

ونكتفي بهذه القدر من النماذج القرآنية رغم كثرتها في القرآن الكريم ، وأبرز ما يلاحظ بصفة عامة عن الشخصية القرآنية : أمانة النقل في حكاية أقوالها ، ودقة التعبير عن المشاعر ، وصدق الباطن وائتلاف الصفات، وتفاعل السمات، وتوافق العناصر أي ارتباط الشخصية مع الأحداث فإذا طالت القصة وكثرت أحداثها اتضحت معالم الشخصية بصورة أكبر، فكان للحدث أثر مهم في القصة.

الحدث :

يرى محمد عبده أن ترتيب الأحداث في القصص القرآني ليس قائما على الأساس التاريخي، وإنما يرجع إلى اعتبار بلاغي فني غايته تحريك العواطف والوجدان بغية إثارة النفوس، وليس يقصد بهذه الوقائع سرد

---

(1) سورة يوسف، الآية 25
(2) سورة يوسف، الآية 25-28.
(3) خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، ص 198.

وقوعها على حسب الأزمنة، وإنما المراد الاعتبار والعظة [1]، ومعنى ذلك هذا أن الحدث كثيرا ما يعرض مجردا عن ذكر الزمان والمكان اللذين وقع فيهما، ولكن هذا لا ينفي عدم ذكر أحدهما في مجال سير الحادثة إذا تعلق الغرض بذكره كما في قوله تعالى : (**وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ**)[2] ففيه دلالة على زمن الليل، كما يتجلى الزمان والمكان أيضا في قصة أصحاب الكهف إذ يرى القارئ في مخيلته نفس الأمكنة التي دارت فيها حوادثها ودور الشمس في غروبها وشروقها على الكهف،[3] كما نجد القرآن الكريم يختار من الحادثة ما يخدم الفكرة الرئيسية ويخلق الجو النفسي الملائم إذ نلمس تأثر النفس بها، ويعود الفضل في ذلك إلى التصوير الدقيق الذي يعتمد على عنصرين هامين :

مادي : كالانتقال في المواقف والزمان والمكان ، **وداخلي نفسي** : كتحركات الخواطر والأفكار والعواطف ، فهذه الحركة هي التي تجعل المشاهد حية نابضة [4].

والقرآن الكريم لا يعرض أحداث القصة في مكان واحد، بل يقسمها إلى حلقات، فيعرض الحلقة المناسبة في السياق المتسق معها تحقيقا لغاية القرآن، وهذه الغاية تقتضي أن يخاطب الإنسان بأساليب شتى لإقناعه والتأثير فيه، فيعرض عليه الفكرة مباشرة، ثم يدعمها بمشاهد القصص، وهكذا يجري التعبير في القرآن منوعا [5].

(1) ينظر الوحدة الفنية في القصة القرآنية : محمد الدالي – ص 19 – وينظر محمد عبده : تفسير المنار .
(2) سورة يوسف : الآية 16.
(3) محمد كامل حسن : القرآن والقصة الحديثة –ص 35.
(4) التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن الكريم –ص :349.
(5) ينظر عبد السلام أحمد الراغب : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق – ص 96.

كما يعتمد تصوير الأحداث على عرض قضية "الإيمان" و"الكفر" ، فتكون قضية القصص القرآني، المواجهة التي تقع بين أهل الإيمان والكفر، أي بين الرسل وأقوامهم، فينصر الله رسله والمؤمنين، ويدمر الكافرين لأخذ العبرة، ومن أجل هاته العبرة يتنوع تصوير الأحداث فأحيانا تعرض سريعة موجزة في قصص مختلفة، وهذا ما يبدو واضحا في سورة "الصافات" إذ نجد مجموعة قصصية متوالية، عرضت بإيجاز شديد، وسرعة وذلك في قصة نوح وإبراهيم وإسماعيل ، وموسى وهارون والياس ولوط ويونس عليهم السلام، وقد تعرض مطولة مفصلة لقصة موسى عليه السلام وإبراهيم ويوسف عليهم السلام [1].

ضف إلى ذلك أننا نجد القرآن الكريم يستعين بأدوات بلاغية [2] من أجل إبراز المعنى منها :

أ- **الوصف الدقيق المصور**: كوصف نوح لإعراض قومه عن دعوته، قال تعالى: (**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**)[3].

ب- **المعاني المعبرة عن المشاعر والانفعالات** : كما جاء في القرآن على لسان مريم :

قال تعالى: (**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**)[4] .

ج- **أن تحبك العقدة بطريقة طبيعية:** أي اتساق المقدمات مع النتيجة إذ لابد للحوادث التي تمهد لحصول العقدة من مفاتيح لحلها [5].

(1) ينظر عبد السلام أحمد الراغب، المرجع السابق– ص 97.
(2) سيتم تفصيل ذلك في المطلب الثالث .
(3) سورة نوح، الآية 7.
(4) سورة مريم، الآية 18.
(5) محمد كامل حسن : القرآن والقصة الحديثة – ص 30.

ونعني بهذا أن يكون لها ثلاثة أجزاء : بداية، وعقدة ونهاية، فهناك من يجعل في القصة القرآنية نهاية مفتوحة [(1)]. تسمح بتولد الحدث من الحدث الذي تولد بدوره عن سلسلة من الأحداث، وهكذا دواليك، وبالتالي يسهم في تنمية الفكرة العامة للقصة فبهذا التلاحم أصبح من العسير إغفال الحدث.

ولنأخذ على سبيل المثال من روائع القصص القرآني قصة سيدنا موسى في سورة القصص من الآية 3 إلى 12 ، ولنتأمل هذه الحلقة الأولى من القصة، فلقد كان تدخل القدر في هذه الأحداث خفيا، ولأن نتائجها لم تكشف إلا بعد وقوعها .

فالقصة ترينا صورة أم مضطربة منزعجة خائفة ألقت حملها، فتبعه ثقل آخر هو أنها تريد نجاته فيعلوها الاضطراب والخوف ، فيأتيها الإلهام بإلقائه في اليم مع إثلاج قلبها بألا تخاف، نلمح هنا الشخصية متجانسة مع الأحداث إذ من الله عليها بعودته لها، فيكون الاطمئنان في موطن الخوف والقرار في موطن الاضطراب، والسكون في موطن الهلع، ويغلب الفزع القلبي فتكاد تبدي أمرها، ولكن الله تعالى يربط على قلبها بالصبر، وهنا يعقبها حدث بإرسال أخته لتتقصى أخباره، ويحصل بإرادة الله تعالى أن تمتنع المراضع ويعود إلى أمه، وبعدها يربى موسى في قصر فرعون، ولما بلغ أشده خرج من القصر ودخل المدينة[(2)] قال تعالى: **(ولما بلغ أشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة**

(1) ينظر خالد أحمد أبو جندي: الجانب الفني في القصة القرآنية ـ ص:148
(2) ينظر محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى – ص:190

على حين غفلة من أهلها)[1] ، وتوالت الأحداث حين أراد أن يدافع عن أحدهم فقتل الثاني ، وتكررت الحادثة معه ويلقي اللوم من العدو بقوله تعالى : (**إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ**)[2]، فيكون هذا اللوم المآمرة المدبرة ضده سببا في خروجه ، ليصل به حاله إلى مدين ويلتقي بامرأتين، فيساعدهما على السقاية و يجازيه والدهما بأن ينكحه إحدى ابنتيه ويستأجره، وبعد إتمام الأجل يعود إلى فرعون ليبلغ الدعوة ، بعد أن أيده الله بالمعجزات، وتقع المنافسة بينه وبين السحرة ، فيسلمون، ويتوعد فرعون الرسول موسى عليه السلام ومن تبعه بالعذاب ، ولكن ينقلب الأمر عليه فيهلك فرعون وجنوده غرقا في اليم ، فهذا التسلسل في الأحداث والدقة في عرضه له الأثر الكبير على النفس البشرية ، و القرآن يتخير الأحداث التي لها الأثر الأقوى على النفس ، وهذه القوة قوة مبصرة يقودها الحق والعدالة [3]، ولذلك نجد القرآن يتعقب تلك الأحداث بما يبرزها ، ويفسر أسبابها ، ويبرز مواطن العبرة منها وليزيد من تعلق النفس بالقصة نجده يستخدم المفاجأة في قصصه الرائع .

عنصر المفاجأة : عنصر فني، يحقق التشويق والإثارة، ولتتبع القصة القرآنية عدة طرق فنية تحقق للقارئ الهدف المرجو، فتسير الأحداث أمامه وتتحرك وتجعله يدرك ما فيها من حقائق على هذا النحو:

(1) سورة القصص، الآية 14-15.
(2) سورة القصص، الآية 19.
(3) التهامي من نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن – ص 358.

1. فمرة يكتم سر المفاجأة على البطل والنظارة حتى يكشف لهم معا ، وفي اللحظة نفسها، كما حدث في قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف، إذ تتوالى مفاجآت العبد الصالح دون تبرير أو تعليل، وموقف سيدنا موسى منها كموقفنا، لا نعلم سرها أو حقيقتها، ولا نعلم عنه سوى أنه أتاه الله العلم والحكمة فيرتسم الغموض عليه، وبعدها يأخذ السر في الظهور وتتجلى الحكمة من وراء هذه الأفعال أو المفاجآت ، وتتضح الأمور بالنسبة لموسى عليه السلام والنظارة أيضا في قولته تعالى: (**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا**)[1] وبعدها يختفي هذا العبد الصالح مباشرة بعد إبراز الحكمة .

2. ومرة يكشف السر للنظارة ويحجب عن أبطال القصة، فيتحركون ويتصرفون وهم لا يعرفون السر، وأغلب ذلك يكون في سياق السخرية، حتى يظل النظارة يسخرون من تصرفاتهم وأعمالهم، ونجد هذا النموذج في قصة أصحاب الجنة، الذين أقسموا على حرمان الفقراء والمساكين من حقوقهم ، فطاف عليهم طائف فأحرقها، وأبطال القصة لا يعرفون والنظارة على علم بذلك ، فتتجلى السخرية هنا عليهم قال تعالى: (**فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ**)[2] .

3. ومرة يكشف بعض السر للنظارة، وهو خاف عن البطل في موضع، و خاف عن النظارة والبطل في موضع آخر " كقصة عرش بلقيس " ، فقد عرف النظارة أنه قد جيء به إلى سليمان عليه السلام ، وبلقيس لا تعلم ذلك ، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير خفي علينا وعليها معا

(1) سورة الكهف ـ الآية:82/79

(2) سورة القلم ـ الآية: 23

حتى فوجئنا بسره معها قال تعالى: (**وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ**)[1].

4. ومرة لا يكون هناك سر بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة معا[2]، كمفاجأة مريم بالملك في هيئة رجل قال تعالى: (**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**) [3] .

وهكذا فإن القرآن في قصصه لا يخرج في جملته عن كونه تعبيرا عن النفس التي تستجيب للغرض والهدف العام للقرآن الكريم، وهذا الغرض العام يهدف إلى التمييز بين ما
هو حق وما هو باطل وهذا ما يسمى بالصراع.

الصراع :

هو عنصر مرتبط بالمغزى العام للقصة في الهداية والدعوة إلى الله تعالى ، إذ يدور بين الخير والشر ، الحق والباطل الإيمان والضلال ، الاستقامة والانحراف [4].

فهو صراع واحد في طبيعته وغايته وصورته ولكنه قد يتخذ " شكلا ماديا " كصراع سيدنا موسى عليه السلام وفرعون، وصراع طالوت وجالوت ...أو "صراعا نفسيا داخليا" كما في مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وهو يتأمل النجوم .

(1) سورة النمل ـ الآية :44
(2) ينظر عبد السلام ، أحمد الراغب ، الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق – ص :100 ، وينظر عدنان زرزور : القرآن ونصوصه ، مطبعة خالدين الوليد -1400هـ -1980 م – ص : 348.
(3) سورة مريم ـ الآية:18
(4) التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ص 350.

والصراع يقوم بالربط بين أحداث القصة وشخصياتها والحوار الدائر بينها، ويقوده إلى غايته المرسومة ، فمثلا نجد الصراع قد قام بدور أساسي في الربط بين النبي يعقوب وأبنائه، وبين امرأة العزيز، وبين يوسف وإخوته، فهنا الصراع أمسك بأحداث القصة[1] .

ولكي يكتمل هذا العنصر وتتضح ملامحه ويعرف جانب الخير من جانب الشر، وحتى يعرف القارئ الحق من الباطل وتتشبع القصة بالحركة، ومن أجل بيان الفكرة وتأزم الصراع وتحقيق الهدف ، يوظف الحوار .

الحوار

يقول طاهر بن عاشور عن الحوار:"إن في حكاية القصص سلوك وأسلوب التوصيف والمحاورة، وذلك الأسلوب لم يكن معهودا للعرب، فكان مجيئه في القرآن ابتكار لأسلوب جديد في البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان"[2]، والحوار يأتي على صور وأشكال، فقد يكون حوارا " ذاتيا "، كما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام حين نظر في الليل المظلم، وراح يتأمل هذا المشهد الكوني [3] متخذا منه وسيلة للتدبير والبحث عن حقيقة الوجود، فعقل الإنسان وفطرته ، تحتم عليه هذه الفلسفة في البحث عن وجود ذاته، خصوصا إذا غابت عليه الحقيقة ، حينها يلجأ إلى أي ضالة تنير طريقه، فتعزز من نفسيته وتقويها، وكان هذا الحوار الذي وقع في خلجات سيدنا إبراهيم نموذجا عن نفسية الإنسان الباحثة ، إذ

(1) عبد السلام أحمد الراغب : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق ،ص 99.
(2) طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير - ج1- المقدمة السابعة - ص:66
(3) عبد السلام أحمد الراغب، المرجع السابق، ص 98.

قال تعالى :(**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**) (1).

وقد يكون الحوار بين " شخصين " والقرآن الكريم غني بهذه النماذج في الحوار ، ففي سورة مريم يذكر سبحانه وتعالى حوار إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر ، فيتضح منه تقدير الأبوة وحرص الأبناء على هدايتهم، في عطف ورقة ولين يوائم أخلاق المؤمن ثم يرد الأب المشرك على ابنه بأسلوب عنيف وغلظة وقسوة (2)، فيأتي على نحو قوله تعالى:(**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**)(3)، فلقد توخى سيدنا إبراهيم عليه السلام أرقى أساليب الحديث والأدب في الخطاب، إذ ابتدأ خطابه بذكر أبوته، وهذا دلالة على توقيره، ثم أخرج الكلام مخرج السؤال (**لِمَ تَعْبُدُ**...) ولم يقل " لا تعبد.."، وقال :(**قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ** ...) ولم يقل " إنك جاهل ... " كما نسب الخوف إلى نفسه دون أبيه كما يفعل الشفيق على من يشفق عليه، وقال (**يَمَسَّكَ**) وهو ألطف، ثم نكر العذاب وذكر الرحمان ولم يذكر الجبار

(1) سورة الأنعام : الآية 76-78.
(2) إبراهيم أحمد الوقفي : الحوار لغة القرآن الكريم وموضوعات أخرى ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط1 ، 1414 هـ -1993 م –ص : 12.
(3) سورة مريم : الآية 41-45.

أو القهار، وقد علق ابن القيم على هذا بقوله :" فأي خطاب ألطف وألين من هذا ؟ "[1]، ورغم كل هذا اللين إلا أن ردة فعل والده كانت في قمة القسوة والخشونة والكفر والتهديد بالرجم والطرد والعذاب الغليظ، إذ جاء في قوله تعالى على لسان أبيه : (**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**)[2]، وفي مقابل هذا الرد استقبل إبراهيم الحليم ثورة أبيه بهدوء تام فكان جوابه في قوله تعالى :(**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا**)[3].

والآيات الكريمة لم تأت على طريقة الخبر المجرد ، وإنما جاءت على سبيل المناقشة بين طرفين، وهي تورد هذا الحوار الذي جرى بين الابن وأبيه [4]، وهذا يعتبر من أوسع أساليب القرآن في مناقشة أمور الإنسان ، لما فيه تأثير كبير على قلوب عباده .

وهناك نموذج آخر يعرض فيه الظلم الذي يقع بين الناس ، بسبب الانسياق وراء الشهوات، وتملك المشاعر الحاقدة ، وتمكن الغيرة في النفس ، الحوار الذي وقع بين الأخوين قابيل وهابيل، حين تقبل الله تعالى قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل ، فقتله ، قال تعالى : (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ**

(1) هبد الفتاح لاشين : ابن قيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن الكريم ، دار الرائد العربي : بيروت لبنان ، ط 1 : 1402 هـ -1982 م – ص 185.
(2) سورة مريم : الآية 46.
(3) سورة مريم : الآية 47-48.
(4) عبد الستار فتح الله سعيد : المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، مصر ، ط 2 : 1411 هـ، 1991 ص : 118.

يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[1]، فالقصة عرض للإنسانية بشطريها : الخبيث والطيب [2].

كما يمكن أن يكون الحواريين " النبي وقومه وأمثلة ذلك كثيرة ، خذ مثلا قصة شعيب مع مدين في سورة هود ، فلقد جاء فيها هذا الخطاب يناشد فيه شعيب قومه ألا يستبد بهم الظلم[3]، وأكد لهم أهمية إيفاء الناس حقوقهم في الكيل والوزن ، ونهاهم عن السعي في الأرض بالفساد، قال تعالى : (**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ**

---
(1) سورة المائدة : الآية 27-30.
(2) محمد الدالي : الوحدة الفنية في القصة القرآنية : ص 47.
(3) محمد الغزالي : مائة سؤال عن الإسلام – مكتبة الرحاب ، الجزائر ، ط1 : 1419+ هـ -1999م ، ص 159.

كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)[1]، وإليك أيضا قصصا أخرى جرت فيها حوارات بين الأنبياء وأقوامه منهم : صالح وقومه ثمود، لوط وقومه، موسى مع فرعون، والسحرة وغيرها [2].

وقد يكون الحوار بين شخصية بشرية وشخصية أخرى، فتكون مثلا بين الإنسان مع طير كما حدث مع سيدنا سليمان عليه السلام والهدهد، أو بين إنسان مع ملائكة، مثلما وقع مع سيدنا إبراهيم وضيفيه المكرمين أو ما يحدث بين ملائكة العذاب مع العصاة في نار جهنم، أو حوار الشيطان مع أتباعه.

ويكون الحوار أيضا بين الخالق والمخلوق :كالحوار الذي حدث بين الله سبحانه وتعالى عز وجل مع إبليس حين رفض أن يسجد لسيدنا آدم عليه السلام ، أو الحوار الذي جرى مع الملائكة حول خلافة الإنسان في الأرض ، أو الحوار الذي جرى بين الله تعالى مع أنبياءه منهم سيدنا موسى، عيسى، إبراهيم عليهم السلام.

(1) سورة هود : ألآية 83-95.
(2) ينظر إبراهيم أحمد الوقفي : الحوار لغة القرآن الكريم والسنة .

كما يكون الحوار بين المؤمن والكافر، وهذا ما جرى في حوار المؤمن مع صاحب الجنتين في سورة الكهف، قال تعالى: (**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**) [1].

فالحوار في القرآن الكريم اتسم بالتلقائية والعفوية، إذ نجده بعيدا كل البعد عن التكلف، والشخصيات فيه تنطق بما يناسبها ، إذ أنه لا يحمل الشخصيات على كلام أو حوار لا ينسجم مع طبيعتها أو فكرها أو سلوكها ، إنما حوار طبيعي مصور، لأن ذلك هو أسلوب القرآن[2]، فهو لا يعلو في ناحية ويهبط في أخرى ، وإنما يظل محافظا على مستوى الأداء المعجز .

---

(1) سورة الكهف : الآية 32-44.
(2) ينظر : عبد السلام ، أحمد الراغب : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق – ص :99.

فماهي هذه الأداوت والتقنيات التي انتهجها القرآن الكريم حتى بقي محافظا على ذلك العلو؟ وما هي الطرق التي كان بها قادرا على حبكة القصة الفنية على أتم معانيها، بالربط بين عناصرها والتحامها مع بعضها، مما يجعل النفس تغوص في أعماقها وكأنها تعيش الحدث، دون ملل ولا ريبة، و يجعلها - أي النفس - وبتلقائية تامة تقتاد بالعبرة وتنسجم مع الحدث وتعمل على تربية شهواتها حتى لا تقع في الزلل، والذي لا ريب فيه هو أن القصص ذكر خصيصا ليخاطب النفس البشرية ويوجهها .

المطلب الثالث : أساليب عرض القصة القرآنية

إن المنهج القصصي في القرآن الكريم منهج جامع شامل متكامل، يقوم على تحليل النفوس وتصويرها في حالات شتى من حيرة وقلق، وعجز ونفاق وخوف وفزع، ويقابلها بصور النفوس الزكية المطمئنة، العاقلة الواعية، المجبولة على تقوى الله وحب الخير، ويتيح الفرصة لخيال المتلقي أن يتصور ويرسم الهيئة ويجسمها، وكل ذلك يعتمد على الأسلوب الذي اخترن مجموعة من الصور البلاغية الفنية من تشبيهات واستعارات وكنايات، ضف إلى ذلك أنه كان يسرد الواقعة بطريقة جميلة فتأتي تارة مجملة وتارة مفصلة على حسب الغرض، وبألفاظ مرنة وهذا ما أشار إليه طاهر بن عاشور في قوله :" إن في تلك القصص لعبرا جمة وفوائد للأمة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب

تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها ... وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير ... وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص ..." (1).

وأيضا ما يميز المنهج لجوءه إلى التكرار في مواضع كثيرة ، وهذا ما سنراه فيما يلي :

الإجمال والتفصيل:

تعرض القصة في القرآن بالقدر الذي يكفي لأداء الغرض ، وعلى حسب الحلقة التي تتفق معه ، فمرة يذكر ملخص القصة ثم تعرض التفصيلات بعد ذلك من بدايتها إلى نهايتها (2)، وذلك كطريقة قصة "أصحاب الكهف"، حيث ذكر ملخصها الذي تضغط فيه الأحداث ، ويطوى فيه الزمان والمكان و يظهر ذلك في قوله تعالى :(**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**)(3)، وهي على هذا مجملة، وبها تمُسك خيوط القصة، الأمر الذي يبعث على التشويق للقارئ، ويحرك الرغبة للتعرف على ما وراء هذه الإشارات (4)، ونستطرد هنا لنبين أن التشويق يعد من العناصر الأساسية في السرد القصصي، فقد خلق الله تعالى الإنسان، وزوده بعدد من الطباع ، فكان من بين هذه الطباع حب الاستطلاع ومعرفة كل ما هو خفي، فنجد القرآن الكريم قد أصاب لب

(1) طاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير – دار سحنون للنشر – تونس – ج1 المقدمة السابعة – ص 64.
(2) عدنان زرزور : القرآن ونصوصه – ص 346.
(3) سورة الكهف : الآية 9.
(4) محمد الدالي : الوحدة الفنية في القصة القرآنية – ص 262.

الإنسان ،إذ الدافع الرئيسي للتشويق هو إثارة حب الاستطلاع [1] ، وهذا ما يجعله مشدودا إلى القصة كيف لا، والقرآن الكريم مصدره خالق العباد، وخالق العباد أدرى بعباده ، وأعرف بحالهم وما يناسبهم .

ثم يأتي التفصيل، فتعرض القصة بكاملها، في كلمات متناغمة خافتة عميقة، وكأنها تجئ من أغوار الزمن السحيق، فتنقلنا إلى الماضي البعيد الذي عاشت فيه شخصيات هذه القصة، ويبدأ في سرد وقائعها المتمثلة في تشاورهم قبل الدخول إلى الكهف ، وحالتهم بعد الدخول، ونومهم، ويقظتهم وتقلبهم ، وغمض أعينهم ، وكلبهم الباسط ذراعيه، وكأنه يحرسهم ، وحركة الشمس متجافية عنهم وكيف دب النشاط فيهم، وتساءلهم عن مدة بقائهم، وإرسال أحدهم ليشتري لهم الطعام، وتحذيره من مشركي المدينة، حتى لا يعرف مخبأهم فيقتلوهم رجما أو يردوهم عن دينهم ، ويكشف أمرهم ، ثم يتوفاهم الله تعالى، وتنافس أهل المدينة في تكريمهم، وينتهون إلى بناء مسجد فوق أضرحتهم [2].

2) ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها بعرض الأحداث وتسير تلك الأحداث في نمو، وكأن هذه المقدمة تمهيد مشوق لسرد التفصيلات، ومثال ذلك قصة سيدنا موسى في سورة القصص وهي تبدأ بقوله تعالى: (**طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي**

(1) ينظر محمد كامل حسن : القرآن والقصة الحديثة – ص : 33.
(2) ينظر محمد الدالي : الوحدة الفنية في القصة القرآنية – ص 263 .

الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ)(1)، وبعدها تمضي التفصيلات في مولده ونشأته ورضاعه وكبره وقتله المصري وخروجه، وكان المقدمة كشفت الغاية المرسومة من القصة .

3) ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجأتها ما يبهر العقول، ومثال ذلك قصة السيدة مريم عند مولد سيدنا عيسى عليه السلام، وكذا قصة سيدنا سليمان مع النمل والهدهد والملكة بلقيس .

4) ومرة تعرض القصة تمثيلية ، فيذكر من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع الأحداث تنساب متوالية بواسطة أبطالها ، كما نرى ذلك في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله تعالى :**(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**(2)، إلى نهاية المشهد.

تلك هي بعض الحقائق عن القصة القرآنية من شأنها أن تجعل النفس تنعم بمعرفتها وننبه هنا إلى أمر قد يحول بين الإنسان وبين المعرفة فتعجبه فكرة ما، ولكن هل يؤمن بها ويعتقدها، فقد قيل في ذلك : "من السهل جدا الإيحاء بفكرة وقتية في عقول الجماعات، لكن من الصعب جدا تمكين معتقد دائم في قبولها، وهدم اعتقاد تمكن منها"(3)، والمعتقد هو الحالة النفسية التي تعقب الحكم وينقلب إلى العادة بالتكرار(4) ، فتكرار القصة

(1) سورة القصص : الآية 1-6.
(2) سورة البقرة : الآية 127.
(3) التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن – ص 114.
(4) محمد الدالي: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 115.

في القرآن الكريم يدخل ضمن حكمته الإلهية التي تدرج بها في السمو بالنفس البشرية.

التكرار

يقول محمد الغزالي عن التكرار: "ويلفت نظرنا في تكرار أي قصة أن القرآن الكريم يقلب النفس الإنسانية على شتى جوانبها، ويعالجها طورا بالهدوء، وطورا بالصرامة، وطورا بالشد وطورا بالإرخاء ، والغرض أن تترك باطلها وتقبل على هدايات الله" (1) .

فإذا نظرنا إلى مقام القرآن، نجد التكرار له مغزى، ذلك أنه ليس كتاب قصص يدعو للتسلية إنما هو، كتاب يساق للعبر وبيان منزلة الضالين ومنزلة المهتدين، لأن القصة القرآنية هي نبراس يضيء سرداب الإنسان وتنور حاضره . رغم أننا نجد من يطعن ويشكك في القرآن الكريم من هذا الباب، أو من هذه الهفوة ،كما يعتقدون، ولكن هيهات أن يفلحوا، فالمتدبر فيه الذي يملك البصيرة يصل إلى الحكمة من وجودها والتي تتمثل فيما يلي :

1. بيان بلاغة القرآن ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضوع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، فلا يمل الإنسان من تكراراها، إنما تتجدد في نفسه معان لا تحصل في موضع آخر .

---

(1) محمد الغزالي مائة سؤال عن الإسلام ، ص 159.

2. قوة الإعجاز لأن إيراد القصة بصور متعددة ، وعجز العرب الإتيان بمثلها أبلغ في التحدي

3. الاهتمام بشأن القصة ، لأن التكرار من طرق التأكد ، وأمارات الاهتمام

4. اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال[1].

5. والغرض الأهم هو إنهاء حقائق الدين ومعاني الوعد والوعيد إلى النفوس بالطريقة التي تألفها، وهي تكرار هذه الأخيرة في صور وأشكال مختلفة من التعبير والأسلوب[2] .

نذكر هنا قصص قد تكررت في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها، قصة سيدنا هود عليه السلام وعلى الأنبياء أجمعين .

فالنبي هود عليه السلام في سورة الأعراف بدا هادئا طويل الأناة مع قومه عاد قي قوله تعالى :(**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) [3] .

وإذا تأملت في القصة نفسها عندما تعرضها سورة هود، وجدت النبي حاسما في كشف كذبهم[4]، ومنذرهم بسوء حالهم إن هم بقوا على جبروتهم لقوله تعالى : (**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ**

(1) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن – ص 281.
(2) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن – ص : 119.
(3) سورة الأعراف : الآية 65-66.
(4) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام - ص:160

عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ)[1]، فهذا هو الأداء القرآني الذي يمتاز بالتعبير عن قضايا ضخمة، وذلك بأوسع مدلول، وأدق تعبير، وأجمله، مع التناسق العجيب بين المعنى والعبارة، ومع جمال التعبير، دقة الدلالة بحيث لا يعني لفظ عن لفظ ، ولا يطغى الجمال على الدقة ولا الدقة على الجمال ، إذ له القدرة على استحضار المشاهد ، وكأنها حاضرة شاخصة، فقد ألفت بإبداع لا يفصل بين الغرض الديني والغرض الفني، معتمدا على وسائل تخرجه مخرجا فنيا مبدعا متكاملا لا نظير له ويتجلى ذلك في الصور البلاغية .

الصور البلاغية :

إن القرآن الكريم سحر العرب منذ اللحظة الأولى بصوره الفنية من المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه، المرموقة المعبرة عن أدق المعاني، وهي الأداة المفضلة في التعبير القرآني ، والصور الفنية في القرآن الكريم تمتاز عن الصورة الأدبية بتناسبها الظاهري، وتناسبها النفسي والمعنوي معا وبقوة تخيلها وتجسيمها للمعاني [2] .

وهذه الصور تكشف لنا عن ثلاثة مواضع للدراسة في القصة القرآنية هي : قوة العرض والإحياء وتخيل العواطف والانفعالات، ورسم الشخصيات ، وهي ليست منفصلة عن بعضها، وإنما يبرز أحدها في بعض

(1) سورة هود 50-52.
(2) ينظر عبد السلام أحمد الراغب الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق – ص 68.

المواقف ليظهر الآخر في مواقف أخرى[1] واستهل الدراسة بالعرض والإحياء .

العرض والإيحاء : سمة بارزة في تصوير القصة، ولون ظاهر فيها، فما يكاد القارئ يشرع في تلاوة نص من القصص القرآني حتى ترتسم أمام عينيه مشاهد القصة وحوادثها معروضة عرضا فنيا متجانسا ومنسجما، فيجعله يسبح بخياله في أغوارها مستمتعا بها، وأبطالها تدب فيهم الحياة وتظهر علاماتها على ملامحهم وحركاتهم وتعابيرهم، فتجدهم أمامك يمشون، ويفرحون، ويحزنون، وينامون ويستيقظون، وكأنك جالس أمام المسرح ويظهر هذا اللون في قصة أصحاب الجنة وقصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين، ومشهد نوح عليه السلام مع ابنه في الطوفان، ومشهد سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء الكعبة[2]، فمثلا في قصة أصحاب الكهف نجد قوة العرض والإيحاء بمشاهد حية متحركة، فأهل الكهف يتشاورون في أمرهم بعدما اهتدوا إلى الله قال تعالى : **(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)**[3]، وبعد أن يستدل الستار عقب هذا المشهد الذي تشاور فيه أصحاب الكهف واستقر رأيهم على الذهاب إلى الكهف ، إذ بالستار يرفع مرة أخرى لنجدهم وقد نفذوا ما استقر عليه رأيهم قال تعالى: **(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ)**[4]، فياله من إيحاء فلفظة " **تَّزَاوَرُ** " في حد ذاتها تصور المدلول في

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، دار الشهاب ، باتنة – ص 233.
(2) المرجع نفسه – ص 234.
(3) سورة الكهف : الآية 13.
(4) سورة الكهف : الآية 17.

تلك الحركة العجيبة، بينما القرآن يصور حالة هؤلاء فإذا بالحركة تدب فيهم قال تعالى :(**وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**)[(1)]، فيتساءلون عن مدة مكثهم في الكهف ، ويبحثون عن الطعام لأنهم جائعون، إذ يرسلون أحدهم إلى المدينة ويحذرونه من أن ينكشف أمرهم، ولكن وقع ما كانوا يخشونه ويفضح أمرهم، وهنا تركت فجوة للخيال ليتصور ماذا حدث عندما ذهب رسولهم للمدينة وكشف أمره، وما تنازع القوم خارج الكهف على أمرهم، ثم تأتي فجوة أخرى ليتصور الخيال تناقل أخبارهم، ثم يطوى الستار في النهاية دون معرفة عدد السنين التي لبثوها في الكهف [(2)].

تصوير العواطف والانفعالات :

العواطف والانفعالات واضح في معظم القصص القرآني، فإن تلك الحركات تزيد من إبراز الانفعالات المختلفة [(3)]من حب وكره ، فرح وألم ، شكر وبطر، دهشة ومفاجأة، غضب ورضى وتجعلها مرسومة على وجوههم، فنأخذ نموذجا من أجمل القصص القرآني وأحبها إلى القلوب ، قصة السيدة مريم مع جبريل في سورة مريم، التي نجدها مفعمة كلها بالعواطف والمشاعر الرقيقة المرهفة، الجياشة فها هي ذي السيدة مريم في

(1) سورة الكهف : الآية 19-20.
(2) ينظر صلاح الدين عبد التواب : الصورة الأدبية في القرآن الكريم، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ط1: 1995، ص:119-120.
(3) صلاح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص 236.

خلوتها [1] ، وقد انفردت عن أهلها تفاجئ مفاجأة عنيفة برجل غريب يفاجئها في خلوتها، فتنتفض انتفاضة العذراء المذعورة، وتستثير التقوى في نفسه، فيصارحها الرجل الغريب مصارحة مكشوفة ، فيه ما يخدش سمعة الفتاة العذراء الخجول، أنه يريد أن يهب لها غلاما وهنا يظهر الانفعال المملوء بالفزع والخجل، فتدافع عن عرضها في صراحة ، وتسأله كيف يهب لها هذا الغلام وهي لم يمسسها بشر ولم تك بغيا فيجيبها في قولته تعالى:(**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**)[2]، وهذه العذراء تحمل في بطنها جنينا، في موقف مهول مرعب، تفكر كيف تواجه المجتمع وتنطق بعبارات في قمة البلاغة والتعبير عن الأحاسيس لقوله تعالى:(**قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**)[3]، ثم يفاجأ القارئ بميلاد السيد المسيح ويناداها من تحتها ويكلمها، ليطمئنها ويهدئ من روعها، وتنتقل بنا الأحداث إلى قومها ، إذ عجبوا منها وسخروا لقوله تعالى:(**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**) [4] وتشير هي إلى الطفل ليجيب عن سؤالهم ، ويجيبهم الوليد ويبرئ أمه[5] بقوله تعالى:(**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**)[6].

ألا يعبر هذا عن أرقى المواقف وأرقى الأحاسيس ، والله إنه ليدب في الروح والقلب كدبيب النمل على الأرض، فأية معجزة بعد هذه المعجزة .

---

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي : المرجع السابق، ص 236.
(2) سورة مريم: الآية 21.
(3) سورة مريم : الآية 23.
(4) سورة مريم : الآية 28.
(5) صلاح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوري الفني ـ ص:236
(6) سورة مريم: الآية 30.

أما الشخصية فقد تم الحديث عنها مسبقا [1]

وصفوة القول هو أن القرآن الكريم نسق مطرد، وطريق متبعة وسبيل لخطاب البشرية على أنواعها، فهو يخاطب العقل والعاطفة، النفس والروح بأسلوبه الفريد، الذي جمع فيه تلك الصور البيانية، والتي انطوت كلها تحت تصوير وتشخيص وتجسيم كلي للأحداث مدمجة في ذلك أجزاءها وعناصرها ، وإن كنت لم أفصل في كل صورة، وإنما أجملتها، ليس إهمالا أو تماطلا، بل ارتأيت دمجها معا في صورة واحدة حتى تعطي اللوحة الفنية جمالا، ورونقا .

وهذا ثابت في أسلوب القصص ، كما هو ثابت في كل أساليبه من غير تخصيص فيها والتي بدورها تعتبر من الألوان التي تخاطب النفس البشرية والعقل في آن واحد، فتثير الانتباه وتتفاعل مع الوجدان ، وتدفع بالإنسان إلى التأمل الطويل ، والتفكير الجاد في الفكرة التي يحملها ، وهذا النوع من الأساليب هو " ضرب الأمثال ".

فما معنى المثل في القرآن الكريم؟، وما هي أنواعه؟، وعلى ماذا اعتمد القرآن في ضربه للأمثال أي ماهي أدواته الخاصة التي يصور بها هذا المثل ؟

كل هذه التساؤلات التي ذكرت والتي لم تذكر سنتطرق لها في المبحث الموالي .

---

(1) يرجع إلى عنصر الشخصية .

المبحث الثالث: ضرب الأمثال

لا تأخذ الحقائق صورتها الرائعة، إلا إذا صيغت في قالب حسن يقربها إلى الإفهام وذلك بإسقاطها على المعلوم يقينا والمثل هو القالب الذي يبرز هذه المعاني، لأن المثل المعروض يشد السامع ويثير الانتباه، أو بالأحرى النفسيات من مؤمنة أو كافرة أو منافقة، فيكون القرآن بمثابة الحجة الدامغة التي تكشف خبايا النفوس، ودسائس القلوب بأسلوب موجز، سهل بليغ، وما يكون على النفس الإنسانية بعدها إلا أن تذعن لحكمه و تستجيب لحكمه .

المطلب الأول : مفهوم المثل

تعريف المثل : المثل في الأدب: قول محكي سائر، يقصد منه تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، فيجوز أن يقال ويتمثل به في كل حال تشبه الحال الأصلية الأولى، إذ لا تختلف صيغة المثل في كل استعمالاته، فإذا خوطب رجل، أو اثنان، أو أكثر، أو أقل، أو امرأة أو اثنان أو أكثر يبقى المثل على أصله [(1)]، قال المرزوقي : من شرط المثل ألا يغير عما يقع في الأصل عليه [(2)] .

وهو عبارة عن تأليف لا حقيقة له في الظاهر[(3)]، وسمي المثل مثلا لأنه ماثل بخاطر الإنسان أي شاخص يتأسى به ويتعظ ويخشى ويرجو[(4)] ، المثل هو إخراج الغامض إلى الظاهر [(5)].

(1) بكري شيخ أمين التعبير الفني في القرآن الكريم – دار الشروق : ط4 : 1400 هـ -1980 م – ص : 229.
(2) جلال الدين السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج1 – ص : 488.
(3) أحمد الهاشمي : جوهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – مؤسسة المعارف ، بيروت ، ج 1-2 ،ص 263.
(4) ابن قيم الجوزيه : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن – مكتبة المتنبي – القاهرة – ص : 67.
(5) أحمد عمر أبو شوفة : المعجزة القرآنية ، حقائق علمية قاطعة – دار الكتب الوطنية – ليبيا – ط : 2003 م – ص : 198.

قال الفارابي في ديوان الأدب: المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه، ومعناه أن القوم ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء ، ووصلوا به إلى المطالب القصية وتفرجوا به عن الكرب والمكربة .

قال المرزوقي في شرح الفصيح : المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، حيث تنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ومضارع ضرورات الشعر فيها مالا يستجاز في سائر الكلام [(1)].

قال الزمخشري : التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله، وإن كان صغيرا كان المتمثل به كذلك [(2)] قسمه أبو عبد الله البَكْرَ بادي إلى أربعة أوجه :

أحدها : إخراج ما لايقع عليه الحس إلى ما يقع عليه

ثانيها : إخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة

ثالثها : إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة.

رابعها : إخراج مالا قوة له من الصفة إلى ماله قوة [(3)].

---

(1) جلال الدين السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها – دار الفكر – شرحه : محمد أحمد جاد المولى – علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم – ج 1 – ص : 486.
(2) جلال الدين السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن – دار الحرم للتراث، تحقيق : علي محمد البجاوي، مج 1 ، ص : 464 .
(3) بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن – قدم له : مصطفى عبد القادر عطا – دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان – ط1 : 1408 هـ / 1988م ، ج1 ،ص 71.

* قال أبو عبيد : الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، و بها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاثة أمور : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه [1] فهذه الأمور، قد عدها البلاغيون شروطا يكتمل بها المثل ، وهناك من أضاف شرط رابع، وهو جودة الكناية [2] .

وعليه فإن ضرب المثل في غضون الكلام يعتبر لونا من ألوان التشبيه، ويعتبر أحيانا لونا خاصا من ألوان الاستعارة، فإن كان المثل له مذكورا في الكلام كان تشبيها، وإن كان محذوفا فهو استعارة [3].

وقد يستعمل المثل للوصف[4]، فيقال مثل الشيء أي صفته، كما قال تعالى :(**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**)[5]، أي صفة الجنة وقوله تعالى :(**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ**) [6] أي صفاتهم [7].

وقد يأتي ذكرا لحال من الأحوال مشتملا على ما يناسبها ليبين ما كان خفيا من حسنها أو قبحها ، فيكون قولا بديعا تجعله خليقا بالقبول [8] ، ، والقصة العجيبة الشأن، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات كقوله تعالى :(**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ**)[9] ، أي قصتها وصفتها التي تتعجب منها [10]، ولهذا قالوا :"استعير لفظ

(1) السيوطي : المزهر في علوم اللغة ، ج1 – ص 486.
(2) بكري شيخ أمين : التغيير الفني في القرآن – ص : 230.
(3) رمضان البوطي : من روائع القرآن – ص 181.
(4) أحمد عمر أبو شوفه : المعجزة الكبرى – ص : 198.
(5) سورة الرعد : الآية 35.
(6) سورة الفتح : الآية 23.
(7) سميح عاطف الزين : الأمثال والمثل و التمثيل والمثلات في القرآن الكريم – مجمع البيان الحديث – دار الكتاب اللبناني، بيروت – ط1 : 1407 هـ -1987 م ،ص : 10.
(8) المرجع نفسه – ص : 11.
(9) سورة محمد : الآية 15.
(10) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن – ص : 258.

لفظ المثل لكل حال، أو صفة ، أو قصة لها شأن عجيب، وخطر غريب من غير أن يلاحظ بينها وبين شيء آخر شبه" ففي قوله تعالى :(**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ**)[1] ، اجتهادا للتفريق بين تشبيه الأشخاص وتشبيه الأحوال، مستبعدا الأول متعرضا لمجموعة من التحولات التي يقتضيها التركيب فيما فيه من حذف ومخالفة في الضمائر، قال الفراء : " إنما ضرب المثل للفعل لا للأعيان ، وإنما مثل للفعل لا للأعيان" [2].

ويأتي بمعنى العبرة ، ومنه قوله تعالى : (**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ**)[3]، فمعنى " **سَلَفًا** " أنه جعلهم متقدمين يتعظ بهم العابرون ، ومعنى " **وَمَثَلًا** " أي عبرة يعتبر بها المتأخرون [4].

* وهناك معنا آخرا ذهب إليه علماء البيان في تعريف المثل : فهو عندهم المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله، وأصله الاستعارة التمثيلية كقولك للمتردد في فعل أمر : "مالي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى " [5] .

"يقول ابن قيم الجوزيه في أمثال القرآن : تشبيه شيء بشيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر [6]" ، وقد يجيء التشبيه ضمنيا كما في قوله تعالى[7] :(**يَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا**

(1) سورة البقرة : الآية 17.
(2) محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها – ص 108.
(3) سورة الزخرف : الآية 56.
(4) سميح عاطف زين الأمثال في القرآن – ص : 11.
(5) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن – ص : 258.
(6) ينظر متاع القطان : مباحث في علوم القرآن – ص : 258.
(7) شعبان محمد إسماعيل :المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية - ص:496

وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) [1].

والتعريف الذي نجده أقرب إلى النفس من غيره هو : إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا لها وقعها على النفس وذات أثر طيب في الإقناع والإفهام [2].

ويعتبر هذا التعريف هو الأليق بتعريف المثل في القرآن الكريم ، لأن أمثال القرآن لا يستقيم حملها على المعنى اللغوي الذي هو : الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة، حيث أن أمثال القرآن ليست أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، لأن الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل، ومن هنا كان هذا التعريف هو الأنسب والأفضل .

بالإضافة إلى أن الأمثال لا يشترط صحتها على أنها واقعة تاريخية ثابتة، وإنما يشترط فقط إمكان صحتها أي وقوعها، حتى يتسنى للذهن تصورها كما لو أنها وقعت فعلا، فمن أجل ذلك يمكن الربط بين المثال والمعنى الممثل له، حيث يلبس نسيجا ماديا محسوسا يتصوره الذهن ويألفه الخيال .

كما أنه يمكن أن يضرب المثل بالقصة الواقعة ، وعندئذ تسمى القصة تمثيلا، لأنها سيقت مساق التمثيل بها ، ولم تورد على أساس الإخبار عنها [3].

(1) سورة الحجرات، الآية 12.
(2) شعبان محمد إسماعيل : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية – دار الأنصار – د /ط –د/ت – ص : 496.
(3) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن – ص : 181.

الفرق بين المثل والحكمة والنادرة :

النادرة : حكمة صحيحة تؤدي ما يؤدي عنه المثل ، إلا أنها لم تشع في الجمهور، ولم تجر إلا بين الخواص ، وليس بينها وبين المثل إلا الشيوع وحده (1) .

الحكمة : قيل الحكمة هي العمل ، وقيل الإتقان ، وقيل العدل... وعليه فإن الحكمة تتعلق بالقلوب والجوارح ، فأما القلوب فعلى معنى الإصابة في اعتقاداتها وتصورها للأشياء ، وفي أخلاقها ، وأما الأيدي : فعلى معنى الإصابة في أفعالها وإتقانها

وعليه فإن الفرق بين الحكمة والمثل في ثلاثة أمور :

أحدها : الحكمة عامة في الأقوال والأفعال والمثل خاص بالأقوال

ثانيها : المثل وقع فيه التشبيه ، والحكمة قد يقع فيها وقد لا يقع

ثالثها : المقصود من المثل الاحتجاج ، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ (2).

كما أنه لا يستبعد أن يكون المثل هو الحكمة كما قال أبو هلال العسكري صاحب كتاب "جمهرة الأمثال" "إن كل حكمة سائرة تسمى مثلا ، والكلمة إذا شاعت وانتشرت وكثر دورانها على الألسن تكون مثلا، أما إذا كانت صائبة وصادرة عن تجربة، ولم تدر على الألسن، فتسمى حكمة"(3).

(1) جلال الدين السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها –ج 1- ص : 486.
(2) عبد المجيد البيانوني : ضرب الأمثال في القرآن – أهدافه التربوية وآثاره – دار القلم – سوريا- الدار الشامية ، لبنان ، ط1 : 1411هـ -1991 م – ص : 31.
(3) سميح عاطف الزين : الأمثال في القرآن – ص : 11.

النهي عن ضرب الأمثال لله تعالى:

قال تعالى : (فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)[(1)]
والمعنى النهي عن ضرب الأمثال لله تعالى ، والمراد من ضرب المثل لله تعالى الاشتراك به جل وعلا، وجوز الزمخشري أن يكون المراد النهي عن ضرب الأمثال لله تعالى حقيقة، والمعنى لا تضربوا لله تعالى الأمثال التي يضربها بعضكم لبعض، لأن الله تعالى يعلم كيف تضرب الأمثال .

* وكأنه قيل :لا تمثلوا لله تعالى الأمثال ، فإن ضرب المثل إنما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفي عنه، والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون، فتمثيل غير العالم للعالم عكس الحقيقة .

ولأن ضرب الأمثال باب من التعليم، والتعليم يكون من أعلى إلى أدنى، ولما فيه جهلا بقدره تعالى وتطاولا على أسمائه وصفاته [(2)]، لقوله تعالى : (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[(3)] .

مكانة الأمثال في علوم القرآن :

روى البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال).**

(1) سورة النحل : الآية 74.
(2) ينظر عبد المجيد البيانوني : ضرب الأمثال في القرآن – ص 46.
(3) سورة الحج : الآية 74.

وقد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدالة على طاعته، المثبتة لاجتناب معصيته، وترك الغفلة عن الحفظ، والازدياد من نوافل الفضل [1].

قال الماوردي : من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة منه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام، والناقة بلا زمام [2] .

مواقف الناس من أمثال القرآن الكريم :

ضرب الله تعالى في القرآن ضروبا من الأمثال، قال تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)** [3] ، وقال تعالى : (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**)[4].

وقد ذكر الله تعالى موقف الناس من أمثال القرآن إذ قسمهم إلى فريقين :

الأول : هم المؤمنون الذين يزدادون إيمانا وهداية ونورا كلما قرأوا آياته ويتقبلون الأمثال بالإمتثال (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**) [5] .

الثاني : هم الكافرون والمنافقون، حيث أنكروا أن يضرب الله تعالى مثلا بصغير مخلوقاته فجاء في القرآن الكريم ما كان ردا على أفكارهم [6]

(1) الزركشي : البرهان في علوم القرآن – ج1 – ص : 571.
(2) السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن – ص : 464.
(3) سورة البقرة : الآية 26.
(4) سورة العنكبوت : الآية 43.
(5) سورة العنكبوت : الآية 43.
(6) ينظر عبد المجيد البيانوني:ضرب الأمثال في القرآن ـ ص:42

بقوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ**)[1].

أهمية الأمثال وفائدتها في الكلام :

المثل فن من القول، بديع في الجاهلية والإسلام، وهو ضرب من الفصاحة، قال أبو هلال العسكري: "ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها"[2]

فهو نزهة البال وترويح المخاطر ، واستقصاء الحكم [3].

وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس ، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر [4] .

ويقال لكل شيء قالب ومقدار ، وقالب الكلام ومقداره الأمثال.

(1) سورة البقرة : الآية 26.
(2) ينظر المرجع نفسه، ص 34.
(3) السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب ،ص 264.
(4) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن –ص : 572

وهذا ما أشار إليه السيوطي : "إنما ضرب الله المثال في القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل، أو على مدح أ و ذم أو نحوه فإنه يدل على الأحكام" (1).

يقول الحكيم الترمذي عن الأمثال ، وفي قوله إجمال وفصل : "فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال، لما خفيت عليهم الأشياء، فضرب الله لهم مثلا من عند أنفسهم، لا من عند نفسه ليدركوا ما غاب عنهم ، فأما من لا يخف عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا "(2)، وفال أيضا :"الأمثال مرآة النفوس".

ولما كانت الأمثال كذلك وكانت أقرب إلى النفس، وتصور المعاني، والأشخاص إذ تجعلها محسوسة أمام العين، ولما فيها من التأثير القوي على القلوب، إذ تخاطب الإنسان بكيانه وروحه وجوارحه، انتهج القرآن الكريم أسلوبا معينا في ضربه للأمثال، مما أدى إلى تنوعها وتميزها خاصة، فما هي أنواع الأمثال في القرآن الكريم ، وما هي خصائصها .

المطلب الثاني : أنواع أمثال القرآن و خصائصها

الإنسان مؤلف من جسم وروح، فليس من المعقول و الحكمة أن ينزل الله للأجسام ما تحتاجه وتتغذى به، ويهمل النفس التي هي جزء متكامل في هذا الكائن، التي تتطلع إلى غذائها الروحي، و لهذا جاء المثل في القرآن

(1) السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن – ص 464.
(2) الحكيم الترمذي : الأمثال من كتاب والسنة – حققه : السيد الجميلي – دار ابن زيدون – بيروت – دار أسامة ، سوريا ، ط2 : 1407 هـ -1987 م – ص : 13.

الكريم ليقوم بدوره الذي أراده الله تعالى له ومن أجل ذلك تنوع المثل في عرضه، أذكرها فيما يلي:

الأمثال الكامنة : معناها أن القرآن لا يصرح بأنها أمثال ضربت لحادثة معينة، وإنما دل مضمونها على معنى يشبه مثلا من أمثال العرب المعروفة، أي إنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها، ومن هنا جاءت تسميتهم لها : أمثالا كامنة [1]، كما أنها تدل على معان رائعة في إيجاز بياني، ويكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

قال أحد العلماء[2]: ما تكلم العرب بمثال إلا و في القرآن الكريم نظيره، فقال أحد الناس: قالت العرب: خير الأمور أوساطها فأين أجده في القرآن؟ فأجاب: تجده في قول الله تبارك وتعالى:(**لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**) [3] .

و قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**)[4] .

وقول الله جلا وجلاله: (**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**)[5] .

وقول الله عز وجل: (**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**) [6].

---

(1) بكري شيخ أمين : التعبير الفني في القرآن – ص : 230
(2) إصلاح أحمد الطنوبي : مقال الأمثال في القرآن الكريم - مجلة المنهل: القرآن الكريم الهدى و الإعجاز- العدد : 491- مج: 53 – 1412هـ – 1991م- ص: 176
(3) سورة البقرة : الآية 67.
(4) سورة الفرقان : الآية 67.
(5) سورة الإسراء : الآية 29.
(6) سورة الإسراء، الآية 110.

فسأله : و أين أجد قول العرب:"من جهل شيئا عاداه؟[1] فقال: تجده في أقواله تعالى:

قال تعالى: (**بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**)[2] .

قال المولى عز وجل: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**)[3] .

ومثال آخر في معنى قولهم"ليس الخبر كالمعانية."[4]: جاء في قوله تعالى: (**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**)[5] .

في معنى قولهم:" كما تدين تدان" جاء في قول الله تعالى: (**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا**)[6].

في معنى قولهم: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتي" جاء في قوله تعالى على لسان يعقوب:

(قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[7].

وهناك من ينظر إلى هذا النوع من الأمثال على أنه تكلف، حيث قال بكري أمين[8] : "ويبدوا لنا أن ذلك تنطع و تكلف لا حد لهما، و أنه لا يكفي يكفي لإطلاق كلمة "المثل" على تلك العبارات و إن حملت معنى مثل سائر

(1) بكري شيخ أمين:التعبير الفني في القرآن - ص:231
(2) سورة يونس : ألآية 39.
(3) سورة الأحقاف : الآية 11.
(4) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن- ص : 261
(5) سورة البقرة : ألآية 260
(6) سورة النساء : الآية 123.
(7) سورة يوسف : الآية 64.
(8) صلاح أحمد الطنوبي : مقال الأمثال في القرآن الكريم ، ص 231.

دارج، لأن الصيغة التي تشترط في المثل لا تتوافر فيها، لذلك فنحن نرفض ما جاء به السيوطي ومن تبعه، ولا نعتبر الأمثال الكامنة شيئا يستحق أن يدرج في بحث الأمثال."، فهذا الرأي نجده أقرب إلى الصواب، لأن في هذا النوع من المثل تحميل القرآن الكريم فوق طاقته، وكما قال بكري أمين، الصيغة التي يأتي بها المثل لا تتوافر فيه، ولعل هذا النوع إدراجه في باب الحكم أولى، والله أعلم.

الأمثال المصرحة أو القياسية :

و يقصد بها أن الصيغة التي وردت فيها العبارة قد تخللها لفظة **"مثل"** المكونة من الميم و التاء و اللام**"[1]** و هي كثيرة في القرآن الكريم نأخذ منها :

قال تعالى : **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[2]**، فهذا مثل عظيم بمثل حال الذين اتخذوا من دون الله أولياء يبتغون عندهم العزة و القوة، فيصور الله عز وجل حالهم تحقيرا لهم بحال تلك الحشرة الضعيفة التي إتخدت بيتا ظانة أنه بيتا منيعا محصنا وأخذت تتحرك بداخله ولعلها تزهو بسرعة بنائه، وهي لا تعلم أنه أوهن البيوت، فهؤلاء الناس أجهل منها وهم لا يدرون أنهم أضعف من العنكبوت و من بيتها[3] .

قال تعالى: **(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[4]** ، فهذه

---

(1) بكري شيخ أمين : التعبير الفني في القرآن – ص : 231
(2) سورة العنكبوت : الآية 41.
(3) ينظر: موسى إبراهيم الإبراهيم – تأملات قرآنية – ص : 162
(4) سورة الزمر : الآية 29.

الآية بيان لحال من يتلقى نظام حياته من أرباب متعددين، ويعرض عن التلقي من الله وحده، فالآية تبين رجلين أحدهما له سيد واحد يأمره وعليه إتباعه و يهتم بمرضاته، وآخر له أسياد كل واحد منهم له سلطة عليه، و كل منهم يطلب ما يريد، و هو مجبر على التنفيذ و حائر في وسطهم، وهكذا يقضي أيامه بين إرضاء هذا والتقرب لهذا ، تائه، حائر[1] .

قال تعالى: (**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)[2] ففي الآية ذما لليهود الذين أعطوا التوراة للعمل بها، ثم لم يعملوا، كالحمار إذا حمل كتبا لا يعلم ما فيها، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب حفظوه لفظا ولم يتفهموه، و لا عملوا بمقتضاه، فحالهم أسوأ من حال الحمار، لأن الحمار لا يملك عقلا، و أما هم فقد كرمهم الله بالعقل ولم يفهموه [3] .

قال تعالى في تمثيل الحكمة وضدها[4]: (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**)[5] ، وقال تعالى: (**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ**) [6] فكلمة "مثلا" وردت في صدر الآيات،إذ الغاية من ضرب

(1) ينظر : موسى إبراهيم الإبراهيم – ص : 163
(2) سورة الجمعة : الآية 5.
(3) صلاح أحمد الطنوبي : الأمثال في القرآن الكريم - المنهل : القرآن الكريم الهدى و الإعجاز – ص : 176
(4) السيد أحمد الهاشمي :جواهر الأدب - مج :1- 2 - ص: 265
(5) سورة إبراهيم :ألآية 22.
(6) سورة يسن - الآية : 14.

المثل تصوير حادثة من الحوادث، يجمع بين عمق الفكرة و جمال التصوير، فهو ليس تلخيصا لقصة ولا إشارة لها ولا اقتباسا، وإنما هو قصة بأكملها جاءت على صورة مثل يقصد بها غاية معينة.

نجد المفسرين لم يقتصروا على هذه الأمثال عندما تحدثوا عن التمثيل في القرآن، بل أضافوا إليها قصصا و صورا مجازية أخرى، وعدوها من قبيل التمثيل، على الرغم من أن لفظ المثل لم يرد فيها صراحة(1) . فمن ذلك قوله تعالى (**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِـي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(2).

ومن ذلك قول ابن القيم في قوله تعالى: (**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**)(3) ، قال ابن القيم في أعلام الموقعين : و هذا من أحسن القياس التمثيلي، فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه .

الأمثال المرسلة : وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن، و شيوعها في المسلمين، إذ أنها لم تكن أمثالا في وقت نزوله(4) نذكر منها:

(1) بكري شيخ أمين : التعبير الفني في القرآن الكريم – ص : 232
(2) سورة البقرة : الآية 259.
(3) سورة الحجرات: الآية 12.
(4) بكري شيخ أمين : التعبير الفني في القرآن الكريم– ص : 234

قول الحق عز وجل:(**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**) [1]، قوله سبحانه وتعالى: (**الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**) [2].

قوله جل شأنه (**أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**)[3] .

قوله تبارك و تعالى (**لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ**)[4] .

وقوله عز وجل (**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**)[5] .

قوله جل ثناؤه (**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**)[6] .

قوله جل جلاله (**قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**)[7] .

قوله تبارك و تعالى (**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**)[8].

قوله الله تعالى : (**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**)[9]، كانت هذه بعض الأمثلة من آيات القرآن رغم أن القائمة طويلة و لا يمكن حصرها، و رغم أنه اختلف فيه، فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن، قال الرازي في تفسيره قوله تعالى:(**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**)[10] جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة، وذلك غير جائز، لأن الله تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه" .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن الكريم في مقام الجد، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة، قد تقطعت أسباب

---

(1) سورة آل عمران الآية: 92 .
(2) سورة يوسف : الآية 51
(3) سورة هود الآية :81
(4) سورة الأنعام الآية :67
(5) سورة فاطر الآية 43
(6) سورة الحج الآية 73
(7) سورة المائدة الآية 100
(8) سورة البقرة : الآية 216.
(9) سورة القصص : الآية 77.
(10) سورة الكافرون : الآية 6.

كشفها عن الناس فيقول الله تعالى: **(لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ)**[1] أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطله فيقول :" لكم دينكم و لي دين" و الإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل و المزاح.[2]

رغم الاختلاف الذي وقع بين العلماء حول مسائل معينة في القرآن الكريم، إلا أن هذا لا ينقص من قدر القرآن و بلاغته و إعجازه شيئا، فهو يبقى الدستور الأول، والسراج الكبير الذي جمع بين لغة بشر و إعجاز سماوي عظيم، له مميزات مبهرة تتجلى من خلال موضوعاته، ومنها هذا الموضوع الذي نحن بصدد التحدث عنه، فلقد امتاز بمجموعة من خصائص تجعله مستقلا بذاته عن الموضوعات الأخرى وسنحاول إجمالها فيما يلي :

1- واقعية الأمثال القرآنية : يعني اتصالها بعناصر الطبيعية، و استمدادها منها وبعدها عن التهويلات والتضخيمات الخيالية، فهي صور منتزعة من الواقع الإنساني وما فيه، وهي لاصقة بحياة الإنسان ليست نادرة [3]، فقد ضرب الله تعالى الأمثال بالسماء والماء و مواد وأحياء، فكانت كمرآة عاكسة لحالة اجتماعية تتعلق بالبشر فتعطي القانون العام الذي يحكم المضروب والمضروب به [4].

---

(1) سورة النجم : الآية 58.
(2) صلاح أحمد الطنوبي : الأمثال في القرآن الكريم – مجلة المنهل – القرآن الكريم الهدى و الإعجاز – العدد : 491 – مج 53 – 1412هـ – 1991م –ص : 177
(3) ينظر عبد المجيد البيانوني : ضرب الأمثال في القرآن – ص : 111
(4) خالد فائق البيدي : القوانين القرآنية للحضارات – دراسة قرآنية لأحداث التاريخ – دار الكتب العلمية بيروت – ط1 1426هـ – 2005م – ص : 11 .

كما ضرب الأمثال بالذباب، والبعوض، والعنكبوت، والكلب، والحمار، والأنعام، وهي شاملة لأنواع عديدة، كذلك ضرب المثل بالزرع والحبة ـ وهي شاملة لكل زرع ـ فكل هذه الأمثال شكلت لوحات فنية رائعة لتصوير مشاهد الطبيعة بأشكالها و أنواعها المختلفة،حيث نجدها مشاهد ألفتها العرب و عرفتها، و فيها ما لم تعرفه العرب ولكن عرفته الشعوب الأخرى [1] .

و القرآن الكريم يضرب الأمثلة بهذه المشاهد حتى يبرز وحدة الحقائق الكونية، وترابطها الكلي ببعضها، ومن أجل أن ينمو الإنسان نموا واقعيا، يلاحظ الواقع و يتفاعل معه، و حتى ترتبط في نفسه صور الطبيعة بالأغراض الدينية التي ضربت لها الأمثال، فلا يرى هده الصور إلا ويذكر تلك الأمثال فيتفاعل معها، وتمتزج أحاسيسه فيتصل العقل، بالقلب، والسمع والبصر، ويرتبط كتاب الكون الخالد المقروء بكتاب الكون المشهود [2]، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قال تعالى : (**مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)[3] ، قال تعالى : (**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[4]، وقوله تعالى: (**وَاضْرِبْ لَهُم**

(1) ينظر محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن – ص 182
(2) عبد المجيد البيانوني : ضرب الأمثال في القرآن – ص : 112
(3) سورة آل عمران : الآية 117.
(4) سورة يونس : الآية 24.

مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا)[1] يشبه الله في هذا المثل الحياة الدنيا بماء أنزلنه من السماء، فكان حياة للأرض، وروحا للنبات، والحب والورق، والعيدان والأغصان، فشب كل ذلك ونما وترعرع حينا من الزمان، ثم أدركه اليبس والجفاف فأصبح هشيما متكسرا تذروه الرياح [2]، فهذا تصوير رائع، و بيان يأخذ بالألباب.

2- الدقة : إن المتأمل في المثل القرآني يلحظ دقته الفريدة لأنه يتخير المحسوسات الموجودة ويعرضها بأوصافها، وهو لا يضع في الممثل به وصفا زائدا أو ناقصا، من أجل ذلك تكون صورته صادقة ملموسة [3]، نحو قوله تعالى: (**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)[4] .

3- تأخذ الأمثلة في أغلب الأحيان طابع القصة في عرض الجزئيات وتفصيل صفاتها. وذلك على خلاف العرب فالمألوف عندهم تكثيف المثال وعرضه في أقل قدر ممكن من الكلمات، فمثلا يضربون المثل للشيء الخادع بالسراب، دون التعريج على تفصيل صورته، ولكن القرآن يبسط منه صورة حية يتراءى فيها كيف ينخدع الظمآن حتى إذا جاءه لم يجده شيئا[5]، قال تعالى(**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ**

(1) سورة الكهف : الآية 45.
(2) محمد توفيق عويضة : القصص الهادف – ص : 151
(3) سميح عاطف الزين : الأمثال في القرآن الكريم – ص : 49.
(4) سورة العنكبوت : الآية 41.
(5) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن - ص: 182

مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[1].

4- الجمع بين الحكم والحكمة : أمثال القرآن فيها الحكم النورانية و الأحكام التشريعية، و قد تكون قاعدة من قواعد التشريع[2] وتكون بذلك كلاما كاملا مستقلا بذاته نحو قولـه تعالى: (**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**)[3]. وقوله جل ثنـاؤه : (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**) [4] و غير ذلك.

5- الجمع بين معان متفاوتة : كلها صحيحة مقبولة[5] نأخذ نموذجا نموذجا قال تعالى (**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**)[6] قيل أنها نزلت في النفقة، وقيل أنها نزلت في الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد، وقيل التهلكة أن يذنب الرجل و لا يتوب[7] رغم كثرة الآراء فيها وتعارضها إلا أنها تتناسب مع الآية كلها دون أن يخل ذلك بالمعنى العام للآية، وهذا ما يزيد في إعجاز القرآن و بلاغته .

إذا نظرنا إلى المثل القرآن، ميزنا أنه متجه في موضوعه إلى السلوك الإنساني فيأثر فيه، ويتفاعل معه حتى يرسخ في نفسه الحقيقة الصادقة، ومن أجل ترسيخ تلك الحقيقة نجد القرآن الكريم يستعرض الجماعات البشرية و يقسمها من خلال هاته الأمثال إلى ثلاث فئات : مؤمنة، ومنافقة،

(1) سورة النور : الآية 39.
(2) عبد المجيد البيانوني : ضرب الأمثال في القرآن - ص:51
(3) سورة البقرة : الآية 256.
(4) سورة المائدة : الآية 48.
(5) عبد المجيد البيانوني : ضرب الأمثال في القرآن – ص : 51
(6) سورة البقرة : الآية 165.
(7) ابن كثير :تفسير القرآن العظيم - دار ابن حزم بيروت - دار الريان الجزائر - مج 1- ط1:1423هـ/2002م - ص:382

وكافرة . و يسمو المثل القرآني إلى ذروة البلاغة وهو يمحص هذه الجماعات من جميع نواحيها بحيث لا يترك شأنا من الشؤون المتعلقة به إلاّ وتطرق لها بشيء من الفحص و التمحيص وهنا يطرح التساؤل: إلى أي حد يمكن للقرآن الكريم أن يتوغل في النماذج الإنسانية بأسلوبه البليغ ؟.

المطلب الثالث : الصور البلاغية للأمثال في النماذج الإنسانية

من الواضح للعيان أن الله تعالى قد أحاط بعلمه كل شيء ، شمل الصغير والكبير، فهو الذي لا تخفى عليه خافية في السموات وفي الأرض ، يعلم مكنون عباده على اختلافهم، وعلى اختلاف أزمانهم وبيئاتهم وثقافتهم وأحوالهم النفسية.

ومن ثم نجد هذا العلم وهذه الدراية مكشوفة الحجاب في كتابه العزيز ، مصورا إياها بطريقة فنية جميلة تشد الانتباه وتثير الاهتمام وتدفع الملل ، مقسما عباده إلى ثلاث فئات مؤمنة، وكافرة ومنافقة كل فئة تشغل حيزا خاصا تتلخص فيه صورة نفس بشرية بكل مقوماتها وبكل انفعالاتها وميولها، وهذا ما سنحاول أن نبينه في الأمثلة التالية :

1- المنافقة : قال تعالى : **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ**

شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1] ، المعنى: لما أنهى الله تعالى حقيقته صفات المنافقين في الآيات التي تسبقها،عقبها بضرب المثل، زيادة في الكشف لأن ضرب المثل يجلي المعنى، ويحدث في النفوس من الأثر ما لا يقدر عليه بشر، ففي الآية الكريمة مثل الله تعالى المنافقين حينما أسلموا أولا ودخل الإيمان قلوبهم، ثم داخلهم الشك، فكفروا، إذ لم يدركوا فضائله، بحال جماعة أوقدوا نارا لينتفعوا بها، فلما أضاءت ما حولهم من الأماكن، جاء عارض خفي بددها، فأصبحوا في ظلام دامس لا يتسن لهم الإبصار بحال، ثم جعلهم كالصم، والبكم والعمي فما داموا لم ينتفعوا بهذه الحواس فكأنهم فقدوها[2].

في الآية نجد قوله تعالى : (**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ**)، ولم يقل : " أذهب الله نورهم" لأن الذهاب بالشيء أبلغ حيث إن معنى "أذهبه" أزاله وجعله ذاهبا، و "ذهب به" استصحبه ومضى به معه "فالباء" كان لها في الآية شأن كبير في تصوير ما دخلت عليه من المعنويات إذ تقيم الأسلوب على طريقة التجسيم، وقال: (**ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ**) ولم يقل" بنارهم" ليطابق قوله :(**اسْتَوْقَدَ نَاراً**) ، حيث إن النور أعظم منافعها ، والمناسب للمقام سياقا ولحاقا، ولأن النار فيها إشراق وإحراق ، فذهب بما فيها من الإشراق وهو النور، وأبقى ما فيها من الإحراق وهو النارية .

وقال تعالى: (**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ**) ولم يقل: "وبقوا في الظلمات" ليدل على قطع الصلة بينهم وبين ربهم وقوله تعالى: (**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**) في هذا الوصف مبالغة في ذم المنافقين، وهم في الجهل أسوأ

(1) سورة البقرة : الآية 16-20.
(2) عبد الفتاح لاشين : لغة المنافقين في القرآن – دراسة تحليلية لآيات النفاق من الوجهة اللغوية والبلاغية – دار الرائد العربي : بيروت – ج1 – ص 50..

حالا من البهائم، وأشبه حالا بالجمادات التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تبصر، إذ أنه لم يقل "صم وبكم وعمي" بالعطف، وإنما ذكرها مجردة لأن القصد تقرير كل صفة منها على حدة، فهذا يدخل ضمن التشبيه البليغ لوجود الطرفين(1)، والله تعالى خص هذه الحواس لأن العلم يدخل من ثلاثة أبواب: من السمع والبصر والقلب، وقد سدت هذه الأبواب الثلاثة فسد السمع بالصمم، والبصر بالعمى والقلب بالبكم، لأن البكم نوعان : بكم القلب وبكم اللسان، كما أن النطق نطقان : نطق القلب ونطق اللسان وأشدهما بكم القلب(2)، فكانت هذه الآية الكريمة تتمة للتمثيل للدلالة على أن ما أصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في الظلمات بل اختلست مشاعرهم واتصفوا بتلك الصفات، فبقوا جامدين في مكانهم لا يقدرون على شيء.

يقول ابن القيم:"شبه سبحانه أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا نارا لتضيء لهم وينتفعوا بها فلما أضاءت لهم النار ، فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم وما يضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، طفأت عنهم تلك الأنوار وبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث، فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب مما يسمع بأذنه، ويراه بعينه ويعقله بقلبه، وهؤلاء سدت عليهم أبواب الهدى فلا تسمعوا قلوبهم شيئا ولا تبصره ولا تعقل ما ينفعها(3).

وقوله تعالى : (**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ**

(1) عبد الفتاح لاشين : لغة المنافقين في القرآن ،ص : 54.
(2) عبد الفتاح لاشين : ابن القيم وحسه البلاغي ،ص : 172.
(3) ابن القيم الجوزية : أعلام الموقعين ، ج1 – مدارج السالكين ، ج1 .

بِالْكافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1] ، نجد في هذه الآية صورة مجازية مسهبة يصف حال المنافقين بأشبه من أنقض عليهم الوابل المنهمر فجرفهم ولا يستطيعون الخلاص ، وصكت أصوات الرعد أذانهم ، فألفت في نفوسهم الرعب الشديد ، وبغتتهم البروق الخاطفة ، فهم يذودون عن أعينهم بأيدهم، فخشوا أن تنقض عليهم الصواعق ، فوضعوا أناملهم في آذانهم ، وقد أخذ منهم الخوف والوجل كل مأخذ [2] .

يقول الحكيم الترمذي وقيل : (**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء**) فإن قيل : ما فائدة ذكر الصيب من السماء وهو معلوم أن الصيب لا يكون إلا من السماء ، ففائدته أن ذكر السماء معرفة وأضافه إليها ليدل على أنه من جميع آفاقها لا من أفق واحد إذ كل أفق يسمى سماء [3].

يقول أيضا :وقيل :"أو كصيب من السماء" أي مثل المنافقين في القرآن مع القرآن كقوم نزلوا في فلاة ليلا فجاءهم مطر شديد، وإنما شبه القرآن بالمطر، لأن حياة الناس في المطر، كما أن في القرآن حياة ومنفعة لمن آمن به، فمثل المنافقين بتكذيب القرآن كمثل
مطر نزل من السماء ليلا وفيه برق ورعد شديد[4].

(1) سورة البقرة، الآية 20.
(2) بكري شيخ آمين : التعبير الفني في القرآن ،ص 232.
(3) الرازي : أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها ، من غرائب أي التنزيل ، 1236 سؤال وجواب ، اعتنى به : نجيب ماجدي – دار النموذجية ، المطبعة العصرية ، بيروت ، 1425 هـ -2004 م – ص 13.
(4) الحكيم الترمذي : الأمثال في الكتاب والسنة – ص 17.

فالمثالان الناري والمائي يدلان في الجملة على شأن المنافق أنه يتحلى بظاهر من الدين ليكسب منه غنائمه ويتقي مغارمه، ولكنه يبوء بنهاية تنقلب غنائمه فيها وبالا عليه، فلا تكسبه خيرا ولا تحرز له نفعا [1].

وكما قيل : " وكذلك قوله تعالى :(**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً**) (**أَوْ كَصَيِّبٍ**) يعني المنافقين، أي إن مثلتموهم بالمستوقد، فذلك مثلهم وإن مثلتموهم بالصيب فهو لهم مثل أو مثلتموهم بهما جميعا فهما مثلا لهم [2].

2- الكافرة : قال تعالى: (**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**) [3].

يشبه الله تعالى ما قد يبدو أنه مبرور من أعمال الكفار في عدم فائدته، وانقطاع الجدوى منه إذ كان مؤسسا على باطل من الكفر بالله عز وجل، بمثالين اثنين، أحدهما سراب يراه الناظر بالفلاة، وقد غلبه العطش فيحسبه ماء، حتى إذا أضنى نفسه في المجيء إلى مكانه ضاع منه، ولم يجده شيئا، ويمزج البيان الإلهي في آخر هذا التمثيل بين المشبه والمشبه به، إذ يؤلف بينهما في الربط بنهاية واحدة ، وذلك عندما يقول : ووجد الله عنده فوفاه حسابه، فقد كان الحديث إلى ما قبل هذه الجملة عن ظمآن اغتر بسراب، وفي نهاية المثل اتضح أن الظمآن لم يكن غير هذا الكافر الذي

(1) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن – ص 184.
(2) مصطفى الصاوي الجويني : الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي ـ دار المعارف الإسكندرية ـ دط/دت ـ ص: 69
(3) سورة النور : الآية 39-40.

اغتر بظاهر أعماله الإنسانية وراح ينتظر ثمراتها وآثارها الخيرة، حتى إذا جاء يوم الحساب وحانت ساعة القطاف، راعه أنه لم يجد لأعماله الصالحة أثرا، بل وجد بدلا منها إلهه الذي لم يكن يتوقع أن يراه، ووفاه حسابه على الحقائق التي كان يبطنها في قلبه لا على المظهر الزائف الذي كان يتجلى به بين قومه وأصحابه [1] .

أما المثال الثاني فهو بحر هائل بعيد الغور تكاثفت فوقه ظلمات متراكمة، تألفت من ظلمة البحر ذاته وظلمة أمواجه العاتية وظلمة السحب الداكنة من فوقه، فهي ظلمات ثلاث تراكمت بعضها فوق بعض إلى أن غشيت جو السماء وكاد الرجل أن يضل فيها حتى عن ذاته .

وإنما الظلام في المعنى الممثل له ظلام الكفر بالله عز وجل ، وإنما القصد أن الكفر إذا حاق بالقلب اصطبغت الأعمال كلها بلونه وتأثرت بظلامه،ولم يعد في شيء منها بصيص ضياء، فهي لا تزيد صاحبها إلا ضلالا ولا تكسبه إلا مزيدا من الغواية والخذلان [2] .

ذلك هو المثال عن أعمال الكافرين الذين كانوا يتقلبون في ظلمات الضلال والكفر، فغطت الظلمة عيونهم ، وغشت بصائرهم حتى تاهوا عن الحق المبين، ولم يعد لهم من مخرج واستداموا في ظلام الكفر ومن لم يجعل الله لهم نورا فما لهم من نور [3] .

---

(1) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن ،ص 186.
(2) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن ـ ص: 186
(3) سميح عاطف الزين ، الأمثال في القرآن ،ص 260.

فسبحان الله لهذا الانسجام والتوافق بين المثالين، فالأول يبين حال من يظن نفسه على شيء ويظهر له في النهاية خلاف ما كان، يظن، وهؤلاء حالهم أصعب وأمر .

والثاني يبين حال الذين عرفوا الحق ولكنهم آثروا عليه الباطل، فتاهوا في الظلمات كما أن للمثالين دلالات مفيدة : فعندما يذكر القرآن الماء وحاجة الظمآن إليه، ندرك أهمية الماء، وعندما يذكر البحر نعرف مدى أهميته ، وعندما يذكر السراب نتصور الفراغ الذي يملأ قلب الإنسان وعندما يذكر الظلمات نتصور المآسي التي تحيق به وكلا من الفراغ والمآسي عوامل نفسية [1] تعمل على هدم الإنسان، فسبحان الله في أسلوبه الرائع الذي أتقن وصف حال عباده .

3- المؤمنة : قال تعالى : **(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)**[2] .

هذا النص القرآني فيه أربعة أمثال يضربها الله تعالى، فيها صور متقابلة لأصناف من الناس، يبرز تقابل هذه الصور صنفا يبتغي مرضات الله تعالى، فهذه الصور تكون الإطار العام للنفس البشرية بكل مقوماتها، فتضعنا هذه الآيات أمام أحاسيس النفس وعواطفها الخيرة، صاحبة المثل

(1) ينظر سميح عاطف الزين ، المرجع السابق، ص 261.
(2) سورة البقرة : ألآية 261-266.

هي نفس المؤمن الذي ينفق أمواله حبا في الله وطمعا في رضاه بأخلاق إنسانية، لا يتبعها المن والأذى ويكون جزاءه أن يضاعف الله أجره أضعافا مضاعفة، فتأتي صورة ذلك بتشبيه فني إذ يمثله كبذر حبة في الأرض، فتنبت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء على حسب حال المنفق وإخلاصه وانشراح صدره وثبات قلبه.

وفي المقابل يعرض مثل من ينفق رياءا فهو صاحب قلب صلد، لا يستشعر حلاوة الإيمان، يغطي صلادته غشاء الرياء، مثله كمثل صفوان عليه تراب لا ليونة فيه يغطيه تراب خفيف، يحجب صلادته عن العين، فذهب المطر الغزير بالتراب القليل فانكشف الحجر ولم ينبت زرعه .

وفي مقابله، قلب عامر بالإيمان ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله، وينفقه عن نية ثابتة كمثل جنة خصبة عميقة التربة، تقوم على ربوة فإذا جاء الوابل أحيا الجنة وأخصبها، ونماها كما تحي الصدقة قلب المؤمن، فيزكو ويزداد صلة بالله (1) فهذه هي سريرة المؤمن الصادق إذ أثنى عليه الله تعالى ومدحه بما يستحقه .

ويعد هذا العرض البسيط للنماذج الإنسانية، التي حاولنا أن نبين أنواع الأنفس البشرية من خلال ضرب الأمثال، ولا يسعنا في الأخير إلا أن نعتبر القرآن الكريم كتاب، تعددت أساليبه وطرقه وأدواته ومناهجه في معالجة النفس البشرية، والإلمام بكل ماله علاقة بها بأسلوب مهما قلنا فيه، ومهما انتقينا الألفاظ والمصطلحات فلا يمكننا أن نوف حقه، فهو كتاب ما جاء بباطل، وما جاء عبثا، إنما أنزله الله تعالى على رسوله الكريم من أجل

(1) ينظر عبد المجيد البيانوني : ضرب الأمثال في القرآن ،ص 101.

أن يقوم بدور عظيم، ويرقى بالإنسان إلى أعلى المثل والقيم ، من أجل غاية موحدة وأهداف متعددة تصل بالإنسان إلى بر الأمان، ووصوله إلى بر الأمان مرهون بقدر استجابته لتلك الأهداف المنشودة، التي فيها ما يهذب يؤدب ويربي النفس البشرية، ويبين ما هو خير لها ويبعد عنها ما هو شر لها، ويطلعنا على دسائس الأنفس، وسرائر القلوب، وتصنيف كل نفس بما يناسبها من مميزات .

فالقرآن الكريم خاطب الرجل والمرأة، خاطب المؤمن والمنافق والكافر، خاطب العالم والجاهل، بغية مقصد عظيم .

فما هو مقصد الله تعالى من خطابه للأنفس ؟ وما هي أهدافه التربوية من خطابه أيضا لها ؟ وما هي أنواع الأنفس التي صنفها من خلال خطابه ؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار أن القرآن الكريم كتاب عالج النفس البشرية ؟ وهذا ما سنحاول تبيانه في الفصل الأخير.

تمهيد:

الإنسان كائن معتقد بالطبع، ومعنى ذلك أنه خلق على أن يكون ذا عقيدة تدفعه إلى التماس الحقائق التي تسود حياته وتسيطر عليها، فيضطر معها إلى الاعتقاد بصحة عدد كبير من هذه الحقائق الوجودية التي يغلبها ويرجحها استقراؤه للوجود، لهذا نجد منهج القرآن الكريم حركي يتعامل مع الواقع، فهو نظام جامع محكم، ترتبط فيه أركانه الكبرى بجزئياته الصغيرة، ومنهج متكامل متوازن يهدف إلى إقامة بناء عقائدي جامع تتمثل في القوى الروحية والنفسية للإنسان(1).

وأمام هذه الحقيقة يتبين أن رحابة الموضوعات القرآنية وتنوعها لشيء فريد، إذ يتقصى أبعد الجوانب المظلمة في القلب الإنساني، ويتغلغل في نفس المؤمن والكافر والمنافق بنظرة تلمس أدق الانفعالات في هذه النفس، حيث يبين ثمرته النفسية المتعمقة في الطبيعة البشرية التي تصف النقائص وتنفر منها، والفضائل التي يدعو إلى التأسي بها (2).

ضف إلى ذلك فالقرآن الكريم يعرض الإنسان من كل جوانبه، وفي كل لحظاته، وهو يرى الإنسان خليفة الله في الأرض، كما يعبر عن فرحه وغضبه، شقائه وسعادته، وشهواته ولذاته، وهو يزنه بميزان الحق ، فما سار مع الفطرة يقبله وما خالف يرده، والقرآن يحاول أن يربط بين دوافع الجسد وبين مشاعر الإنسان، ويمزج بين نزوة الجسد وبين الوجدان الديني(3)، فغذاء الجسد معروف، وغذاء العقل لا جدال فيه ، أما غذاء

---

(1) ينظر: عبد الحميد مهدي :أمة القرآن ـ دار الشهاب ـ دط / دت ـ ص: 110

(2) ينظر: مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ـ مشكلات الحضارة ـ ترجمة :عبد الصبور شاهين ـ تقديم :محمد عبد الله دراز ـ محمد محمد شاكر ـ إشراف: ندوة مالك بن نبي ـ دار الفكر دمشق ـ ط4: 1407هـ /1987م ـ ص

(3) ينظر: العرابي لخضر: الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته ـ دار الغرب ـ دط /دت ـ ص :191.

النفس هو القرآن، إذ ينمي أشواقها ويهذبها ويرقي عناصرها، كما أنه يضع معالم كاملة لعالم رفيع نظيف وسليم:"عالم يصدر عن الله و يتجه إلى الله ويليق أن ينسب إلى الله"[1].

المبحث الأول: مقاصد الخطاب في القرآن الكريم

كون القرآن الكريم كلام الله تعالى فإننا نلمس فيه جذبة روحية، تجعل المصغي فانيا في روح قائله وروحيته،وكلما كان قوله ألذ كان تأثيره أنفذ[2]، ولذلك نرى القرآن يتفنن في عرضه، فالنفوس الزكية إذا اتصلت بآي الذكر الحكيم، ولذة دونها كل لذة ذات بهجة للنفوس، الأمر الذي شعر به النجاشي وأحس به المؤمنون وغيرهم من العرب والعجم[3].

والقرآن قد تناول قضية الإنسان من جميع جوانبها، وبين كل ما يعتريه من أحوال، تتعلق بموفقه من الإيمان والكفر، وتتصل بأخلاقه، وتفكيره، وسلوكه، وما يعرض له فيها من صحة أو اعتلال، ومن استقامة أو اعوجاج.

فهو الغاية باعتبار ما في القرآن من مواعظ، وعبر، وأمثال، وقصص، وترغيب وترهيب، ويهدف إلى تزكية نفس الإنسان، وتهذيب روحه، وتحسين أخلاقه، وتعديل سلوكه، وتقويم أعماله، وتسوية معاملاته[4].

---

(1) عبد الله شحاتة : مع القرآن الكريم ـ مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي: 1983م ـ ص : 14.
(2) هبة الدين الشهرستاني: المعجزة الخالدة ـ مطبوعات مكتبة الجوادين العامة ـ الكاظمية ـ ط2 ـ ص:88
(3) المرجع نفسه ـ ص:91
(4) ينظر محمد التومي : المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ـ الدار التونسية للنشر تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر -1407هـ/1986م ـ ص:150.

وهناك من شكك في هذه الحقيقة، حقيقة البعث، وحقيقة النبوة، والدعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وإقامة الأدلة على ذلك وتصوير الجنة والنار، وتصوير كيان الإنسان، فكانت الدعوة بالإقناع والتصوير(1).

وللبرهنة على ذلك، نجد القرآن عرض النموذج الإنساني الذي يطمح للكمال ، نموذج سيدنا إبراهيم (2) عليه السلام الذي يبحث عن الحقيقة، حقيقة واجده ، قال تعالى : **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**(3)، وهذا النموذج من الإيمان ينظم علاقة الإنسان مع نفسه ومع مجتمعه ومع خالقه، والقرآن الكريم عرض نماذج مختلفة للنفس كان مطلعها في سورة البقرة، ذكر المؤمنين، فمن هم المؤمنون وما هي حقيقة الإيمان وما هي صفاتهم .

---

(1) محمد أمين فرخوش: المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية ـ دار الفكر العربي بيروت ـ دط/دت ـ ص:37

(2) ينظر أحمد محمد فارس: النماذج الإنسانية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، بيروت، ط2 : 1409هـ-1989م، ص: 57.

(3) سورة البقرة : الآية 74-79.

المطلب الأول : مقاصد خطاب المؤمنين

يحاول القرآن دائما أن يجعل الإيمان واضحا أمام المؤمن مما يؤدي إلى التميز بكثير من الصفات، والمؤمن لن يتميز بهذه الصفات إلا إذا عرف حقيقة الإيمان كما يفهمه القرآن، فالإيمان ليس رأيا شخصيا، أو حكما في قضية، أو اعتناقا لفلسفة، أو اصطباغا نفسيا بلون من ألوان الفن، فهو تعامل جاد بين طرفين أحدهما الحي القيوم، والآخر عبد تشده علاقة بالله تعالى الذي أخفى أغواره وأبرز أحواله من العدم، ورباه من الضياع، فالإيمان الصحيح يولد معه المرء ولادة جديدة ويحيا به حياة رشيدة، ويتحول قوة دافعة إلى فعل الخير ونصرة الحق ويعيد تشكيل كيان الإنسان[1]، إذ أن القرآن جاء بالوسطية، على خلاف من آثروا الروحانية و نشدوا لرقي أرواحهم طرقا ومناهج، وأهملوا بها الجسد، فأرهقوا النفس ورغباتها وتركوا الجسد كأنه جثة هامدة[2]، وبين من آثروا المادة وضربوا بسهمهم في الشؤون الدنيوية ويئسوا في أول خطوتهم من مسايرة الروحانية، ومجاراتها إياهم في هذا المضمار، فانغمسوا في عبودية المادة، والانسلاخ من الروحانية، وفقدوا معنى الإيمان، قال عباس محمود العقاد:"...لا يجهلون ولا يستطعون أن يجهلوا أن الإيمان ضرورة كونية، لا تخلقها مشيئة أحد من الآحاد..."[3]، وإننا لنجد من يبطل الأديان باسم

(1) ينظر محمد الغزالي : هذا ديننا ـ دار القلم دمشق ـ ط1:1420هـ/1999م ـ ص ص :75.77
(2) أبو الأعلى المودودي : نظام الحياة في الإسلام ـ دار الشهاب عمان ـ دط /دت ـ ص: 67
(3) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ـ دار الهلال ـ دط/دث ـ ص: 8

الفلسفة المادية[1]، ثم يستعير كل لازمة من لوازمه إذ مردها التصديق والشعور التي تبث في أعماق النفس[2] .

ولهذا نجد القرآن الكريم يعمل بحرص على تبيان أسس الإيمان ، فجاء في قوله تعالى : **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**[3] وقولته تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**[4] حيث نلمس في الآية ملامح الإيمان الحقيقي المتوجه إلى مجتمع جديد، هو المجتمع المدني [5]، لتبرز له حقيقة الإيمان المتركزة فيما يلي :

1. **الإيمان بالله** :ويركز القرآن دائما على الإيمان مقترنا بالله تعالى :**(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ)**[6] وقوله تعالى:**(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)**[7] ، وغيرها من الآيات، ومنه فإن أساس الإيمان في الإسلام وفي كل الديانات التوحيد لله تعالى والاعتراف به .

---

(1) الفلسفة المادية: هي الإعتقاد أن منشأ الكون من المادة ، وهي دورات مسلسلة تنحل كل دورة منها في نهايتها لتعود إلى التركيب في دورة جديدة وهكذا دواليك
(2) المرجع نفسه ـ ص: 9
(3) سورة البقرة : الآية 2-3.
(4) سورة البقرة : الآية 62.
(5) عبد الكريم غلاب:صراع المذهب والعقيدة في القرآن، مطبعة : النجاح الجديدة المغرب، ط 4 : 1425 هـ، 2004 م،ص 65.
(6) سورة النساء 175.
(7) سورة الحجرات : الآية 15.

2- الرسل والكتب السماوية : الإيمان لا يقتصر على توحيد الله تعالى، وإنما يقتضي الإيمان بكل ما وجه الإنسان إلى الإيمان به، الرسل والكتب المنزلة على أنبياءه وما تحويه من تعاليم تتعلق بالإنسانية ،وإن هذه الميزة التي اختص بها القرآن، جعلت التوفيق بينه وبين غيره من الأديان سهلا ممكنا، فالقرآن بنصوصه هذه وضع أساسا للتعارف، والإخاء، والوحدة بين شعوب الأرض لأن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين اتفقوا[(1)].

والإيمان بالرسل والأنبياء يدخل في حلقة ما هو مطالب به الإنسان[(2)]، **قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون)**[(3)] وقال تعالى :**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ)**[(4)]، قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ)** [(5)].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد الإيمان بالكتب السماوية من خصائصه، فالعلاقة بين الله والبشر ليست أمرا مجردا وإنما هي صلة بينه تعالى وبين العباد ممثلة في الكتب.

---

(1) عفيف عبد الفتاح طباره :روح الدين الإسلامي ـ عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة ـ دار العلم للملايين ـ ط21 :1981 ـ ص:149
(2) ينظر عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة ـ ص 67.
(3) سورة الصف : الآية 10-11.
(4) سورة النساء : الآية 136.
(5) سورة الحديد : الآية: 28

3_ الإيمان بالغيبيات: ونقصد به اليوم الآخر وكل ما يتصل بالغيب، فهي مظهر كبير للإيمان، ويتورط ناس فيزعمون أن التصديق بالسمعيات الغيبية، تعطيل للعقل وإبطال للعلم [1]، ذلك أن الإنسان من السهل أن يؤمن بالمحسوس ، لأن من أبسط وسائل المعرفة هي رؤية العين،أما الغيب فمن الصعب أن يؤمن بها إلا إذا كان مؤمنا حقا، لذلك يؤكد القرآن الكريم في كثير من آيـاته على ذلك[2] قال تعالى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**)[3]،

وقال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) [4] و قال تعالى: (**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**) [5] .

وبالتالي فإن القرآن الكريم لا يقبل إيمان ببعض ما أنزل على الرسول والكفر ببعض، قال الله تعالى:(**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**)[6]، ويستمر القرآن في تصوير النفسية المترددة بين الكفر والإيمان فيقول : (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**)[7]، وإلى جانب هذا فالإيمان ليس عملا غيبيا لا

(1) عائشة بنت الشاطئ :الشخصية الإسلامية ـ دراسة قرآنية ـ دار العلم للملايين بيروت ـ ط4 :1986 - ص:152
(2) عبد الكريم غلاب:صراع المذاهب والعقيدة في القرآن _ص:71
(3) سورة البقرة : الآية :08
(4) سورة البقرة : الآية :264
(5) سورة المجادلة : الآية :22
(6) سورة البقرة : الآية 84.
(7) سورة البقرة : الآية : 85-91

يظهر في الواقع، بل هو ممارسة حياتية مقرونة بالعمل الصالح، يجمله في السلوك الطيب الصالح، ولذلك نجد القرآن الكريم قرن الإيمان بالعمل الصالح، قال تعالى: (**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**)(1)، قال تعالى : (**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**)(2)، قال تعالى :(**فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ**)(3).

كما أن للعمل الصالح صور به يكمل الإيمان :فهناك العمل الصالح المقترن بالاطمئنان إلى الله تعالى، وهناك العمل الصالح الذي يأتي بعد توبة أو بعد ارتكاب السيئات(4).

وفضلا عن هذا فإن التقديم والتأخير بين الإيمان والعمل الصالح في الآيات المختلفة يهدف إلى تصوير النماذج الإنسانية المختلفة الذي يأتي العمل الصالح تكميلا لإيمانها، أو يأتي تكميلا لعملها الصالح، فأغلب الآيات تقدم الإيمان على العمل الصالح، إلا بعضها وتقدم التوبة على الإيمان قال الله تعالى:(**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**)(5)، وبعضها يقدم العمل الصالح قال تعالى:(**فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ**)(6)، فالهدف

(1) سورة الأنعام :الآية :82
(2) سورة النحل : الآية :97
(3) سورة الأنبياء: الآية :94
(4) عبد الكريم غلاب : صراع المذاهب والعقيدة– ص :78
(5) سورة مريم : الآية 59-60.
(6) سورة الأنبياء : الآية: 94

من الإيمان تقديم التأكيد على أن الإيمان القلبي وحده لا يكفي فلا بد من اكتمال الصورة بالعمل الصالح، والهدف من تقديم العمل الصالح التأكيد على أن السلوك المستقيم وحده لا يكفي، بل لابد من الإيمان[1]، لتعطينا الصورة الكاملة عن صفات المؤمن فما هي صفاته؟

صفات المؤمنين

المؤمن في القرآن الكريم نموذج واضح الملامح، دقيق السمات، مميز الصفات، يمثل موقف منسجم مع نفسه ومع ربه ومع مجتمعه.

فيعطيه القرآن الصورة المفصلة الظاهرة التي تعتمد على الممارسة للحياة التي تليق بمؤمن، فيها ما يتصل بالله كحب الله والإيمان به، وهذه الصلة لا تنقطع وتنمي في نفس المؤمن مشاعر عليا تسمو به، وتذيقه ألوانا من الراحة والاطمئنان، والثقة واليقين[2]، إذ به تسكب في النفس السكينة والطمأنينة والهدوء، فلا تنال من الشخص المصائب ولا النكبات، كما ينتج عنه الاعتقاد الجازم بأن شرع الله واجب التطبيق وأنه صالح لكل زمان ومكان [3] .

وفيها ما يتصل بالعمل فيكون الرابط مع الله كالصلاة فهي الوسيلة المنظمة للاتصال، كما تعتبر صفة من صفات الإيمان، وهي عنصر في شخصية المسلم تؤدي إلى طهارة النفس.

كما يوجد رابط آخر، وهو الصيام الذي شرع من أجل إيصال النفس إلى التقوى، والسمو بالارتفاع عن ضرورات الحياة البشرية، والسيطرة

(1) ينظر عبد الكريم غلاب: صراع المذاهب والعقيدة في القرآن الكريم – ص:79
(2) مصطفى عبد الواحد: شخصية المسلم كما يتصورها القرآن ـ دار إحياء الكتب العربية ـ دط/دت ـ ص:97
(3) أعراب بلقاسم : الحياة في رحاب الإيمان ـ دط /دت ـ ص:87

على النوازع والرغبات، والغرض من الصيام تقوية النفس، فلا تتهافت على الشهوات، ولا تتهالك على رغبات البدن[1]، والقرآن يريد من الإنسان أن يكون قويا في بدنه، وفي فكره، وفي إيمانه، وفي أخلاقه، وفي سلوكه، وفي عمله[2]، ويعتبر الصيام مدرسة جامعة لتربية الفرد على كثير من القيم، ويعمل على غرس قيمة الصبر وقوة التحمل فيشعره ذلك بالانتماء، والشعور بالانتماء من الحاجات النفسية الأساسية التي يحتاج الإنسان إلى إشباعها ، كما يشعر صاحبه أنه صافي السريرة و نقي النفس[3].

وفيها ما يتصل بالعلاقة مع الإنسان كالزكاة والعمل الصالح، لأن الإنفاق طهرة للمنفق وتنظيف لمشاعره من الشح والبخل، وبها يتم ضبط النفس وملك زمامها مما يجعلها قادرة على الفعل، وما من خصلة حث عليها القرآن، إلا كان تقدير جمالها بمقدار نصيبها من الوازع النفساني، أو بمقدار ما يطلبه الإنسان من نفسه ولا يضطره أحد إلى طلبه، والحق الذي تعطيه ولا يضطرك أحد إليه هو أجمل الحقوق، وأكرمها على الله.

وغني عن التفصيل أن الفضائل التي يحض عليها القرآن هي الفضائل التي ترتفع إلى المصدر، وتجري في نسقه ويختار لها أحسن الخيرة، ويأبى لها أن تهبط بها مكانا دون المكان الجميل الكامل من الخصال[4].

وفيها أيضا ما يتصل بالكرامة الإنسانية للمؤمن فتبدو شخصيته سوية متوازنة نقية تقية، ظاهره كباطنه لا يحمل غلا ولا حسدا ولا حقدا، وليست من سماته القلق أو التردد؛ إن في هذه الصفات لرد على بعض

---

(1) المرجع السابق ـ ص: 81
(2) ينظر محمد الصديق : البيان في علوم القرآن ـ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ـ دط/دت ـ ص:ة252
(3) ينظر عبد الرحمن العيسوي : الإسلام والعلاج النفسي الحديث ـ دار النهضة العربية بيروت ـ ص: 227
(4) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ـ ص:27

النظريات من أصحاب التحليل النفسي التي تشجع على الابتعاد عن تلك المقومات والأجيال على ملذات الحياة[1]، فأي الشخصيات هي السوية؟

وكذلك من قبيل هذا المعنى نجد كثيرا من الآيات كل منها تعطي جانبا من صفات المؤمن، فمثلا نجد سورة كاملة سميت "المؤمنون" قال تعالى : **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**[2] ، وصورة أخرى يفرق فيها القرآن الكريم بين أنواع الإيمان وفي هذه الصورة الأخيرة جانب عاطفي يتصل بقلب الإنسان ومبلغ انعطافه مع الإيمان حتى أن أعين المؤمنين تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال تعالى : **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)**[3].

كما أن هناك أسلوب آخر لتحديد صفات المؤمن عن طريق الصورة المعاكسة، بإعطاء الضد، إذ يصور القرآن غير المؤمنين بالله والآخرة، ومنها تتوضح صورة المؤمن قال الله تعالى : **(فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)**[4].

وصورة أخرى للمؤمن، وهي التفكر والتدبر في ملكوت الله، في الأرض والسماء، والنهار والليل، والنجوم والبحر والرياح، وفي قدرة الله

(1) حسن الشرقاوي : في الطب النفسي النبوي ـ دار المطبوعات الجديدة ـ دط/دت ـ ص :38
(2) سورة المؤمنون : الآية : 1-11
(3) سورة الأنفال : الآية : 2-4
(4) سورة النحل : الآية : 22

على الخلق، على قدرة التحكم في تقلبات الطبيعة، فالتفكر أن تلمس البصيرة لاستدراك البغية، وهو ثلاثة أنواع :فكرة في عين التوحيد، وفكرة في لطائف الصنعة، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال[1] فنهاك آيات سيقت ذلك بطرق مختلفة[2]، قال الله تعالى: **(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**[3]، وقال تعالى : **(أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**[4]، قال تعالى: **(أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**[5].

وللقرآن الكريم صورة أخرى رائعة للمؤمن تمزج سلوكه الذاتي وخلقه الواضح بنفسيته المطمئنة فتقدم نموذجا رائعا للإنسان في إنسيته وخلقه، وطبعه وسلوكه، قال الله تعالى: **(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا وَمَن تَابَ**

---

(1) عبد الله الأنصاري الهروى :كتاب منازل السائرين ـ دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ1988م، ص: 18
(2) عبد الكريم غلاب: صراع المذاهب والعقيدة في القرآن ــص:81-84
(3) سورة النحل : الآية : 79
(4) سورة النمل : الآية : 86
(5) سورة الزمر : الآية : 52.

وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) [1].

فالإيمان في النفس الإنسانية لا يعني التجرد عن نوازع هذه النفس، يؤمن المؤمن ويبقى مع ذلك إنسانا تختلف عليه نوازع الإنسان وتطوراته النفسية بحسب وضعيته، وتتجلى الطبيعة البشرية أكثر عند البأساء و الضراء، إنه امتحان للنفس المؤمنة، فلا ينقص من مقدار إيمانه، فالإيمان يعني الثبات بعد الفزع والاطمئنان بعد الخوف، والفرح بعد الحزن وغيرها من الانفعالات المتعلقة به [2]، والعبد إذا أذنب ذنبا فإن الله يقبل من التائب توبته، لأن الغاية من التوبة استصلاح الفاسد فلا مزيد من الفساد، والحد من الذنب وعدم تكراره[3]، ولوم الإنسان نفسه وندمه على ما فعل من العوامل الهامة في تقويم شخصيته، وهذا ما يسميه المحللون النفسيون "بالأنا الأعلى" أو الضمير[4]، وبذلك تكون شروط التوبة ثلاثة أشياء:الندم، والاعتذار، والإقلاع[5]، وهذا يساعده على عدم التعرض للأمراض النفسية، التي يكون منشأها القلق وعدم الشعور بالرضا عما بدر منه، فيؤدي به إلى الكبت اللاشعوري، وإن كثيرا من جهود النفسانيين تتجه في

(1) سورة الفرقان :الآية : 63-76
(2) عبد الكريم غلاب: صراع المذاهب والعقيدة في القرآن – ص :97
(3) ينظر محمد جواد مغنية:الإسلام والعقل - دار مكتبة الهلال لبنان - دار الجواد لبنان - دط/دت - ص:177
(4) محمد عثمان نجاتي :القرآن وعلم النفس - ص: 103
(5) عبد الله الأنصاري الهروي : كتاب منازل السائرين - ص:13

مثل هذه الحالات إلى البحث عن هذه الخبرات المؤلمة القديمة المكبوتة في اللاشعور، ويحاولون دفع صاحبها إلى تذكرها ومواجهتها من جديد، وإصدار نوع من الحكم العقلي فيها من إنكارها والتهرب من مواجهتها عن طريق الكبت، ولهذا كان تذكر المؤمن لذنوبه واعترافه بها واستغفاره وتوبته، يعمل على وقايته من الأمراض النفسية[1] .

وهكذا نجد القرآن الكريم يحلل نفسية المؤمنين تحليلا كاشفا عند الرضا والغضب، عند الشدة والانفراج، عند الخوف والأمن، فكان للإيمان أثر في تكوين هذه النفسيات وسلوكها.

وما يمكن قوله أن الإيمان من أنجح وسائل العلاج النفسي، لأن إنسان هذا العصر إنسان مادي[2] يكدسه الخوف والقلق والمظاهر المماثلة، فعليه بإتباع السبيل وهو طريق الاستقامة التي ترقيه إلى الغنى، وهو الغنى بالحق تبارك وتعالى عن ما سواه، وهذا ناتج بدفع المؤمن الشهوات عنه، ويكون ذلك حسب قيام المرء بالأمر الذي يدفع جيوش الشهوة عنه[3]، وهذا هو مقصد الله تعالى من خطابه للمؤمنين.

المطلب الثاني : خطاب الكافرين

لقد اهتم القرآن الكريم بالكافرين اهتماما عظيما، بحيث شغلوا حيزا كبيرا من آيات الدعوة والصراع بين أنصارها وخصومها، لأنهم كانوا حقيقة واقعية في زمن الدعوات الإلهية، لم يكفهم أن يقفوا بعيدين عنها أو

(1) ينظر ناهد الخراشي: أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي ـ ص:146
(2) ينظر محمد عبد الرحيم عدس : من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم ـ دار الآفاق ـ ص:71
(3) ينظر ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين وباب السعادتين، إشراف : عبد المنعم العافي ـ دار مكتبة الحياة بيروت :1980- ص:63

مسالمين ، ولكنهم كانوا من التنوع بحيث وقف بعضهم منكرا لها مسالما، ووقف آخرون معاندين جاحدين، ونوع ثالث منهم معتدين، وبعضهم الآخر دساسين يؤذون الأنبياء غدرا وحيلة [1].

ومن كل هذه الاتجاهات كانوا مجتمعا له خطورته في كل دعوة إلهية قام بها رسول أو نبي من الأنبياء فمن هم الكافرون ؟ وما هي صفاتهم ؟

مفهوم الكفر

الكفر نقيض الإيمان ، والكفر كفر النعمة ، وهو نقيض الشكر.

يقول ابن قيم عن أركان الكفر:" أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة، فالكبر يمنعه الانقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة "[2] ، ويضيف :" وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمن بلي بها"، وإن منشأ هذه الأربعة من جهل الإنسان بربه ونفسه.

ونموذج الكافر في القرآن كثير الورود ، كثير التكرار، فهو في مجال العقيدة يأبى أن يكفر أو يتدبر، وقد يكون رفض التفكير موقفا، قال تعالى: **(خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ)**[3]، وقال تعالى: **(وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ)**[4] وقال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)**[5].

(1) ينظر عبد الكريم غلاب: صراع المذاهب والعقيدة في القرآن – ص :309
(2) ابن قيم الجوزية : الفوائد ـ حققه : طاهر الغريب ـ دار الكتاب الحديث : 1425هـ /2004م ـ ص: 152
(3) سورة البقرة : الآية : 7
(4) سورة يس : الآية : 46
(5) سورة البقرة : الآية : 6

وهو لا يكفي بأخذ موقفا سلبيا مطلقا من دعوة قد تغير من وضعه الذهني أو النفسي، بل يحاول ألا يدع الآخرين يفكرون قال تعالى : (**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ**)[1].

ثم لا يكتفي بالضغط الفكري على أولئك الذين يريد التأثير عليهم لمنعهم من الاستماع إلى ما يقال لهم، بل ينفق ماله أيضا من أجل إتباعه.

والكافر نموذج يتلبس في صراعه مع الحق رجال المبادئ الذين يريدون حماية المجتمع في الفكر والسلوك من عوامل العبث والهدم، ولكن سلوكه هو في المجال الاجتماعي لا يجعل لكلامه قيمة، ولا لموقفه معنى، إلا المعنى الحقيقي المادي الذي لا يتصل بالمبادئ المدعاة لا من قريب ولا من بعيد[2] .

والكفر لم يكن متعلق بالإسلام فحسب، بل الإسلام وهو الدين عند الله، تعرض للكفر منذ كانت الديانات، والكافرون في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم إنما هم نموذج من الكافرين في عصر الأنبياء السابقين.

كما أنه لم يقتصر على الإنكار بل تعداه إلى ادعاء الألوهية وهذا ما يسمى الشرك، فالشرك ربما كان أصل الكفر، ولعل طبيعة الشرك تزيد عن طبيعة الكفر من جهة، وتقل عنها من جهة أخرى، تزيد عن الكفر لأن المشرك لا يكتفي بالكفر بالله رغم الحجج والدلائل التي تقوم لديه على وجود الله، بل يشرك بالله غيره، أو يعبد غير الله ،وفي ذهنه فكرة مشوهة مهزوزة عن الله، انفتحت أمامه إذن طريق الهداية ولكنه مع ذلك اختار الضلال حينما اختار أن يشرك مع الله غيره ، فهو إذن كافر وزيادة، وتقل

(1) سورة الأعراف : الآية : 45
(2) ينظر أحمد محمد فارس : النماذج الإنسانية في القرآن الكريم - ص : 69 - 71

عن الكفر لأن في ضميره بعض الإيمان بالله، ولكن الهداية لم تكتمل ما دام يشرك مع الله غيره، وعليه فالشرك هو التشبه بالخالق، والتشبيه للمخلوق به، فجعل التوحيد تشبيها، والتشبيه تعظيما وطاعة، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلوهية،[1] وقد يكون الشرك من نوع آخر غرضه التظاهر أو تحصيل الألقاب وهذا ما يسمى بالرياء، وهو دراجات:

1-أن يرائي بأصل لإيمان كالمنافق يظهر عكس ما يبطن[2].

2-أن يرائي بأصل العبادات [3] .

وعليه فكان من آثار الشرك على نفسية المشرك:

1-**إطفاء نور الفطرة**:لأن الإنسان يستمد من حقيقة التوحيد إشراقته، ونوره وسداد أمره، فإذا أشرك بالله أصبحت أعماله كسراب بقيعة، وتصبح حاله وأعماله معتمة مظلمة.

2-**القضاء على منازع النفس السامية**:فالنفس المتطلعة لإرضاء الله تعالى لا تستغرقها الشهوات، ولا تنصرف إلى متاع الأرض، وتتطلع إلى المثل العليا، ولكن حين تهتز حقيقة التوحيد تصبح حياتها محكومة بقانون الغاب.

3- **القضاء على عزة النفس ووقوع صاحبه في العبودية الذليلة**: إذ يصبح عاجزا ولو كانت بيده مظاهر القوة،ضعف وإن كان جبار احتاج.

4- **تمزيق وحدة النفس البشرية**: الشرك يشتت تلك الوحدة التي فطر الله النفس عليها[4].

---

(1) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الداء الشافي ـ أو الداء والدواء ـ علق عليه: عمرو عبد المنعم سليم ـ مكتبة عباد الرحمن :1426هـ /2005م ـ ص:183

(2) سيتم التطرق له في العنصر الموالي

(3) محمد الصالح الصديق : مقاصد القرآن ـ دار البعث الجزائر ـ ط2 :1403هـ/1982م ـ ص:229

(4) محمد قطب : ركائز الإيمان ـ دار اشبيليا ـ ط1: 1417هـ /1997م ـ ص:143

والمجتمع المكي كان مجتمعا مشركا مليئا بالأصنام والأوثان التي عبدها عرب مكة، بل إنهم أشركوا الله الجن والملائكة والشياطين أحيانا، لأن فكرة الألوهية الحق لم تتضح في أذهانهم، وربما كان مجتمعا معاندا، ولم يتعرف بصورة واضحة عن الأديان السماوية من قبل، فقد كان الشرك سبيله إلى إرضاء الغريزة الطبيعية في الإنسان، وهي الالتجاء إلى قوة غيبية عليا[1] .

فالكفر موقف سلبي من عقيدة وحدة إله، إذ هو غطاء للعقل والستر عن الإدراك الحقيقي لمعنى الإلوهية.

حيث أصبح الكفر يعني أكثر من حالة عقيدية وأكثر من حالة نفسية، بل يعني وضعية مجتمع جاحد لله و الأنبياء ودعوتهم وكتبهم وتعاليمهم، وهذا ما جعل القرآن الكريم يهتم بهذه الوضعية الاهتمام الكامل من جهة، ومتابعته التطور النفسي وحياة الكافرين في الدنيا والآخرة [2] من جهة أخرى ، وهذا ما سنراه في الصفات .

صفات الكافرين

القرآن الكريم حينما يحلل نفسية الكافرين، ويصف نماذجا من كفرهم، وحينما يجادل الكافرين في الآيات ويدلي بالحجج الكافية على بطلان دعواهم، وحينما يفصل الحديث عن كل نموذج من عقليته إلى عمله وتاريخه، أو يعقد مقارنة بين الكافر والمؤمن، أو بين الكافر والمنافق أو يتحدث عن مصير الكافرين في الدنيا وجزائهم في الآخرة، أو يعزلهم عن

(1) عبد الكريم غلاب: صراع المذاهب والعقيدة في القرآن – ص :337
(2) المرجع نفسه – ص : 355.

المجتمع ، لا يفعل ذلك لمجرد أنهم يكونون مجتمعا كافرا، بل يفعل ذلك ليؤكد دعوة الإيمان عن طريق معارضة الدعوة المخالفة، ويكشف الشبهات التي يأتي بها الكافرون أحيانا للدفاع عن رأيهم، فالقرآن وهو يحلل هذا النموذج يعطينا روحه وعمقه[1] .

و القرآن في خطابه يمس الفطرة من أجل إيقاظها لتدرك حقيقة الوجود، ومن أجل معرفة الله تعالى، ولكن من يضل عن هذا السبيل يكون أحد الأربعة:

1-شخص عقله مغلق 2- شخص خدعته الحياة الدنيا وغره علمه القليل فظن أنه بلغ الأسباب 3-شخص ضعيف يقوده هواه أو يسيره من هو أقوى منه 4- شخص يضل إذا ما أصابه الخير فينسى الخالق[2]، فهذه هي صفات الإنسان الذي ينكر وجود إله يحكم هذا الوجود واللاوجود .

والكافر ينكر قال تعالى : (**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً**)[3].

ويزعم أن ما جاء سحر وأساطير، قال تعالى : (**حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**)[4] ويطالب في عناده المطلق بأن تنزل معجزة، قال تعالى: (**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**)[5]، وقد صور القرآن هذا الكفران في كثير من الآيات التي تعطينا حقيقته.

(1) عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة في القرآن ،ص 310.
(2) ينظر محمد جمال الدين الفندي : القرآن والعلم ـ دار المعرفة القاهرة ـ ط1: 1968 ـ ص ص :15/14
(3) سورة الرعد : الآية 43.
(4) سورة الأنعام : الآية 25.
(5) سورة الرعد : الآية 7.

فمنهم من يكفر بالساعة وينكرها إنكارا صريحا لا جدال فيه، قال تعالى : (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ**)[1]، ومنهم أكثر تفكيرا أو منطقا، ولكن عقله لا يتعد الرؤية البسيطة العادية التي لا تستند إلا إلى التجربة الشخصية ، قال تعالى :(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[2] ونموذج الذين كفروا يعبر عن استغراب شديد من بعث يأتي بعد اندثار ، قال تعالى :

(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أم بِهِ جِنَّةٌ**)[3] .

والقرآن الكريم لا يعزل الكافرين عن المجتمع الإسلامي كمجتمع متعايش فحسب، ولكنه يعزلهم عن أنفسهم فيزرع اليأس في قلوبهم من أن يصبحوا عضوا في مجتمع مؤمن مستقيم غير منحرف ، إنه يقرر حقيقة إلهية ، ولكنها حقيقة نفسية [4]، قال تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**)[5]، ويؤكد تلك الحقيقة التي تتجلى في الإنسان الذي لا يعي، يختفي منه العقل الواعي، ولذلك لا يهتدي وإنما يتصرف تصرف الذي يسير عمله الانحراف الفكري والعاطفي ولا يهتدي بالعقل، وإنما يضل بالعاطفة، وبالتالي لا يؤمن سواء أنذر أو لم ينذر، غشاوة تجلت على قلبه وسمعه وبصره فلن يهتد أبدا، **قال تعالى :** (

---

(1) سورة سبأ : الآية 3.
(2) سورة النمل : الآية 67-68.
(3) سورة سبأ : الآية 7-8.
(4) محمد جمال الدين الفندي، القرآن والعلم، ص 320.
(5) سورة البقرة : الآية 6-70.

مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ)[1].

ويصور القرآن الكافر بالنموذج الذي تعوزه القناعة الفكرية وقناعة الضمير ، فالإيمان والكفر عنده عملية تلاعب، قال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً)**[2] ، ونموذج آخر تنقصه الصلابة، ولكنه عند الشدة لا يذكر غير الله حتى إذا كشف عنه الضر أعرض قال تعالى : **(وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا)**[3] ، ويبين نظرتهم السطحية التافهة إلى مصدر الخطر والاستهزاء بها قال تعالى : **(وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)**[4] .

كما يظهر التناقض النفسي الذي يزداد بانعدام الاطمئنان وقلة القناعة، جزء من الطبيعة البشرية التي تتلبس باللحظة وتكاد تؤمن الواقع وهي ضيق في الأفق وبعد النظر .

---

(1) سورة إبراهيم : الآية 18.
(2) سورة النساء : ألآية 137.
(3) سورة الإسراء 67-69.
(4) سورة لقمان : الآية 32..

قال تعالى: **(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ)** [1] .

فنرى أن القرآن يتبع هذه النماذج الغربية والطبيعية التي تقف من قصة الإيمان مواقف مختلفة ولكنها تتجدد في أنها تؤمن عندما ترى في الإيمان منفعة أو مصلحة، وتكفر عندما تختفي هذه المصلحة وكان ذلك ناشئا عن ضيق أفق في التفكير والانغلاق في الوعي، وضحالة في الضمير وبساطة في تقدير الواقع المعاش [2] .

تشير الآيات إلى ظلم الإنسان لنفسه، في إنكاره وجحده، فهي جزء من طبيعته البشرية فيركب نفسه ونوازعه وانجرافه وينكب عن العقل ويميل إلى الكفر، قال تعالى : **(أوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ)**[3] .

ولعل هذا الطغيان الإنساني في الانسياق وراء الجحود والتمسك بالأفكار المسبقة الخاطئة هي التي جعلت حكما قرآنيا نزل ليضع الكافرين في نطاق اليأس من الهداية، ويضرب على قلوبهم وضمائرهم وسمعهم وأبصارهم غشاوة من أن يتفتحوا نحو الهداية، قال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ)**[4] .

(1) سورة هود : الآية 9-10.
(2) عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة نص : 324..
(3) سورة الروم : الآية 8.
(4) سورة البقرة : الآية 6-7.

والكفر إلى جانب الإنكار فسق عن أمر الله تعالى، قال تعالى : **(وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**[1].

وفي خضم هذه الدراسة تتضح لنا مجموعة من الأمراض النفسية التي يتصف بها الكافرون، وهذه الأمراض تعتبر سموما في المجتمع منها:

1-**مرض الغش**:من مظاهره أن يسيء المرء العبادة ويغش عامة المسلمين.

2-**مرض المكر والخداع**: إظهار خلاف ما يخفيه الخادع الماكر، وإلحاق المكروه بمن يريد خداعه.

3-**مرض خلف الوعد**:وهو من صفات السيئة، إذ ينتج عنه: العداوة والبغضاء وانتزاع الثقة بين المسلمين.

4- **مرض الحسد**: تمني زوال النعمة عن المرء لتحصل له هو، أو تمني زوالها عنه، ولو لم تحصل له، وهو شر أنواع الحسد وأقبحها[2]، قال أحدهم: **"**أصل المعصية ثلاثة أشياء :الكبر والحرص والحسد**"**[3].

5- **مرض العداوة والبغضاء:**العداوة : أشد العداء وأقواه، والبغض: ضد الحب والولاء[4]، وهذا ما يؤدي إلى التعسف، والتعسف يؤدي إلى الطغيان، فالطغيان صفة ذميمة منحرفة لدى النفوس الضعيفة التي تتمسكن وتتذلل فإذا جاءتها قوة استبدت وظلمت، وإذا جاءها الغنى أفسدت [5].

---

(1) سورة النور : الآية 55.
(2) ينظر أبو بكر جابر الجزائري : رسائل الجزائري - الرسالة الخامسة - ست وعشرون رسالة - مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة - ص: 277
(3) أحمد سحنون : دراسات وتوجيهات إسلامية - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - ط2 - ص: 350
(4) ينظر أبو بكر جابر الجزائري : رسائل الجزائري - ص:278
(5) عبد الحميد محمد الهاشمي:لمحات نفسية في القرآن الكريم - مكتبة الرحاب الجزائر - ص:95.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أقول إن صانع الترياق هو الله تعالى، وهذا الترياق هو الكتاب العزيز .

فالقرآن الكريم رسم للناس قواعد العمل الصالح الذي ينبغي أن يسيروا عليه، وهو زاخر بهذه القواعد التي قد تكون شخصية واجتماعية، فقد قيل: "وعلى المرء أن يقتصد في أموره فضيلة الوسط التي تتلائم مع طبيعة الحياة "[1].

المطلب الثالث : خطاب المنافقين

النفاق مظهر لخلق بشري لا يظهر عند قيام دعوة دينية أو مذهبية أو سياسية فحسب، بل يظهر حتى في الأوضاع العادية التي لا يصطدم فيها الإنسان بشيء جديد، يخالفه ما ألف من عقيدة أو مذهب أو دين ،يظهر في الوضع الذي يخالف فيه الشخص من صراع قوتين، يكون هو وسطها، فتجذبه هذه وتلك دون أن يملك الشجاعة الكافية للاختيار والانتماء، ويظهر في الوضع الذي لا يخاف فيه من صراع القوى، وإنما هي طبيعة التختل واللاوضوح تطفو على سطح النفس الإنسانية كلما واجه المنافق شخصا أو عملا، ولو لم تكن في المواجهة مسؤولية الرأي أو الانتماء أو الاختيار، فما مفهوم النفاق؟

مفهوم النفاق:

(1) أحمد فؤاد الأهواني :التربية في الإسلام ـ دراسات في التربية ـ دار المعارف مصر ط 2 ـ دت ـ ص:105.

النفاق طبيعة من طبائع الإنسان يظهر في مختلف الأوضاع، ولكنه يبدو أكثر ما يبدو عند مواجهة وضع غير عادي، غير مألوف، وضع ثوري أو انقلابي، فكري أو عقدي أو سلطوي، ويبدو أكثر ما يبدو عليه أيضا عندما تكون المجتمعات متخلفة خلقيا أو فكريا أو عقديا، وكذلك عندما يكون الشخص متخلفا نفسيا أو فكريا أو خلقيا، ثم إنه ينمو عندما تكون البيئة صالحة للنمو: بيئة متخلفة مثلا فيها كثير من الأمراض النفسية والاجتماعية، كل مرض منها يدفع بآخر إلى النماء والعطاء .

فالنفاق لم يكن من الظواهر المألوفة زمن الدعوة بمكة، لكن الأوضاع تغيرت في المدينة، فقد كان المسلمون قوة غالبة، ومن هنا لم يجرؤ كثير من الكفار على معارضتهم معارضة صريحة فلجؤوا إلى النفاق[1]، واندفع إلى أن يطف على السطح ليبرز كانحراف

متميز في جماعة تميزت به، فكانت هي المنافقين [2] .

والنفاق سمة خلقية لا فكرية تتفرع منها كل أسباب ومبررات النفسية المتلونة [3] .

والقرآن أراد أن يحاج جميع الفئات التي وقفت في وجهه فكان عليه أن يحاج بالرأي الذين يناقشون بالرأي، وكان عليه أن يفضح الذين لا يحاجون بالرأي، ولكن يعرقلون سير العقيدة بمرض نفسي لا تنفع في شفائهم منه حجة رأي، ولا وضوح سبيل وكثيرهم الذين ناقشهم الرأي

---

(1) ينظر محمد عبد السلام كفافي، عبد الله الشريف:في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية بيروت،1981، ص:55.
(2) ينظر عبد الكريم غلاب ، صراع والعقيدة ،ص 249.
(3) ينظر أحمد محمد غارس : النماذج الإنساني ة في القرآن الكريم ،ص : 74.

وكثيرهم الذين فضح نفسيتهم وكشف عقليتهم، وأصدر حكمه الصارم عليهم، وفي مقدمتهم المنافقون .

ولقد تناول القرآن المنافقين في كثير من الآيات والسور، فكان يتناولهم من مختلف الأوضاع النفسية والخلقية والاجتماعية والمصيرية، ويحاكمهم فيصدر حكمه الصارم عليهم لا في الدنيا فحسب، ولكن في الآخرة كذلك، وواضح أن الهدف ليس هو إصدار حكم، بل نفيهم من مجتمع كانوا يخربونه بنفاقهم، فالديانات والمذاهب يجب أن تعمل على أرضية واضحة، أما الذين يتخيلون أو يتسترون أو يكيدون دون أن يظهروا بوجه واضح في الكيد فيجب أن يفضحوا كما فضح القرآن المنافقين، ويجب أن يطردوا من المجتمع ويحكم عليهم بمصير، كما طرد القرآن المنافقين وحكم عليهم بمصير محتوم .

وقد أكد القرآن أن النفاق مرض نفسي وعبر عنه أصدق تعبير وأبلغه بأن في قلوبهم مرض لقوله تعالى: (**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**)(1)، وقوله تعالى: (**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ**)(2) وقوله تعالى: (**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**)(3) ، فهو مرض القلب لا يكاد يوجد له دواء، ولذلك اتجه القرآن إلى التعبير عن النفاق بمرض القلب ووصف المنافقين بأنهم مرضى القلوب، ولذلك كانت التحليلات التي

(1) سورة الأحزاب : الآية 12.
(2) سورة الأنفال: الآية 49.
(3) سورة الأحزاب : الآية 60.

أعطاها القرآن لهذا الصنف من الناس الذين واجهوا الدعوة الإسلامية بالشكل الذي من طبيعتهم أن يواجهوا به الدعوة، وكانت مجمع الأحكام التي أصدرها عليهم متفق مع مرض القلب، هذا الذي لا يرجى منه شفاء .

كما أن البيئة التي استقبلت الإسلام في زمن الوحي بيئة المدينة، والمختلفة من بيئة مكة، والمجتمع فيها يتكون من قبائل متعددة كانت بينها منازعات، وتعتبر المدينة الملجأ بحكم مركزها الزراعي، حيث عاش فيها إلى جانب الوثنية قبائل من اليهود التجأت إليها، فهذه البيئة المختلطة المضطربة من شأنها أن تقوي روح النفاق، وأن ينهض النفاق كخلق اجتماعي في وجه الإسلام[1] .

ولهذا إذا تتبعنا آيات النفاق والمنافقين نجدها جميعها نزلت في المدينة بدون استثناء .

كما أن النفاق دائما يظهر في المواقف الحاسمة، والمتتبع لآيات المنافقين حسب نزولها يدرك تدرج الفكرة النفاقية وأعمال المنافقين من جهة، ويدرك تدرج موقف القرآن منهم من جهة أخرى[2]، ومن الطبيعي أن يكون هناك تطابق بين الموقفين وفي الأخير جاءت الأحكام النهائية قال تعالى : (**وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**)[3]، وقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**)[4] وقال تعالى: (**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا**

(1) عبد الكريم غلاب، صراع المذاهب والعقيدة، ص281.
(2) ينظر عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة ،ص : 286.
(3) سورة التوبة : الآية 68.
(4) سورة التوبة : الآية 73.

وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ)[1] وقوله تعالى: (**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ**)[2] وقال تعالى: (**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ**) [3] .

صفات المنافقين :

وصفهم الله تعالى بحقيقتهم، وهي أنهم مرضى القلوب والعقول والنفوس-كما سبق ذكره- فهم لا يملكون إصلاحا لأنفسهم ولا علاجا لعقولهم، ووصفهم أيضا بأنهم كالشياطين[4] .

أول سمات شخصية المنافق الجبن قال تعالى : (**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**)[5] وقال تعالى : (**فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**)[6].

وجبنه هذا يشمل كل حياته، في فكره وسلوكه، وتعامله مع الناس والأشياء، فهو لا يؤمن بمبدأ معين، وبالتالي لن يتطلب شجاعة لا يملكها، ولأن ذلك يقتضي الالتزام بمواقف وأساسيات لا يجد في نفسه القدرة على الالتزام بها، قال تعالى : (**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً**)[7] .

---

(1) سورة التوبة : الآية 77.
(2) سورة التوبة : الآية 80.
(3) سورة التوبة : الآية 84.
(4) ينظر محمد لطفي جمعه:نظرات عصرية في القرآن الكريم، تقديم: جاد الحق علي جاد الحق، 1411هـ /1991م، دط، ص:57
(5) سورة المنفقين : الآية 4.
(6) سورة الأحزاب : الآية 19.
(7) سورة البقرة : الآية 10

فهو لا يؤمن يخاف إذاية الكفار له من جهة واحتقار المؤمنين له من جهة أخرى، إن هو لم يظهر إيمانه، إذ أن للكافر موقف هو الرفض، وللمؤمن موقف هو التزام، أما هو فيتخلص من مشاكله بعدم اتخاذ القرار، قال تعالى : (**وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**)[1] .

كما أنه متهرب من التبعية، فتحول هذا التهرب إلى طبع متأصل فيه، وساعدته نزعته المادية القوية على المزيد من الانحطاط في شخصيته، مع حرصه التام على تخفي كل ذلك، قال تعالى : (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**)[2].

كما أن المنافق موقن أنه على خطأ، لكنه يمضي رغم ذلك في الفساد والإفساد[3]، قال تعالى : (**ألا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**)[4].
)[4].

بالإضافة إلى ذلك نجده يقر أنه مؤمن بالله واليوم الآخر، في حين أنه حقيقته عدم الإيمان.

قال تعالى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**)[5]، وخطورة المنافق تكمن في تغلغله الخفي في المجتمع بغير

(1) سورة البقرة : الآية 14-15.
(2) سورة البقرة : الآية 204-205
(3) ينظر أحمد محمد فارس: النماذج الإنسانية في القرآن الكريم، ص73.
(4) سورة البقرة :الآية 12.
(5) سورة البقرة : الآية 8.

حواجز، ولأن المؤمنين يخصونه ثقتهم وودهم بحسبانه مؤمنا حقا بينما يبتغيهم الغوائل سرا ويداهنهم جهرا التماسا لنفع دنيوي يحصله عن طريقهم، فهو لا يخرج للقتال مع المؤمنين لأسباب معروفة، لكن إذا حصل المؤمنون المقاتلون على مغنم حاول أن ينال نصيبا منه[1] ، قال تعالى : (**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**)[2]، فإذا نوقش في الأمر وشعر أنه سيحاط به، سارع إلى الاقتسام محاولا أن يسترد بها العطف والثقة، قال تعالى: (**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ**)[3] ، وإذا كان الجبن يفرز الكذب، فإنه يفرز الحقد والحسد (**إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ**)[4]، وهو في سعيه الجاهد لتقويض المجتمع المؤمن وهدمه، يستعين بكل الوسائل، وأولها محالفة أعداء المجتمع سرا، والعمل المشترك معهم قال تعالى : (**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا**)[5] .

قال تعالى: (**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ**)[6] وقال تعالى : (**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**)[7] ذلك لأنه فلا يجرؤ على مواجهة المؤمنين

(1) أحمد محمد فارس : النماذج الإنسانية في القرآن الكريم ،ص 75.
(2) سورة النساء : ألآية 141.
(3) سورة المنافقون : الآية 2.
(4) سورة التوبة : الآية 50.
(5) سورة النساء : ألآية 139.
(6) سورة التوبة : الآية 47
(7) سورة المنافقون : ألآية 8.

صراحة، وستاره الرئيسي في جملته مظهر حسن ولسان خلب، قال تعالى : **(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ)**[1].

كما أنه لا يتخذ من الإيمان درعا فحسب، ولكنه يتخذ منه أيضا وسيلة إلى الغش والخديعة يخدع الدعوة ويعاديها ثم يحلف أن إرادته كانت للعمل الصالح، قال تعالى : **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)**[2]، ومن هذا التناقض أيضا الاستهزاء بالنبي صلى اله عليه وسلم مثلا، ولكنه يخشى من الوضوح، إذ يفضح القرآن هذا التناقض، بقوله تعالى : **(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ)**[3] .

فالمنافقون يكذبون ويستهزئون بالنبي وأصحابه، ويلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، وهم يعاهدون الله أن يتصدقوا، فلما آتاهم من فضله يخلو به، يحلفون بالله وليس هدفهم الكذب فحسب، ولا هم مدفوعون بخطأ أو غلط في المعاملة، ولكنهم قد جاهروا النبي أحيانا بالإساءة القولية، يطمعون في رضى المسلمين فيحلفون على غير صدق، لو كانوا منطقيين مع أنفسهم لما أقسموا، ولما حاولوا إرضاء النبي وهم يؤذونه بالقول والعمل، ولكنه التناقض الذي يبدو فيه المنافق مع نفسه ومع الآخرين، وهو

(1) سورة المنافقون :الآية 4.
(2) سورة النساء : ألآية61-62.
(3) سورة التوبة : الآية 65.

أيضا التختل الذي يدفع بالمريض أن يتخذ من القسم درعا له ليصل إلى هدفه[1]، قال تعالى (**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ**)[2].

كما أنهم يزعمون أن الإيمان من شيم السفهاء ، قال تعالى : (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء**) [3] لأنهم يعتبرون المؤمنين سفهاء، ولا يريدون أن يكونوا مؤمنين كما يؤمن السفهاء، وليس ذلك إلا ما يدفعهم إليه نفاقهم، ويرد القرآن ليدحض حجتهم بنفس الصيغة (**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**)[4] .

ومن طبيعة المنافق أن يكون محجوبا عن عالم الحقيقة حتى حقيقة نفسه، رغم أنه يعرف مبلغ نفاقه، ولكنه محجوب حتى أنه لا يشعر ولا يعلم .

كما أن الصورة التي يعطيها القرآن عن هذا النموذج مليئة بالسخرية، فهو يريد أن يكشف الانحراف النفسي ضد الإيمان وضد العقيدة مهما كانت هذه العقيدة، ومهما كان الإيمان بها، فالمجتمع المنحرف من شأنه أن يعاكس العقيدة معاكسة ذاتية .

كما يريد أن ينفيهم من مجتمع المؤمنين ويعزلهم ، ولو اعتبرناهم مثلا طبقة نفسية لا تنسجم مع طبيعة المؤمني،ن لكان على الإسلام أن يعزلهم كشكل من أشكال حرب الطبقات أي طبقة تبعد طبقة من مجتمعها لأنها غير صالحة .

(1) عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة ،ص 256.
(2) سورة المنافقون : ألآية 2.
(3) سورة البقرة : الآية 13.
(4) سورة البقرة : الآية 13.

كما يريد أن يهزمهم نفسيا فيكشف عما في صدورهم من مرض، رغم الجهود التي بذلوها ليظلوا في الستر حينما يحلفون، وحينما يزعمون أنهم مع المؤمنين .

كما يريد أن يبصر المؤمنين بهم وبوضعيتهم فيكشفهم حتى لا يغتر بهم أحد من ذوي النيات الحسنة، وحتى لا تمتد بهم حبل الإساءة الظاهرة والسرية على السواء .

وذلك كله لصالح دعوة الإيمان، ولصالح نقاء البشرية من الأمراض النفسية التي هي مظهر من مظاهر التخلف النفسي والاجتماعي[1]. فالمجتمع الكامل يأبى أن يقبل هذه الفئة بين أعضائه، ولذلك حاربهم القرآن بهذه الفضيحة التي تعتمد على التحليل النفسي .

وفي الأخير من أراد أن يحمي نفسه من داء النفاق ما عليه إلا أن يعمل بما قاله ابن قيم:"أن كثرة ذكر الله تعالى آمان من النفاق، لأن المنافق قليل الذكر لله تعالى"[2].

(1) عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة ،ص 259.
(2) ابن قيم الجوزية:فضائل الذكر والدعاء، دار الجيل بيروت، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، دار الشهاب الجزائر، دط/دت ص:104.

المبحث الثاني: تقسيمات النفس من خلال المقاصد

أشار القرآن الكريم إلى النفس البشرية إشارات كثيرة وسلط عليها ومضات من نور ليست بالقليلة، ولا غور في ذلك ،فالقرآن الكريم يتعامل مع كل شيء معاملات يقينية تنبع من خصائص الصدق والثبات والديمومة والاستمرار[1] ، هذا وسنتعرض في هذا المجال أنماط من النفوس البشرية ذكرها القرآن.

المطلب الأول: تقسيمات الأنفس

1- النفس المطمئنة: وهي النفس المؤمنة الخاشعة الراضية لا تتكالب على ماديات الحياة، ولا تتصارع على عرض زائل لا تغضب من الخلق أو من الحق، لا تحزن على ما فات، لا تحمل هما لما هو آت، لا تحقد على أحد، لا تحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، هي نفس صابرة ظافرة تعيش الحياة كما هي أقبلت هذه الحياة أم أدبرت، وهي نفس خالية من العقد والاضطرابات ، والأمراض النفسية مثل:القلق والاكتئاب والحصر، والفصام وغيرها.

والنفس المطمئنة لا تعرف السخط، تحب الله راضية بقدره وقضائه، وإن طمأنينة النفس قد نراها في أبهى صورها وأجمل أشكالها في هذه المقولة :" إن نفس الإنسان لتستمتع بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، تراها في الليلة القمراء، أو الليل الساجي، أو الفجر الوليد،

(1) عزت عبد العظيم الطويل : معالم علم النفس المعاصر- دار المعرفة الجامعية الإسكندرية – ط 3 : 1999م – ص: 413/ ينظر السيد الجميلي :الإعجاز الفكري في القرآن ـ الموسوعة الإسلامية الكبرى ـ دار الشهاب عمان ـ دط/دت ـ ص ص : 46 47

أو الظل المديد أو البحر العباب، أو الصحراء المنسابة أو الروض البهيج، أو الطلعة البهية أو القلب النبيل، أو الإيمان الواثق أو الصبر الجميل إلى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود فتغمرها النشوة وتفيض بها السعادة فكيف بها وهي تنظر إلى جمال ذات الله تعالى"[1].

والطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة:أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله، وهي نوعان:1-طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها.

2-طمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية.

ويكون الاطمئنان من الشك إلى اليقين، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الخيانة إلى التوبة، ومن الرياء إلى الإخلاص،ومن الكذب إلى الصدق، ومن العجز إلى الكيس، ومن العجب إلى ذلة الإخبات، ومن التيه إلى التواضع، ومن الفتور إلى العمل، وأصل كل ذلك ومنشأه اليقظة فهي أول مفاتيح الخير، والغافل عنها بمنزلة النائم بل هو أسوء حالا[2] .

قال تعالى: **(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)**[3] .

2- النفس الزكية: ويقصد بالنفس الزكية "النفس الطاهرة" قال الله تعالى: **(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ**

(1) عبد الله شحاتة: مع القرآن الكريم ـ ص: 63
(2) أبو عادل عبد الله بن محمد اليوسف : تزكية النفس ومعالجة الآفات ـ دار العاصمة للنشر ـ ط1 : 1417هـ ـ ص:17
(3) سورة الفجر : الآية :27-30

لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا)[1]، قال الله تعالى: **(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)**[2]، وكما نقرأ ذلك في قوله تعالى:

(ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)[3]، ومن ثم ندرك أن النفس الزكية تسمو بنفسها وتعلو وتعرف حق قدرها طبقا لأبعادها التي وضعها الخالق سبحانه وتعالى لها[4].

3- النفس اللوامة: قال تعالى: **(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)**[5] ، فالنفس اللوامة هي: النفس التقية المتصفة بالاستقامة التي تلوم صاحبها وتلوم ذاتها، فهي النفس التي فعلت خيرا تلوم ذاتها على أنها لم تكثر منه، وإن فعلت شرا أو اقترفته تلوم ذاتها لأنها اجترحته.

يروى عن الحسن البصري في هذه الآية قوله:إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر يمضي قدما ما يعاقب نفسه،وليس أحد من أهل السموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة[6]، يقول الله تعالى : **(بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)**[7].

وقد فسرها المفسرون بأنها الحجة الشاهدة على صاحبها، بأن للإنسان من حجة شاهدة تنطق عليه، والبصيرة الشاهدة التي تتولى الإدلاء على ما كان من الأعمال السيئة، ولو أدلى بأية حجة يعتذر بها عن نفسه، فلا ينفعه ذلك ولن ينفعه بعد ما يكون قد فرط في حق نفسه، فالبصيرة هي الحجة البينة، يقول أحدهم :"فإذا كان الغناء ناتجا عن روحانية طيبة، فإنه

---

(1) سورة الكهف : الآية : 74
(2) سورة مريم : الآية : 19
(3) سورة البقرة : الآية : 232
(4) سعد رياض ـ علم النفس في القرآن – ص : 416
(5) سورة القيامة : الآية: 5-2
(6) ابن القيم الجوزيه ـ كتاب الروح ـ ص:239
(7) سورة القيامة : الآية : 14

بالضرورة يرفع النفس إلى مدارج تتزايد في السمو والكمال الأخلاقي والتجلي الصحيح، أما إذا كان ناشئا عن روحانية خبيثة، فإنه سيزل النفس إلى الرذائل "وبين الدرجتين الطيبة والخبيثة تعاني النفس اللوامة مرارة القلق المحض، فيحسب صاحبها ألف حساب في الدنيا والآخرة. والخوف والقلق على ما يبدو يلازمان النفس اللوامة، وهي بخلاف النفس المطمئنة، وأن كلا من القلق والخوف من وجهة نظر علم النفس من الانفعالات الأساسية عند الإنسان فهما مرتبطان ببعضهما البعض(1).

وقيل أنها سميت باللوامة لأن نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة، وقيل لأن الإنسان خلق ملولا،فأي شيء طلبه إذا وجده مله، وقيل سميت كذلك لأن نفوس الأشقياء حين شاهدت أحوال القيامة وأهوالها، فإنها تلوم نفسها على ما صدر عنها من معاصي(2) .

4- النفس المجاهدة: ونقصد بالنفس المجاهدة التي تنهى عن المنكر وتأمر بالمعروف وتؤمن بالله، فالنفس المجاهدة لن تهدأ أبدا ولن تخمد لأنها نفس ثائرة باستمرار، ويكون جهاد النفس بتربيتها تربية سليمة بعيدة عن الصغائر والدنايا وأخذها بالصبر على المكاره والأذى.

وجهاد النفس عبادة لأن كل صور العبادات نوع من المجاهدة، فالإنسان حين يصوم يقاوم إغراء الشهوات ويكف عن النظر إلى المغريات، ويبتعد عن فحش القول والتدرب على مجابهة الصعوبات فتتعلم النفس الصبر على المكاره(3) .

(1) سعد رياض :علم النفس في القرآن الكريم- ص :88
(2) عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ـ دار النهضة العربية بيروت ـ ص: 111
(3) ينظر : عزت عبد العظيم الطويل : معالم علم النفس المعاصر – ص: 420

5- النفس الأمارة : قال تعالى : (وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1] .

قال ابن القيم : "من عرف نفسه وما طبعت عليه عرف أنه منبع كل شر ومأوى كل سوء، وإن كل خير فيها فضل من الله من ربه عليها"، وقال : "والنفس الأمارة تجعل صاحبها يقر بالذنب فيحدث نفسه: "أقر والتزم وأنجع بذنبي"، ويستشعر بأن النعمة والإحسان والفضل بيد خالق النفس، والنفس الأمارة تحيل صاحبها إلى إلا قرار بأن نفسه الأمارة هي مصدر الذنب والإساءة" .

إن النفس بطبيعتها تدعو إلى مشتهياتها من السيئات على كثرتها ووفرتها، فمن الجهل أن تبرأ من الميل إلى السوء، وإنما تكف عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشر برحمة من الله، ومن أعجب أمرها أنها تسحر العقل والقلب فتأتي إلى أشرف الأشياء وأفضلها فتخرجه في صورة مذمومة[2].

وفي التحليل النفسي يتم الحديث عن الصحة النفسية، فإذا غاب هذا العنصر، سعت النفس وراء رغباتها وحاجاتها بطريقة عشوائية،ولهذا وضعت معايير الاستقامة لشخصية المرء، التي تتبين ملامحها فيما يلي:

1- لابد للمرء من فهم واقعه ونوازعه النفسية، وذلك بالرجوع إلى واقعه ويتأمل ما كانت تصبو إليه نفسه الأمارة، وحينها يأخذ بزمام الأمور.

2- عليه التقليل من مطالبه وحاجاته اللاضرورية والتي تزيد من الضغط على الذات بأوامر خفية من النفس الأمارة[3].

(1) سورة يوسف : الآية 53.
(2) ابن قيم الجوزية :كتاب الروح - حققه :محمد محمد تاص - دار التقوى للتراث - ص :243
(3) عبد العلي الجسماني : القرآن وعلم النفس - ص:151

إذا أجرينا مقارنة بين أنواع الأنفس في القرآن الكريم وعلم النفس ، وجدنا أن الأنفس الواردة الذكر في القرآن الكريم ـ على قول من رأى أن الأنفس ثلاثة أنوع ـ وهي المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء، هي إشارة إلى القوى الثلاث :العاقلة و السبعية والشهوانية، فإذا غلبت العاقلة صارت منقادة لأوامرها سميت مطمئنة، وإذا لم تتم غلبتها وكان بينهما تنازعا لارتكاب المعاصي حصل للنفس لوم وندامة سميت لوامة، وإذا صارت مغلوبة دون دفاع، ومشت وراء شهوتها سميت أمارة بالسوء[1] .

6- النفس السوالة : قال تعالى : (**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**)[2]، وقال تعالى : (**وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**)[3] .

"سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي" بمعنى زينت وحسنت له أمرا منكرا وذللته ويسرت ارتكابه.

النفس السوالة تسول، في غالب الأحيان،لصاحبها الإقدام على اكتراع الشهوات، والإمعان في ارتضاع الموبقات، مما يؤدي إلى الانحلال الأخلاقي الذي يؤدي إلى الانحلال الاجتماعي، والنفس السوالة مرض يصيب جميع الكيان الذاتي للفرد[4] .

وثمة أمر سننوه عليه، أنه حين قسمت الأنفس، جعلت على هذا الترتيب:

(1) ينظر أحمد زكي تفاحة: النفس البشرية ونظرية التناسخ ـ ص:49
(2) سورة طه : الآية 96.
(3) سورة يوسف : الآية 83.
(4) عبد العلي الجسماني :القرآن وعلم النفس ـ ص:163

1-الأمارة 2-اللوامة 3-المطمئنة 4- السوالة ، وقد ذكرت الآراء بشأنها وهي:

1-الأولى للشيطان ، والثانية نفس الهوى ، والثالث سبب الهداية، والرابعة ذات الشرير.

2- ومنهم من قال : الأولى للشيطان، والثانية للإنسان، والثالثة للملك، والرابعة للمحقق[1] .

7- النفس الموسوسة : قال تعالى : **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)**[2]، قال تعالى : (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**[3] وقال تعالى: **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)**[4] .

الآية تشير إلى طبيعة الشخصية الإنسانية، ففي بنية تكوين الإنسان التقت كل ما هناك من ازدواجية ومن تناقضات، ومن انطواء على النفس، وهذا الإنسان المجبول على الخير والشر وعلى الإثم والعدوان، هذا الإنسان الذي جبل من تراب، فإذا به كائن عجيب في أبعاد تفكيره وفي آفاق عقله، وفي استقامة نفسه وإلتواءاتها خيرا كانت أو شرا، على وفق ما توسوسه النفس [5].

والله كرّم الإنسان في كل منحنى من مناحي تكوينه إذ خلقه في أحسن تقويم، لذا نجد للإنسان مكانا خاصا في دور العلم ومداراته، فتحط بوسوسة نفسه التي تجره إلى الرذائل .

(1) المرجع نفسه ـ ص:160.
(2) سورة ق : الآية 16.
(3) سورة الشمس : الآية 7-10
(4) سورة الانسان : الآية 3.
(5) سعر رياض : علم النفس في القرآن الكريم ،ص : 90-91.

ولقد أراد الخالق تربية نفوس عباده، لهذا جرت سنة الله في ابتعاث رسله لتبصيرهم بعظمته.

ونعلم ما توسوس به نفسه، وهكذا يجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها شر، وكل ما فيها من وساوس خافية معلومة لله، تمهيدا ليوم الحساب الذي ينكره ويجحده .

فالنفس الموسوسة بالإثم واحدة من القوى النفسانية وهذه جنس القوي النفسانية، وجنس القوي الطبيعية، وجنس القوي الحيوانية كما ذهب إلى ذلك ابن سينا وباتفاق الحكماء وكافة الأطباء .

8- النفس المطواعة الخاسرة : قال تعالى : **(فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[1].**

خلق الله في الإنسان أضدادا متباينة لتتعادل فتحفظ عليه توازنه، خلق فيه الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ، يقابلها الجهل والشره والجبن والجور، فالحكمة مقابل الجهل، والعفة مقابل الشره، والشجاعة مقابل الجب، والعدالة مقابل الجور .

فمن ذلك يتجلى لأي من هذه الأضداد أن تكون كفة الرجحان، يكون السلوك المتجلي في تصرف الإنسان حسبما تمليه نوازعه .

إن الأشياء الإرادية التي تنسب إلى الإنسان تنقسم إلى الخيرات والشرور، وذلك أن الغرض المقصود لوجود الإنسان إذا توجه الواحد منها إليه حيث يحصل له هو الذي يجب أن يسمى خيرا أو سعيدا ، فأما من عاقته عوائق أخرى عنها فهو الشرير الشقي[2].

(1) سورة المائدة : الآية 30.
(2) سعد رياض : علم النفس في القرآن ،ص 96.

والنفس بوجه عام، تنقسم من حيث مقاماتها إلى سبعة أقسام:

الأول منها: مقام ظلمات الأغيار، وتسمى النفس فيه بالنفس الأمارة.

الثاني: مقام الأنوار، وتسمى النفس فيه باللوامة

الثالث: مقام الأسرار، وتسمى النفس فيه بالملهمة

الرابع:مقام الكمال، وتسمى النفس فيه بالمطمئنة

الخامس:مقام الوصال، وتسمى النفس فيه بالراضية

السادس: مقام تجليات الأفعال، وتسمى النفس فيه بالمرضية

السابع: مقام تجليات الصفات والأسماء وتسمى النفس فيه بالكاملة(1) .

المطلب الثاني :أساليب علم النفس في دراسة النفس البشرية

إن اختلاف وجهات النظر بين المدارس، أعطى علم النفس زخمه للتقدم نحو استخدام منهج علمي عند علماء النفس، فقد لوحظ أن كل مدرسة تدرس جانبا معينا من الظاهرة النفسية وتعمم استنتاجاتها على سائر الظاهرات، فالمدرسة البنائية قصرت اهتمامها على العناصر البسيطة التي يتركب منها الشعور، واعتمدت على طريقة الاستبطان لتحليلها، أما المدرسة الوظيفية اهتمت بتحليل العمليات السيكولوجية بالنسبة لوظائفها، وفوائدها في عمليات التكيف مع البيئة، وانكب السلوكيون على دراسة السلوك وفق نحو موضوعي، من حيث ملاحظته وقياسه على شكل مثيرات واستجابات وغيرها،وكل مدرسة عملت على إثراء جانب مهم من جوانب العلم،ومع التقدم العلمي ظهرت اتجاهات عمدت إلى التقليل من وجهات النظر في فهم النفس، الأمر الذي أدى إلى توزيع اختصاصاته على مختلف

(1) عبد العلي الجسماني :القرآن وعلم النفس ـ الدار العربية للعلوم ـ ط1 :1417هـ/1997م ـ ص:135

النواحي السلوكية على الأصعدة الثلاثة في تكوين الشخصية: العقلي، الشعوري، العملي، ووضعوا دراسات حول الدوافع والانفعالات والعواطف، ودراسات تعالج الغرائز والميول والعادات(1) .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل ظهرت مدارس تحاول فهم السلوك البشري، منها:

الطريقة السلوكية الجديدة: تدرس أنواع السلوك البسيط والمعقد، والاستجابات الظاهرة والكامنة،من مظاهر الانفعال التي لا يمكن ملاحظتها، إلى مشاعر الحب والكراهية والقلق .

طريقة التحليل النفسي: العمليات اللاشعورية هي التي تحدد الكثير من التصرفات، فمخاوف الإنسان الدفينة والرغبات اللاواعية والأفكار هي التي تحكم التصرفات، ومعظم الحركات التي تنجم عن التربية العائلية والاجتماعية، والغرائز، والغرائز الفطرية اللاواعية، ويعتمد فيها على تفسير الأحلام، وزلات اللسان، والأمراض النفسية، والإبداع الفني، كمظاهر تعبيرية عن السلوك(2) . ويتزعم هذه المدرسة "فرويد" ، فالسلوك في رأيه له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونت عبر تاريخ الشخص وحياته، فينتج عن تفاعل بين منظمات نفسية ثلاث هي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى، وأي اختلاف من هذه الأنظمة يؤدي إلى اختلال في نشاطه ، والوعي عنده أيضا يقع على ثلاث مستويات، أحدها الشعور الوعي:حيث يكون الجزء القليل من خبرات الإنسان، وثانيها ما قبل الشعور :وهو المستوى الذي تكون فيه الخبرات مدفونة تحت الوعي، وثالثها اللاشعور:

(1) ينظر علي ماضي : النفس البشرية ـ تكوينها واضطراباتها وعلاجها ـ دار النهضة العربية ـ ص ص :24 25
(2) المرجع نفسه ـ ص ص :26 27

وهو مستوى عميق لا يمكن تذكره، ولكن يمكن أن يظهر في زلات اللسان والأحلام، وأما الشخصية ففي رأيه تتكون من الخبرات التي يمر بها الطفل خلال مراحل متعاقبة من النمو النفسي الجنسي(1)، والعلاقات القائمة بين الأبناء والبنات والآباء والأمهات، في نظره علاقات جنسية غير محترمة، وأن الابن يكره أباه لأنه يستأثر بأمه، ولم يدع لونا من السلوك البشري للفرد أو الجماعة في الصحة أو المرض إلا أرجعه إلى الغريزة الجنسية(2)، لكن الجنس في نظر القرآن ليس أمرا عشوائيا، أو كلاما لا يتقبله العقل، والقرآن يعترف به ولا ينكره، لأنه انفعال فطري في طبيعة الإنسان،وهو يدعو إلى السيطرة عليه والتحكم فيه بطريقة نقية ومشروعة(3).

ولكن ما يلاحظ على هذه الطرق في التحليل لا تزيد في حقيقتها عن كونها تخريجات ذكية للنفسيات بمعنى :"اقتدار ذكي على التأويل والتفسير وربط الرموز بدلالات محتملة"(4).

و مما تجدر الإشارة إليه أيضا ـ وكما سبق ـ أن كل نظرية تحاول دراسة طبيعة البناء النفسي للإنسان من جانب واحد فقط، وهذا على خلاف القرآن الكريم الذي حدد للشخصية الإنسانية جانبين أساسيين مع بعضهما هما:الجانب المادي:(الجسم وحواسه)، والجانب غير المادي (الروح والنفس والعقل والأخلاق)(5) .

(1) ينظر محمود عبد الرحمن حموده :النفس ـ الطب النفسي ـ ص ص :70 / 71
(2) محمد السيد محمد الزعبلاوي :تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مؤسسة الكتب الثقافية، ط3 :1417هـ1997م، ص: 453
(3) ينظر محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس ـ دار الشروق بيروت ـ ط5 :1414هـ /1993م ـ ص:86
(4) حبيب مونسي :فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى ـ من المعيارية النقدية إلى الانفتاح القرائي المتعدد، دار الغرب للنشر، ص:162
(5) ينظر محمد مقداد : الطبيعة البشرية بين علم النفس والقرآن ـ الملتقى الدولي حول : الإنسان في الكتب السماوية ـ وهران:1418هـ /1997 ـ مؤسسة: معهد علم النفس ـ جامعة قسنطينه ـ ص: 19

زد على ذلك أن هذه الدراسات لا تميز كثيرا بين الحالات السوية والحالات المنحرفة، لأنها فقدت المقياس الذي ترجع إليه لمعرفة الاستواء والانحراف، وعاملت كل شيء على أنه الواقع النفسي الذي تستخلص منه النظريات والتطبيقات.

وثمة أمر آخر، وهو أن هذه الدراسات أيضا تنظر إلى مجالات التأثر التي تكون النفس تحت ضغطها، ولا تدرس قط موصولة بلله تعالى، فمرة تدرس الإنسان تحت التأثير الجغرافي، ومرة تحت التأثير الاقتصادي، ومرة تحت التأثير الاجتماعي،ولكن لا تدرس متأثرة بالله تعالى، رغم أنه من الأمور الفطرية في الإنسان[1].

مجالات علم النفس:

1-علم النفس العام: يدرس المبادئ الأساسية لجميع الفروع الأخرى، يكتشف القوانين العامة التي تحكم سلوك الإنسان، ومن موضوعاته الأساسية الغرائز والميول، العادات وتكوينها، الإرادة والإحساس والإدراك و الانفعالات والعواطف وغيرها.

2- علم النفس الفيزيولوجي: يدرس وظائف الجهاز العصبي، وما يؤثر فيها سلبا وإيجابا والميول (جوع وعطش وجنس).

3-علم النفس الاجتماعي: يدرس سلوك الأفراد وتفاعلاتهم فيما بينهم، والعلاقات، ويدرس ثقافة الجماعة والرأي العام والمشكلات التي تنشأ كالتعصب الديني أو السياسي وغيرها.

(1) ينظر ناهد الخراشي : أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي ـ دار الكتاب الحديث ـط4 :1423هـ/2003م - ص:58

4- **علم النفس الشواذ:** يهتم بدراسة الأمراض النفسية والعقلية و الانحرافات.

5-**علم النفس الإكلينيكي:** يشخص المشكلات السلوكية والانفعالية، كما يدرس الاضطرابات النفسية ويصف لها العلاج.

6-**علم نفس النمو**: يعالج مراحل النمو الإنساني، ومراحل الطفولة والرشد والشيخوخة من نواحيها كافة.

7-**علم النفس التربوي**:يشدد على طرق التدريس ومناهجه والعمل على رفع الميول الدراسية[1].

8-**علم نفس الإرشاد والتوجيه:** يهتم بمساعدة الأسوياء على حل مشاكلهم.

9-**علم النفس الصناعي**: ينظر إلى حل المشاكل المتعلقة بالعمل.

10-**علم النفس الجنائي**:يدرس ظروف الجريمة وأسبابها ودوافعها ووسائل الوقاية منها، وطرق إعادة تأهيل المجرمين.

11- **علم النفس الحربي:** يهتم برفع الروح المعنوية بين الجنود والتصدي لدعاية العدو، والحرب النفسية.

12- **علم نفس الحيوان:** يقوم بإجراء التجارب على الحيوانات لجهة دراسة السلوك.

13- **علم النفس المقارن:** يقارن بين السلوكات والتصرفات.

14- **علم نفس الشخصية**: ينظر إلى تكوين شخصية الإنسان وأنماطها[2].

وإذا أجرينا أيضا مقارنة بين القرآن الكريم وعلم النفس الوضعي، في تعاملهما مع النفس، وجدنا القرآن الكريم يتعامل مع النفس التي هي من

(1) المرجع نفسه ـ ص ص: 34-35
(2) محمد مقداد : الطبعة البشرية بين علم النفس والقرآن، ص :36

خلق الله تعالى، في حين يتعامل علم النفس مع الإنسان الطبيعي الذي جاء نتيجة تطور الأحياء، والقرآن يتعامل مع النفس المخلوقة من مركب الروح والجسد المتفاعلين، في حين يتعامل علم النفس مع النفس الطبيعية التي تصنعها الظروف والمؤثرات الخارجية، كما أن دراسة النفس في القرآن الكريم صدرت من علم شامل محيط بها من الأبد إلى الأزل، لأنه صادر من الخالق الذي يعلم من خلق وما تكون عليه أحواله، أما علم النفس فقد اعتمد على آراء ونظريات شتى، وهو وإن اعتمد على التجريب،فإن التجريب في العلوم الإنسانية يختلف عن التجريب في العلوم الطبيعية كاختلاف الإنسان عن الجماد والحيوان(1).

كما أن القرآن يميز الإنسان بنية خاصة في تلبية دوافعه، كما يميزه بطرق خاصة في إشباعها، وهي ما تسمى بالضوابط ، ووجود الضوابط في داخل النفس ـ مع الدوافع ـ فهي دليل على ازدواج في الكيان البشري، وقد أشار القرآن إلى هذه الدوافع وهي:

1-دوافع فطرية جسمية نفسية مثل :الجوع، والعطش، والجنس، وهي من أكبر المقاصد الدينية في حفظ الذات والنوع

2-دوافع فطرية نفسية اجتماعية مثل:الوالدية والتجمع والأمن والتفوق(2)، فكل دافع من الدوافع الفطرية يحمل معه قوته الدافعة، ولكن يحملها بطريقة فذة فيها كل الضمانات التي تضمن أن يتعطل الدافع أو تغلبه العقبات، والدافع لا يكون من الخلف، بل يصحبه الجذب من الأمام ،

(1) ينظر علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ـ دار النهضة العربية بيروت ـ ص :131
(2) عبد الحميد محمد الهاشمي :لمحات نفسية في القرآن الكريم ـ ص: 105

والجذب نحو الأمام هو اللذة، و الدفع من الخلف هو الألم وهما مرتبطان معا بكل نزعة فطرية في الإنسان[1].

وهذه الطرق نابعة من روح القرآن، مع مراعاة الوسطية، لأن الإنسان خلق لمهمة أعلى وأسمى، على عكس من رأى أن الإنسان ينقاد وراء رغباته قصد إشباع دوافعه والامتثال لها، والقرآن الكريم حين اختار لها هذا الطريق،لم يكن مقصده الأول شعور النفس بالسعادة والراحة وغيرها من المشاعر الجميلة فحسب، وإنما ذوبانها في ذات الله تعالى، وما تلك المشاعر إلا ثمرة اختيار إرادته، وهذه النقطة مفترق طريق بين القرآن و علم النفس، فعلماء النفس يريدون العودة للدين من أجل استعادة الثقة والتوازن النفسي، وليتخلص من بنات صدره، ولا يهم أي دين اعتنق، أهو دين حق أم غيره، ولا يهم أي معتقد[2] ، فسبحان الله أي الفارقين، كيف يقنع شخص نفسه بعقيدة ما لمجرد أنها تؤدي خدمة، وكيف لذلك المعتقد أن يتماسك لمجرد همسة في الأذن، وفي هذا الصدد نقول ما قاله أحدهم :"التغير الصحي لا يكون بتغيير البيئة، أو بتغيير الهواء بل بتغيير الشخص نفسه"[3].

(1) ينظر محمد قطب : دراسات في النفس الإنسانية ـ دار الشروق بيروت ـ ط6 :1403هـ/1983م ـ ص:168

(2) ينظر محمد عز الدين توفيق : دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث،دار السلام، ط3 :1424هـ /2004م، ص436

(3) محمد التومي :نحو بسيكولوجية إسلامية ـ العقد النفسية وموفق الإسلام منها ـ دار الشهاب الجزائر ـ ص :21

الخاتمة :

ويخلص البحث إلى نتائج لعل أهمها:

- الآيات القرآنية عندما تحدثت عن النفس، لم تكن تقصد النظر القريب لتلك الآية، إنما تعدته إلى الوقوف على مواطن العبر في كل واحدة منها، والغاية المقصودة منها، وهذه الغاية هي بناء تصور سليم عن سلوك الأفراد وكينوناتهم، وانفعالاتهم وغيرها من الأمور المتواخاة من هذا الكائن الذي يسمى الإنسان.

- والله تعالى عندما وجه خطابه للإنسان، لم يحدد له وسيلة الفهم والتدبر، إنما تركه يستكشف الطرق الموصلة إلى هذه الغاية .

- والناظر في آيات الله يجد أن الغاية من الخطاب هي : معرفة الحق، والعمل بمقتضاه، ومعرفة الحق تشمل الإيمان بالغيب كله، وفيه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر .

- منهج القرآن الكريم في معالجة النفس البشرية، يخاطب الفطرة ويدعوها إلى الإيمان بما هو مركوز بالأصل فيها، ويجعل الغاية التوحيد بما آمان به قلبه واقتنع به عقله .

- خطاب النفس في القرآن جاء من أجل تزكيتها، وحملها على مقتضياته الأخلاقية والعملية.

- بناء المنهج على أسس صحيحة، يتوخى من القرآن الكريم، فالنص القرآني بأدائه المبين، وجماله الفني هو في قمة الأساليب، بل أرقاها وأعلاها، فهو معجز من أوله إلى آخره، وقد إردنا أن نتذوق أسلوبه من

خلال الدراسة لخطاب النفس، التي ركزت على التصوير وأدواته الفنية، ووحدته الموضوعية.

- إن الإقناع يعني كيفية التعامل الناجح مع نفس الإنسان، وما فيها من شهوات وغرائز، ومع عقل الإنسان وما فيه من عداوة الجهل وكبرياء العلم، مما يجعل أمر الإقناع ليس بالسهل الميسور، وكما هو معلوم أن لكل إنسان حاله وظرفه الخاص به، وذلك انتقاء الأساليب، واستناد على برهان قوي، ينطلق منه الطرف المقنع، فكان القرآن ذلك المستند المقنع.

- القرآن الكريم من خلال الدراسة نقل البشرية من الوثنية المتعددة الباطلة، إلى الوحدانية الحقة، ومن طباع الغلظة والقسوة الظالمة، إلى الرقة والرحمة العادلة، والعدوان والبغضاء والحمية الجاهلية، إلى الألفة والمودة والأخوة الإيمانية والجسد الواحد.

- والقرآن الكريم هذب النفوس وأعطى لكل جزئية بالحياة حقها ومستحقها، وملأ القلب بالإيمان والحب والدفاع .

- ولما كانت شريعة الإسلام بهذه القوة في أسلوبها، دخل الناس أفواجا في دين الله.

- إن علم النفس مهما حاول أن يرتقي بالنفس البشرية، ويعطيها الصورة المثالية التي يريدها، ويضعها في قالب واضح، لما استطاع ذلك مقابل القرآن الكريم.

الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فما كان من صواب فمن الله تعالى، وما كان من خطأ فمن نفسي .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- إبراهيم أ نيس : من أسرار اللغة - مكتبة أنجلو المصرية ، ط1966/3 م.

2- إبراهيم أحمد الوقفي : الحوار لغة القرآن الكريم وموضوعات أخرى ، دار الفكر العربي، مصر، ط1: 1414 هـ -1993 م .

3- أبو زهرة محمد : المعجزة الكبرى القرآن ، نزوله ، كتابته ، جمعه ، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره، حكم الغناء به ، دار الفكر العربي ، د ذ ط / د ذ ت.

4- الأثري محمد بن رياض الأحمد السلفي : فأنذرتكم نارا تلظي، أخبار الهاوية وعذاب الزبانية، عالم الكتب بيروت ، لبنان ، ط1، 1422هـ/2002م.

5- أحمد زكي تفاحة : النفس البشرية ونظرية التناسخ – دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي – د ط / 1987 .

6- أحمد سحنون : دراسات وتوجيهات إسلامية ـ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ـ ط2.

7- أحمد عمر أبو شوفة : المعجزة القرآنية ، حقائق علمية قاطعة – دار الكتب الوطنية – ليبيا – ط : 2003 م .

8- أحمد محمد الحوف: الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة ،مصر : ط4 .

9- أحمد محمد فارس : النماذج الإنسانية في القرآن الكريم ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط2 : 1409 هـ -1989 م.

10- إدريس أوهنا : أسلوب الحوار في القرآن الكريم – الموضوعات والمناهج والخصائص – ط1: 1426هـ - 2005م – منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية.

11- إدريس حمادي : الخطاب الشرعي وطرق استمارة - الدار البيضاء ،ط/1994م .

12- أعراب بلقاسم : الحياة في رحاب الإيمان ـ دط /دت

13- ألبير نصري نادر : ابن سينا والنفس البشرية – نصوص فلسفية – منشورات

14- : النفس البشرية عند ابن سينا – دار المشرق ، بيروت ط 3 / د ت.

15- الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجاملي، دار الكتاب العربي بيروت، ط2، 1406هـ1986م، مج1.
16- الأهواني أحمد فؤاد : التربية في الإسلام- دراسات في التربية- دار المعارف مصر ط 2 - دت
17- ابن الكثير: تفسير القرآن العظيم ـ دار ابن حزم بيروت ـ دار الريان الجزائر ـ مج 1- ط1 :1423هـ/2002م .
18- ابن تيمية : مجموع فتاوي – ترتيب عبد الرحمان بن محمد بن القاسم – مكتبة المعارف الرباط –كتاب المنطق – مج 9 .
19- ابن جني أبي الفتح عثمان: الخصائص – تحقيق : محمد علي النجار- المكتبة العلمية –.
20- ابن خلدون عبد الرحمان : مقدمة ابن خلدون " هي مقدمة الكتاب المسمى كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبر " – دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان – ط – 1413 هـ- 1993 م.
21- ابن سينا : الفن السادس من الطبيعيات (علم النفس) من كتاب الشفاء- د ط /دت.
22- ابن عاشور طاهر : تفسير التحرير والتنوير- ج1– دار سحنون للنشر- تونس .
23- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1417هـ1996م.
24- ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الداء الشافي ـ أو الداء والدواء ـ علق عليه: عمرو عبد المنعم سليم ـ مكتبة عباد الرحمن :1426هـ /2005م .
25- : الفوائد ـ حققه : طاهر الغريب ـ دار الكتاب الحديث : 1425هـ /2004م .
26- : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – ضبط وتعليق : محمد خالد العطار – دار الفكر للطباعة : بيروت لبنان – ط : 1422هـ - 2002م.
27- : طريق الهجرتين وباب السعادتين ـ إشراف : عبد المنعم العافي ـ دار مكتبة الحياة بيروت :1980.
28- : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن – مكتبة المتنبي ، القاهرة .
29- ابن منظور : لسان العرب – دار صادر بيروت – مج 2 – ط : 1997.
30- الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب : إعجاز القران الكريم –تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل بيروت ط/1411 هـ-1991م.

31- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، راجعه: محمد أبو محمد تامر، دار البيان العربي، ط1- :1462هـ/2005م-ج2-3-4 .
32- بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن الكريم – دار الشروق : ط4 : 1400 هـ -1980م.
33- بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمان: التفسير البياني للقرآن الكريم ـ دار المعارف القاهرة ـ ط 5 :1388هـ ـ 1968م ـ ج 2.
34- : الشخصية الإسلامية- دراسة قرآنية- دار العلم للملايين بيروت- ط4 :1986م .
35- البنتاني بطرس : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام – ط-1989م-د/ الدار.
36- البوطي محمد سعيد رمضان: من الفكر والقلب- فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب – دار الهدى – دط/دت.
37- : من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل – مؤسسة الرسالة ، بيروت – ط : 46 – 1996م.
38- بوعزيزي محمد العربي : نظرية المعرفة عند الرازي من خلال تفسيره – دار الفكر العربي بيروت – د ط ، د ت.
39- البيانوني عبد المجيد : ضرب الأمثال في القرآن – أهدافه التربوية وآثاره- دار القلم – سوريا- الدار الشامية، لبنان ، ط : 1411هـ -1991 م.
40- الترمذي الحكيم: الأمثال من كتاب والسنة – حققه : السيد الجميلي – دار ابن زيدون – بيروت – دار أسامة ، سوريا ، ط2 : 1407 هـ -1987 م.
41- تمام حسن : اللغة العربية معناها ومبناها - عالم الكتب ط2/ 1318هـ-1998م.
42- التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، رسالة دكتوراه ، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر :1971م.
43- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحرين محبوب : الحيوان- شرح وتحقيق : يحي الشامي دار مكتبة الهلال / ج3،ط3 1990م
44- الجرجاني عبد القاهر : التعريفات ، ضبطه بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، بيروت –ط:1411هـ-1999.
45- : دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية ،فايز الداية ، دار الفكر قتيبة ، ط1 : 1403 هـ ، 1993 م .
46- الجزائري أبو بكر جابر : رسائل الجزائري ـ الرسالة الخامسة ـ ست وعشرون رسالة ـ مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.

47- الجويني مصطفى الصاوي : الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي ـ دار المعارف الإسكندرية ـ دط/دت .
48- حبار مختار : مذاهب علم الأسلوب – جامعة وهران – كلية الأدب ، اللغات والفنون – قسم اللغة العربية وآدابها.
49- الحلبي موفق هاشم صفر : الاضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين – أسبابها، أعراضها، الوقاية منها، معالجتها – مؤسسة الرسالة- ط2 – 2000 م .
50- حمو قاسم: في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام- مكتبة الأنجلو المصرية- ط3-د ت.
51- حنا الفاخوري – خليل الجر :تاريخ الفلسفة العربية – مقدمات عامة – الفلسفة الإسلامية – دار الجيل بيروت – ط3 – 1993 ج2 .
52- خالد أبو جندي : الجانب الفني في القصة القرآنية، منهجها، وأسس بناءها – دار الشهاب ، الجزائر – د ذ /ط : د ذ ت .
53- خالد أحمد أبو جندي : الجانب الفني في القصة القرآنية، منهجها وأسس بناءها، دار الشهاب، باتنة ـ دت/دط.
54- خالد فائق البيدي : القوانين القرآنية للحضارات – دراسة قرآنية لأحداث التاريخ – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط 1426هـ – 2005م.
55- دراز محمد عبد الله – النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن – دار القلم – ط4 : 1394 هـ - 1977م.
56- ديزيرة سقال: علم ا لبيان بين النظريات والأصول- دار الفكر العربي - ط/1997م.
57- الرازي : أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، من غرائب أي التنزيل ، 1236سؤال وجواب، اعتنى به : نجيب ماجدي – دار النموذجية ، المطبعة العصرية ، بيروت، 1425 هـ -2004 م.
58- الرافعي مصطفى صادق : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ راجعه : درويش الجويدي ـ الدار النموذجية بيروت ـ دط/1426هـ ـ 2005م
59- ربيعي محمد عبد الخالق : البلاغة العربية وسائلها وغايتها في التصوير البياني – دار المعرفة الجامعية- د / ط – 1989م .
60- ريجيس بلاشير : تاريخ الأدب العربي – ترجمة : ابراهيم الكلاني – ج – دار التونسية للنشر – ط 1986.
61- الزركشي بدر الدين : البرهان في علوم القرآن – قدم له : مصطفى عبد القادر عطا – دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان – ط : 1408 هـ / 1988م .
62- سامي منير عامر : مدخل أمين الخولي : الدراسة الجمالية البلاغية ، ملامحه ، آثاره، دار الشهاب، بيروت.

63- السبعاوي طه عبد الله محمد: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ، 1426 هـ ، 2005 م .
64- سعيد حوى : الإسلام ـ شركة الشهاب الجزائر ـ ط2 :1408هـ ـ1988م .
65- سعيد رياض : علم النفس في القرآن الكريم - مؤسسة اقرأ للنشر- ط: 1425هـ- 2004م.
66- : علم النفس في الحديث الشريف- مؤسسة أقرأ للنشر: 1425هـ - 2004م
67- سميح عاطف الزين : الأمثال والمثل و التمثيل والمثلات في القرآن الكريم – مجمع البيان الحديث – دار الكتاب اللبناني، بيروت – ط : 1407 هـ -1987 م.
68- السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج2 ، مؤسسة المعارف دذ/ط، دذ/ت .
69- : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع –دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط6.
70- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ـ دار الشروق ، بيروت- ط:8- 1403هـ/1983م .
71- : في ظلال القرآن ـ دار الشروق ـ ط35 : 1425هـ /2005م ـ مج 6- 29 .
72- السيوطي جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن –ج2- دار الكتب العلمية دط- دت.
73- : المزهر في علوم اللغة وأنواعها – تعليق : محمد جاد المولى بك– محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد اليجادي – المكتبة العصرية – ج – ط : 1408 هـ - 1987م.
74- : المزهر في علوم اللغة وأنواعها – دار الفكر – شرحه: محمد أحمد جاد المولى – علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم – ج.
75- : معترك الأقران في إعجاز القرآن – دار الحرم للتراث – تحقيق : علي محمد البجاوي – مج.
76- الشاطبي أبي إسحاق : الموافقات في أصول الفقه – شرحه : عبد الله دراز –وضع تراجمه : محمد عبد الله دراز ، خرج آياته : عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط : 2004م –1425 هـ.
77- شحاتة عبد الله: مع القرآن الكريم ـ مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي:1983

78- الشرقاوي حسن : في الطب النفسي النبوي ـ دار المطبوعات الجديدة ـ دط/دت.
79- شعبان محمد إسماعيل : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية- دار الأنصار- د.ط-د.ت.
80- الشهرستاني هبـة الدين : المعجزة الخالدة ـ مطبوعات مكتبة الجوادين العامة- الكاظمية- ط2 .
81- شيخون محمود السيد : أسرار التقديم والأخير في لغة القرآن الكريم ـ مكتبة الكليات الأزهرية ، ط 1: 1400هـ ـ 1983م.
82- صالح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب، الجزائر، ط،1988م.
83- الصباغ محمد لطفي : بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، ط :1408هـ 1988م.
84- صلاح الدين عبد التواب : الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، دار نوبار للطباعة، القاهرة ط 1: 1995 م.
85- طباره عفيف عبد الفتاح :روح الدين الإسلامي ـ عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة ـ دار العلم للملايين ـ ط21 :1981م.
86- الطعمي محي الدين : إحياء علوم الصوفية – مكتبة الثقافة، بيروت، ط : 44 هـ 1999م، مج 2 .
87- طه حسين: في الأدب الشاعري، دار المعارف بمصر، ط10، 1969م.
88- عبد الستار فتح الله سعيد : المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ، ط 2 :1411هـ/1991م .
89- عبد السلام أحمد الراغب: الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق ، نصوص قرآنية ، دار الرفاعي للنشر، دار حلب، سوريا ، القلم الغربي ، حلب ، سوريا ، ط : 1425 هـ-2005 م.
90- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية ، علم المعاني ، البيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
91- عدنان زرزور : القرآن ونصوصه – مطبعة خالد بن الوليد – ط: 1400هـ-1980م-
92- العرابي لخضر: الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته ـ دار الغرب ـ دط /دت .
93- عزت عبد العظيم الطويل : معالم علم النفس المعاصر- دار المعرفة الجامعية – ط3: 1999.
94- عشراتي سليمان : الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي-ديوان المطبوعات الجامعية د.ذ/ط-دذ/ت.

95- : جمالية التشكيل الفني في رسائل النور –دار النيل للطباعة والنشر، ط: 1426هـ -2005م.

96- العقاد عباس محمود : الفلسفة القرآنية ـ دار الهلال ـ دط/دث .

97- علي سامي النشار : المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضر – دار المعرفة الجامعية – د ط : 1999م .

98- علي عبد الواحد وافى : فقه اللغة ، دار نهضة مصر الفجالة ، ط7 .

99- علي ماضي : النفس البشرية، تكوينها واضطرابها وعلاجها -دار النهضة العربية- د ط/د ت.

100- عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن ـ مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله تونس ، دط/1980م

101- العمري محمد : البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها –أفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان .

102- العيراقي زين الدين : المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار، دار الفكر بيروت، ط1، 1423هـ-2003.

103- العيسوي عبد الرحمن : الإسلام والعلاج النفسي الحديث ـ دار النهضة العربية بيروت

104- غالب حسن : نظرية العلم في القرآن ، قضايا إسلامية معاصرة ، دار الهدى، ط: 1421هـ -2001م .

105- الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين – دار المعرفة بيروت – ج4 – د / ط- د / ت.

106- : تهافت الفلاسفة- قدم وعلق : صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية، بيروت : 1426 هـ ، 2005 م .

107- : ديوان زهير ابن أبي سلمى ـ دار صادر بيروت ـ د ط/د ت .

108- : معارج القدس في مدارج معرفة النفس- دار الشهاب-د ط/د ت.

109- الغزالي محمد : المحاور الخمسة للقرآن الكريم – دار الهدى للطباعة والنشر – الجزائر

110- : هذا ديننا ـ دار القلم دمشق ـ ط1420:1هـ/1999م

111- : مائة سؤال عن الإسلام – مكتبة الرحاب ، الجزائر ، ط: 1420 هـ -1999م.

112- غلاب عبد الكريم : صراع المذهب والعقيدة في القرآن ، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 4 : 1425 هـ ، 2004م.

113- فاروق سعد : فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي - دار الكتاب اللبناني ، ط /1407 هـ -1987 م.

114- فرخوش محمد أمين : المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية ـ دار الفكر العربي بيروت ـ دط/دت .
115- فضل حسن عباس : القصص القرآني إ إيحاؤه ونفحاته ، دار الشهاب ، الجزائر، د.ط/د.ت.
116- الفندي محمد جمال الدين : القرآن والعلم ـ دار المعرفة القاهرة ـ ط1: 1968م.
117- القرافي: الفروق وأنوار البروق في أنواع الفروق ومعه إذرار الشروق على أنواء الفروق لابن الشاط- وبحاشية الكتابية: تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية للحسن المكي: ضبطه خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1: 1418هـ1998م.
118- القلقشندي أبي العباس: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ج1، 1405هـ1985م.
119- القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ 1983م.
120- الكبيسي عبادة بن أيوب : أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم ، دار البحوث للدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات القرآنية " –ط: 1422/2هـ-2000م.
121- كفافي محمد عبد السلام ـ عبد الله الشريف:في علوم القرآن دراسات ومحاضرات ـ دار النهضة العربية بيروت:1981 .
122- لاشين عبد الفتاح : ابن قيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن الكريم، دار الرائد العربي : بيروت لبنان ، ط 2 : 1402 هـ /1982 م.
123- : لغة المنافقين في القرآن – دراسة تحليلية لآيات النفاق من الوجهة اللغوية والبلاغية – دار الرائد العربي : بيروت لبنان – .
124- مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية -مشكلات الحضارة- ترجمة :عبد الصبور شاهين تقديم: محمد عبد الله دراز ـ محمد محمد شاكر ـ إشراف: ندوة مالك بن نبي ـ دار الفكر دمشق ـ ط4: 1407هـ /1987م .
125- محمد أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية .
126- محمد التومي : المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ـ الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر -1407هـ/1986م.
127- محمد الخضر حسين: بلاغة القرآن ـ جمعه وحققه: علي الرضا التونسي- 1391هـ /1971م
128- محمد الدالي : الوحدة الفنية في القصة القرآنية – ط : 1414 هـ - 1993 م .

129- محمد السيد يوسف : منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع – دار السلام – ط : 1412 هـ - 2002 م .
130- محمد الصالح الصديق : مقاصد القرآن ـ دار البعث الجزائر ـ ط2 :1403هـ/1982م.
131- : البيان في علوم القرآن ـ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ـ دط/دت
132- محمد بن لطفي الصباغ : بحوث في أصول التفسير ـ المكتب الإسلامي ـ ط1: 1408هـ /1988م .
133- محمد جلال شرف : كتابا الأعضاء والنفس والعقل والهوى للحكيم الترمذي – تحقيق: وجيه أحمد عبد الله – دار المعرفة الجامعية – د ط – د ت .
134- : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي – دار النهضة العربية، بيروت – د ط – د ت .
135- محمد جواد مغنية: الإسلام والعقل ـ دار مكتبة الهلال لبنان ـ دار الجواد لبنان ـ دط/دت
136- محمد حسن هيتو : الوجيز في أصول التشريع الإسلامي- مؤسسة الرسالة - ط/ 1421هـ -2000 م .
137- محمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط2.
138- : محمد زغلول سلام: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني- دار المعارف بمصر- ط1387/2 هـ-1968م.
139- محمد عبد الخالق عضيمة – دراسات لأسلوب القرآن الكريم – دار لحديث القاهرة .
140- محمد عبد الرحيم عدس : من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم- دار الآفاق .
141- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ـ دار الفكر ـ ط1 :1424 هـ -2004م - ج 1.
142- محمد قطب : ركائز الإيمان ـ دار اشبيليا ـ ط1: 1417هـ /1997م.
143- محمد كامل حسن : القرآن والقصة الحديثة ،دار البحوث العلمية،د /ط ، د / ت .
144- محمد كمال جعفر: الإنسان والأديان ـ دراسة و مقارنة ـ دار الثقافة ـ قطر.
145- محمد لطفي جمعه: نظرات عصرية في القرآن الكريم ـ تقديم: جاد الحق علي جاد الحق - 1411هـ /1991م ـ دط.

146- محمد وفا الأميري : آيات الله تعالى: " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" - دار الرضوان – حلب – د ط – د ت،ج2.
147- محمود السيد شيخون : الإعجاز في نظم القرآن –مكتبة الكليات الأزهرية – ط 1: 1398هـ-1987م.
148- محمود فهمي زيدان : نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلسفة الغرب المعاصرين- دار النهضة العربية ، بيروت – ط – 1989م.
149- : في النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة- دار النهضة العربية، بيروت ، دط 1980م .
150- محمود كراكي : خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس - دراسة صوتية تركيبية - دار هومة، ط /1999 .
151- محمود يعقوبي - فلسفة الطبيعة- الكتاب الثاني خلاصة الميتافزياء – دار الكتاب الحديث – ط – 1422 هـ 2002 م .
152- مرتاض عبد المالك : بنية الخطاب الشعري – دراسة تشريحية لقصيدة " أشجان يمانية " – ديوان المطبوعات الجامعية .
153- مسلم : صحيح مسلم، بشرح النووي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان دط / 1403هـ /1983م ،ج17.
154- المسيري عبد الوهاب : الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان- دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر دمشق – ط : 423 هـ 203 م.
155- مصطفى عبد الواحد: شخصية المسلم كما يتصورها القرآن ـ دار إحياء الكتب العربية ـ دط/دت .
156- مصطفى عشوي: مدخل إلى علم النفس المعاصر- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- دط /دت.
157- المطردي عبد الرحمان: أساليب التوكيد في القرآن الكريم ـ الدار الجماهيرية للنشر- طرابلس ـ ط 1 : 1986م .
158- مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة : بيرو ت ، لبنان ، ط 35 1418 هـ، 1998 م .
159- المنذري : زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي : الترغيب والترهيب الحديث الشريف – ضبط أحاديثه: مصطفى عمارة – دار الريان للتراث – دار الحديث القاهرة – ط: د ط : 1407هـ – 1987م – ج4- كتاب التوبة والزهد- كتاب البحث وأهوال يوم القيامة- كتاب صفة الجنة والنار .
160- مهدي عبد الحميد : أمة القرآن ـ دار الشهاب ـ دط / دت .
161- المودودي أبو الأعلى : نظام الحياة في الإسلام ـ دار الشهاب عمان ـ دط /دت.

162- موسى إبراهيم الإبراهيمي: تأملات قرآنية ، بحيث منهجي في علوم القرآن الكريم، دار الشهاب، الجزائر ، د ذ ط/ د ذ ت .
163- نجاتي محمد عثمان : القرآن وعلم النفس.
164- ندرة اليازجي : مقالة في العقل والنفس والروح- دار اليقظة العربية دط / دت .
165- نعيم الحمصي : فكرة الإعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر – قدم له محمد بهجة البيطار – مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان – ط2 : 1400هـ -1980م.
166- هاشم صالح مناع : النثر في العصر الجاهلي- دار الفكر العربي – ط 1-1993م.
167- : روائع من الأدب العربي : العصر الجاهلي – الإسلامي – الأموي – العباسي – دار الفكر العربي – ط 3.، 1414هـ - 1993 م.
168- الهاشمي عبد الحميد محمد: لمحات نفسية في القرآن الكريم ـ مكتبة الرحاب الجزائر.
169- الهروي عبد الله الأنصاري : كتاب منازل السائرين ـ دار الكتب العلمية بيروت:1408هـ/1988م.
170- وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة الإسلامية والمنهج: دار الفكر ـ دمشق ـ دار المعاصر بيروت ـ ط 2 :1418هـ /1998م - ج13 .

المجلات والرسائـل:

1- مجلة الأصالة – ملتقى القرآن الكريم – ملتقى الفكر الخامس عشر – ج2 – من 2 إلى 8 ذو العقدة 40 هـ - إلى 7 سبتمبر 98 – دار البحث قسنطينة الجزائر.
2- إصلاح أحمد الطنوبي: مقال الأمثال في القرآن الكريم - مجلة المنهل: القرآن الكريم الهدى والإعجاز- العدد : 49- مج: 53 – 1412هـ – 1991م.
3- أحمد بتاسي :دراسات في الإسلام واللغة العربية، تقديم أبو عمران الشيخ رئيس المجلس الإسلامي الأعلى- منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.

4- محمد محمد المدني: القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - أشرف على إصدارها:محمد توفيق عويصة- الكتاب الأول:1384هـ/1964م.
5- رسالة ماجستير : التعزير والتشويق وأساليبها في القرآن الكريم – إعداد الطالب : داود بورقيبة –إشراف : مصطفى تسوي – سبتمبر : 1993 – جامعة الجزائر ، المعهد الوطني العالي لأصول الدين .

الموسوعـات والدواويـن:

1- ديوان زهير بن أبي سلمى ـ دار صادر بيروت ـ دط/دت.

2- ديوان المتنبي : دار صادر بيروت ـ ط:2000م.
3- موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين: صفاء كامل الجبوري ـ سلسلة المعاجم العلمية ـ دار ومكتبة الهلال بيروت ط1 : 2003م.
4- موسوعة أعلام الفلسفة :شادل حلو ـ روني إيلي ألفا ـ جورج نخل ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ ط1 : 1412هـ/1992م ـ ج:1-2
5- الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمة:فؤاد كامل ـ جلال العشري ـ عبد الرشيد الصادق ـ مراجعة: زكي نجيب محمود ـ دار القلم : بيروت .
6- محمد نايت معروف : المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم – دار النفائس، بيروت ، لبنان – ط : 1420 - 2000م.

فهـرس الآيـات

آل عمران

النساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التوبة

يونس

هود

يوسف

الرعد

إبراهيم

الحجر

النحل

الإسراء

الكهف

الزخرف

الدخان

الجاثية

الأحقاف

محمد

الفتح

الحجرات

الملك

القلم

المعارج

نوح

المدثر

القيامة

الإنسان

فـهـرس الأحـاديث

الحديث | الصفحة

- فهرست الموضوعات

الصفحة

الفصل الثالث

مقاصد خطاب النفس